روايات الهلال

فيرول سامز

الركض مع الفرسان



روايات الهلال

Rewayat Al Hilal

تصدر عن مؤسسة
دار الهلال

العدد ٤٦٠ - ابريل ١٩٨٧
شعبان - ١٤٠٧ هـ
No. 460 APR. 1987

رئيس مجلس الإدارة
مكرم محمد أحمد

رئيس التحرير
مصطفى نبيل

سكرتير التحرير
محمود قاسم

● الاشتراكات ●

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية تسعة جنيهات بالبريد العادى وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان ثلاثة عشر دولارا أو مايعادلها بالبريد الجوى وفى سائر أنحاء العالم عشرون دولار بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع نقدا أو بحوالة بريدية غير حكومية وفى الخارج بشيك مصرفى لأمر مؤسسة دار الهلال . وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة اعلاه عند الطلب .

اسعار البيع فى البلاد العربية للاعداد العادية من سلسلة روايات الهلال فئة ٧٥ قرشا للقارىء فى مصر

سوريا ١٨٠٠ ق س . لبنان ١٨ ليرة . الاردن ٥٠٠ فلس الكويت ٤٠٠ فلس . العراق ١٦٠٠ فلس . السعوديه ١ ريالات . السودان ٢٥٠ ق سودانيا . البحرين ١٢٠٠ فلس . الدوحة ١٢ ريالا . دبى ١٢ درهما . ابو ظبى ١٢ درهما . مسقط ١٢٠٠ بيسة . تونس ١٦٠٠ مليم . المغرب ١٥٠٠ فرنك . غزة والضفة ٧٥ سنتا . داكار ١٠٠٠ فرنك . اليمن الشمالية ١٥ ريالا . عدن ١٤٤ سنتا . الصومال ١٣٠ بنى . لاجوس ١٢٠ بنى . ايطاليا ٣٠٠٠ ليرة . لندن ١٥٠ سنتا . اثينا ٢٠٠ دراخمة . كندا ٥٠٠ سنت . البرازيل ٦٠٠ سنت استراليا ٦٠٠ سنت

الادارة دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب - الهد
تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط

روايات الهلال

مجلة شهرية لنشر القصص العالمى

اهداءات ٢٠٠٢

أ/حسين كامل السيد بك فهمى

الاسكندرية

الرقص مع الفرسان

الجزء الثانى

تأليف

الكاتب الأمريكى

فيرول سامز

ترجمة

دكتور

أمين العيوطى

●

دار الهلال

ظل الصبي مشغولا في المزرعة طيلة ذلك الصيف . جاءه بدي في باكورة الموسم واقنعه ان يكلم ابيه . ونتيجة لهذا اصبح لديه ولدى بدي خمسة أفدنة من البطيخ يزرعانها مناصفة . وفر الاب لهما الارض ، البغال ، السماد ، والبذور . ووفر بدي والصبي المجهود . كانت مسئوليتهما تنحصر في جمع البطيخ وبيعه . وعند انتهاء المحصول ، كانا سيكرسان يوما للتسوية . كان كل المال سيجمع ، وتقدم فواتير السماد والبذور ليتقاسماها بالنصف ، ثم تقسم الارباح بالتساوي ، فيذهب نصفها للاب ، والنصف الثاني لبدي والصبي .

كان هذا اجراء موحدا لكل المؤاجرين في المزرعة ، فيما عدا ان الصبيين لم يكن عليهما ان يدفعا فاتورة البقالة علاوة على ذلك . كانا يحلمان أن يكونا ثروة . وكان بدي لا يزال عليه أن يساعد أباه في زراعة محصول الاسرة ، وكانت ادارة مشروع البطيخ تتم أثناء وقت فراغه .

اختار قطعة ارض من خمسة افدنة من الارض التي تركت بلا زراعة في العام السابق وكانت سيقان الاعشاب الميتة ترتفع فيها بطول قامة الرجل . نظفا الاسطبلات وفناء حظيرة الابقار ونشرا السماد كثيفا على البقعة المفضلة . كان بدي متحمسا .

« الجميع يقولون ان الارض الرمادية تنتج أفضل بطيخ ، ياسامبو ، لكن هذه الارض العجوز الحمراء هنا سوف تحتفظ بالرطوبة بشكل افضل والتقويم يقول ان هذا الصيف سيكون جافا .. والجميع يزرعون في ارض رمادية وهي لن تحتفظ بالرطوبة . ونحن نزرع الارض الحمراء . وهي صخرية ، لكنها خصبة اذ انها لن تجف . سوف نحصد كثيرا من البطيخ ، يا فتى . وسوف نحصل على بعض المال . »

تأثر الصبي ببحث بدي في جوانب الغموض في التقويم . كان الصبي قد انهى الصف التاسع ، في حين توقف بدي في الصف السابع ، ومع ذلك كان شريكه قادرا على حل الغاز الرسائل الخفية

فى تقويم جريير فى لمح البصر . لم يخطر للصبى أن قراءة بدى الوحيدة كانت تتألف من هذا التقويم ذاته ، بالاضافة الى آثار اللفح ، وكتالوج روبك .

سأله الصبى باحترام ، وهو يجاهد وينفخ فى أداة لنشر البذور مليئة بالسماد ، « هل سنزرع حسب العلامة ، يابدى ؟ »

واكد له صديقه : « انت على حق فى اننا سنفعل هذا . سوف نفعل كل شيء بالضبط تماما فى رقعة البطيخ العجوز هذه . وسوف تكسب بعض المال ايضا . فاذا أمكننى ان احصل على صافى خمسين دولارا من هذه البطيخات ، فلدى مشروع » .

« أى مشروع ، يابدى ؟ انت تعلم اننا لن تكسب خمسين دولارا لكل واحد منا من هذه البطيخات . تلك كومة من المال . »

« أعرف أن تلك كومة من المال ، ياسامبو . وهو كومة من مشروع أيضا . ولكن لاتشغل بالك به . لنتأكد أولا من كسب المال هيا ، أيتها الارض الحمراء ، انتى اراهن عليك » .

عملا لمدة اسابيع . كان بدى يستطيع ان يعمل على البطيخ فقط حينما كان ينشغل بالقطن ومحاصيل القطن التى كان أبوه يزرعها مناصفة مع أبيه . وبينما كان الصبى فى المدرسة ، كان بدى يأخذ الخراطة التى يجرها حصانان ويقلب السباخ والنباتات الميتة تحت التربة ، بينما كتفاه الضخمان ويداه الثابتتان توجه البغال نحو شق التربة بعمق الركبة تقريبا ، ثم يقوم بتسويتها ولا يعلم احد بالتأكيد المدة التى قضاها فى تسوية الارض . وعندما ذهب الصبى ليفتش عليها ، كان الحقل كله مستويا ومنتفخ المظهر مثل لحاف فرد جديدا فوق سرير جدته الريشى .

كان الحقل يبعد ثلاثة ارباع ميل كاملة عن الطريق الكبير اسفل مدق العربات وهو البقية الباقية من قطع الاشجار قبل عشر سنوات . كان الطريق يلتف حول حافة أسفل الارض ، ثم يدور حول سفح التل الاحمر الكبير ثم يصعد تلا اصغر خلال اشجار صنوبر نمت من جديد واشجار غار . وكان يلتف حول منحنى آخر ثم يندفع فجأة فى المساحة المقطوعة الشجر التى كانت الحقل ذى الافدنة الخمسة . كان يقع تقريبا خلف المزرعة ، على بعد ميلين من البيت .

وعندما سأل الصبى عن الحكمة فى زراعة هذه القطعة التى تبعد عن الحظيرة واشار الى الوقت الاضافى للوصول اليها والعمل الاضافى فى نقل الامدادات على هذا البعد ، نظر اليه بدى وابتسم

ابتسامة عريضة .

« هذا احد اسباب حبي لهذا الحقل العجوز في الاراضي الحمراء . فهو ليس في متناول الناس الذين يريدون سرقة البطيخ . ولن يعثر عليها احد بطريق الصدفة . والناس الوحيدون الذين يعـرفون بوجودها هنا هم الناس الذين يعيشون على هذه المزرعة ، وعندما تنضج هذه البطيخات سأكون منتظرا هنا في حالة اذا ماجاءنا زوار . انها بعيدة الى الخلف هنا بحيث لا يستطيع احد ان يجر بطيخة ، وسيكون اكل واحدة على الارض امرا متلفـا لاعصـاب اى واحد . »

« يا الهى ، يابدى ، لم اكن حتى قـد فكرت فى ان يسرق اى شخص منا . فلن تكون كافية بحيث تصل الى اى شيء ، اليس كذلك ؟ »

« ياسلام ، أى هراء تتكلم به ! فبعد أن يكون عشرون ممن يعيشون من العمال فى بيت ابيك قد أخذوا منه مرتين ، تكون قد خسرت اى مال يحتمل أن تكسبه . » شبك ابهاميه فى شرائط حلة عمله ولوى اصبع قدم كبير فى التراب .

وواصل كلامه « وبالاضافة الى ذلك ، فالطريقة التى انظر بها الى الاشياء هى انه اذا كان أحد يريد بطيخة فانه يستطيع أن يزرع بطيخه هو . فهذه البطيخات سوف تباع . ولن نوجع أدمغتنا انا وانت طوال الصيف لمجرد ارضاء شخص اخر . »

نظر الى الصبى ثانية : « وفوق كل هذا ، فانت لا تفهم ، ياولد ، هناك شيء بين الزنجي والبطيخ مجرد انجذاب طبيعى بين الاثنين . ولا تظن أن هذه سرقة حقا انها مثل حيوان الابسوم على شجرة . انهما يتلاءمان معا فقط . »

سأل الصبي ، وهو يشعر بالراحة والاسترخاء لاستخدام بدى للتحديد العرقي وان كان يدرك تماما انها كانت كلمة محرمة بالنسبة له ، « حسنا ، وكيف ستبعدهم عن هنا ؟ »

أجابه بدى : « لا تشغل بالك ، لا تشـغل بالك بهـذا الان . دعنا ننضج البطيخ اولا . مازلت ادرس الامر ، وسـوف نفكر فى كل شيء . »

فى اليوم الذى انتهى فيه بدى من تسوية الحقل ، كـان عائدا وقت الشفق بالبغال فى حين كان الصبى يغادر حظيرة الابقار حاملا دلوين من الحليب الطازج برغوته .

اعلن : « سامبو ، لقد انتهيت . نستطيع زراعتها يوم السبت . أستطيع تخطيط الخطوط وعدها غدا ، ونستطيع نحن الاثنين أن نعمل عليها يوم السبت ونضع البذور في الاكوام .

« عظيم ، بابدي ، يؤسفني ان عليك ان تقوم بكل العمل الثقيل وحدك ، ولكن هناك أسبوعين آخرين قبل أن افرغ من المدرسة لابد انك متعب الى حد السقوط . »

« لست متعبا الى هذا الحد ، وانت لاتنزعج بشأن العمل . فأنا شاب وقوي واستطيع أن اقوم به ببساطة . وقد قمت بنصيبك حين اقنعت اباك بأن يدعنا نأخذ الارض . »

حمل الصبي الحليب على طول الحارة الى المنزل وهو يشعر بدرجة من التدني غير مريحة .

وفي صباح اليوم التالي استيقظ مبكرا على غير العادة ، واسرع باداء أعمال الحلب ، وملأ الصندوق الخشبي بخشب للموقد لذلك اليوم ، وتصور أنه كان لديه مزيد من الوقت لزيارة الحقل قبل الافطار والمدرسة .

كان ضوء النهار جيدا ولكن الشمس لم تكن قد طلعت بينما كان هو يسرع على طول طريق الحقل خلال الغابات . كان يعشق وجوده خارج البيت فى هذا الوقت من النهار . كان هناك صمت يكاد يكون ثقيلا . كان كل ضجيج حشرات الليل قد سكن ، ولم يبدأ بعد ضجيج النهار فيما عدا نداء الدج الناسك المبكر جدا ، السرى جدا قرب الجدول . كان هناك دائما شعور باثارة متوقعة فى هذا الوقت من النهار فى هذا الوقت من السنة . كان يشبه دوران الارض النائمة الثقيل باتجاه شمس الصباح بساقية هائلة غير مستعدة بالضبط لالقاء حملها المبلل الذى رفعته الى قمة دائرتها .

قاطع خياله تلوى ثعبان أسود طويل عبر الممر أمام قدميه العاريتين مباشرة . قفز ثلاثة اقدام في الهواء دون ان يفقد خطوته وشعر بتمايل قلبه الفجائى فى حلقه . عنف نفسه بهمسة مذهولة وهو خجل من خوفه ولكنه غير قادر على التحكم فيه ، « يا الله الطيب القدير ! »

واعتذر فى صمت ، اغفر لى ، أيها الرب ، لاستخدامى لاسمك عبثا . وخاصة حول ثعبان اسود عجوز سخيف بل انه ليس ساما على اية حال .

اننى أتساءل ان كان من نوع سوط العربة ، تساءل وهو يسرع

اسفل الطريق . لم يكن قادرا على التمييز بين سوط العربة ، والثعبان الاسود العداء ، وثعبان الدجاج . وكان قد وصل الى قرار بأن الكبار كانوا غير قادرين على هذا ايضا .

كانت تابيثا قد ملأته رعبا منذ عدة سنين . كانت قد اكدت بنبرة مؤكدة بحيث لم يكن فى وسع اى مستمع ان يشك فيهما ان سوط العربة الرائع يمكنه أن يطارد طفلا حتى يمسك به ، ويلتف حول الضحية ، ويسيطه حتى الموت . وعندما ينتهى هذا العمل الضارى ، فان الثعبان يفك نفسه عن الجسد المجعد الذى يثير الشفقة . وقبل ان يمضى ، على اية حال ، فانه كان يدفع ذيله الحاد فى كل فتحة انف صغيرة على اية حال ليتأكد انه لم يكن هناك نفس حياة باق . وقد كان الاطفال السيئون جذابين بشكل خاص بالنسبة لسياط العربة .

كانت بهذا قد فعلت الكثير بحيث تجعل جمع التوت مغامرة مثيرة بالنسبة للصبى لكنها كانت قد قوضت مصداقيتها حين اصبح اكبر سنا . تذكر هذا وضحك ضحكة خافتة وغفر لنفسه انه خاف .

وعندما انعطف حول المنعطف الاخير فى الطريق ، أبحرت بومة نعاقة كبيرة فى صمت وغموض فى طريقها الى بيتها امامه تماما ، واندفع من النفق المورق الى انفساح الحقل اللانهائى .

كان ذلك الحقل يرقد هناك فى الضوء المبكر ليوم ربيعى ، احمر ومستديرا مثل ياقوته ، تحف به خضرة الاعشاب الصغيرة جدا وقد نعمها الندى ، وسطحه يبدو ناعما لم يشوه حتى الان ، فى شكل خطوط . كان هناك خط شبورة باهت يطفو فى خيوط رفيعة على ارتفاع عشرة اقدام من سطحها ، وفى الجانب البعيد كانت الاشجار العالية يسقط عليها أول ضوء للشمس الطالعة فى فروعها العليا . هناك كان الحقل يرقد ، بكراً ينتظر .

جذب الصبى نفسا عميقا من الهواء العذب اللاذع . وقال لنفسه ، هذا المكان سحرى . وانا لا اريد اى شخص يقوم بالسرقة هنا . بل اننى لا أريد اى واحد ان يرى حتى هذا المكان ما عدا بلدى وانا .

وواعيا بالزمن مرة اخرى ، استدار واسرع عائدا . وقبل أن يصل الى الطريق الكبير مباشرة ، لقى شريكه يسوق العربة محملة بالجرافات وآلات اخرى .

« صباح الخير ، يابدى . أليس يوما جميلا ؟ لقد اديت عملا طيبا حقا في ذلك الحقل العجوز . لم ار من قبل حقلا جميلا كهذا . »

« نعم ، انت على حق . انه يبدو جميلا حتى الآن . وسوف نكسب منه مالا ، ايضا . »

« انه جميل الى درجة انني قد لا اكون طبيبا . فربما اكتفيت بزراعة البطيخ بقية عمرى . » قالها الصبى ، وضحك .

اجابه بدى بابتسامة ، « لا تغير رأيك في صباح من هذا النوع ، يافتى . انتظر حتى يكون الجو حارا في أحد الايام وظهرك يوجعك ، لانك قررت ماهو صالح . لابد ان اذهب . اصعدى الى هناك ، يابت . » قعقعت العربة ودوت وهى تختفى عن الانظار في حين أسرع الصبى الى البيت لتناول افطاره .

وفي يوم السبت التالى زرع الصديقان رقعة البطيخ الخاصة بهما . غرست ثلاث بذور بالضبط فى كل كومة . كان الصبى متشككا حول زرعها متباعدة الى هذا الحد لكن بدى اكد له أن النباتات المعترشة كانت ترسل سيقانا ممتدة يتشابك احدها مع الاخر . سأل الصبى جده العليم بكل شيء عن هذه النقطة ، فأكدها . وبعد ذلك لم يشك الصبى في حكم بدى مرة اخرى .

كان لديه وقت فراغ أكثر من بدى فقام بزيارة الحقل كل يوم . وفاضت نفسه بالاثارة في اليوم الذى وجد فيه السطح الاحمر منقطا بذرات خضراء صغيرة اسفل الخطوط العريضة ، وراح يراقب الاوراق المشعرة تنمو بين عشية وضحاها تقريبا في مجموعات من النبات طيبة الحجم تنبثق مثل ملافح رقيقة على الحقل الاحمر .

وعندما بلغ طول السيقان الممتدة اربعة اقدام ، القى الصبيان نيترات الصودا حول كل نبتة . وعندئذ سار على طول الخطوط وحرك كل ساق برقة فى صف واحد في حين جاء بدى خلفه بالبغل وجرف التربة الحمراء المتفتتة بوفرة دافئة حول النباتات .

وسرعان ماغطت النباتات المعترشة الحقل بسجادة كثيفة الى درجة أن الرقع الحمراء البارزة فقط كانت تبدو من خلال اللون الاخضر . وظهرت النوارات الصفراء وتبعها بوقت قصير كرات خضراء صغيرة متماسكة جامدة كانت تبدو كما لو كانت تكبر كل يوم امام عينى الصبى اللتين تمتلكانها . ولما كانت كبيرة وكثيفة بحيث لا تحتمل تجريفا اكثر ، فقد كانت عملية نزع الاعشاب عن النباتات

المعترشة تتم الان يدويا .

اصبح هذا شغف الصبي . كان بدي مشغولا يحرث القطن لابيه ، وسرعان ما اكتشف الصبي ان خمسة افدنة كانت ارضا هائلة بالنسبة لشخص واحد يقتلع اعشابها . اقتلع اعشاب الكوكل ، والبن البري ، وعشبة الرجيد الامريكية ، والاعشاب السامة بالالاف وما ان غطى الحقل حتى كان عليه ان يمر عليها ثانية . وفي جولات التفتيش في عصر يوم الاحد ، أكد له بدي انه يبالغ في هذا وان الاعشاب التي توجد في المنتصفات لم تكن تمتص القـــــوة من النباتات . لم يقتنع الصبي .

ذهب اليه قائلا ، « انها تبدو أفضل بكثير ، يابدي ، اذا اقتلعت الاعشاب من الحقل كله بدلا من اقتلاعها من حول الاكوام فقط . فهذا اجمل محصول رأيته في حياتي . »

واجابه الناصح الامين ، « نعم ، هو جميل حقا ، لكنه مختلف تماما عن المال ، وهذا هو هدفنا . ولكن امض قدما واقتلع كـل الاعشاب المحجوزة هنا ، ياسامبو ، انت على حق ، انه جميل بكل تأكيد . »

وعندما اصبح البطيخ في حجم قبضتي رجل ، قرر بدي ان الوقت قد حان لحماية المحصول من الغربان الجريئة النهمة . استمتعا وهما يشكلان خيالي مآتة من اردية قديمة . كان احدهما رجلا والاخر امرأة ، وضحكا كثيرا وهما يقرران من كانا يشبهان . نصح بدي الصبي ان يحركها في جنبات الحقل الى مواقع مختلفة ، حيث أنه كان يزورها يوميا على اية حال .

ونصحه بأن الغربان كان من الصـــعب استغفالها ، لـكنها كانت مفعمة بالشك من اي شيء لا تفهمه . ثبت الشريكان اعمـــدة في الارض حول محيط الحقل ولفوا حولها كلها خيوطا بيضاء ثم في مربعات متقاطعة فوق الحقل ولفوا حولها كلها خيوطا بيضاء ثم في هذا كان يمثل اما سورا او شبكة تهدد حياتها وان تخشى الهبوط داخل حدودها . تعجب الصبي من حكمة بدي .

وفي اليوم الذي أقاموا فيه الخيوط ، كانوا قد حملوا غـداءهم الى الحقل : لبنا مخضوضا ، قطع خبز بلحم الخنزير ، وحبـــة بطاطا لكل منهما . وبعد التهام الطعام تمددا على الارض في ظـــل شجرة بلوط حمراء كثيفة . اســـتند الصبي على احد مرفقيــه ، وانتزع قطعة عشب ، وراح يقضم ساقها الغض المليء بالعصير .

وغامر بان يقول ، « بدي ، ما الذي يجعل الناس يحتلمون ؟ »

رفع بدي راسه لفتر قصيرة ونظر الى الصبي ، واسقط راسه ثانية ، ونظر الى اعلا في فروع شجرة البلوط ، واجـاب بنبرة مرتجلة ، « اوه ، انك فقط تكون هذه المادة بداخلك ثم لابد لها أن تخرج من هنا . هل حلمت حلما . »

اجابه الصبي بسرعة ، « لا ، انت تعرف انني لست كبيرا بما فيه الكفاية بعد . كيف تكون ؟ »

« انني اكرهها ، وهي عندئذ مخيفة نوعا ما ايضا . اول مرة حدث لي فيها هذا ، كانت امي تطاردني بعصا مقشة . فجريت تحت الطاولة وتحولت الى فار صغير ، الى ميني ماوس وجاء ميكي ماوس ودفع بذيله في سرلي وأستيقظت على شعور بأن سريري كله متسخ . »

امسك الصبي انفاسه ولم يجب .

« انهم يقولون انك لا تصاب به أبدا اذا أكثرت من الاتصـال بالفتيات ، وانا اعلم انه لا ياتيك كثيرا بعد أن تجهد نفسك في العمل . دعنا نسرع وننتهي من هذه الخيوط . فهذه الغربان اذكى منا . »

وعندما نهضا ، القى بدي نظرة على الصبي . « هـل تعرف المشروع الذي كنت اتكلم عنه . سوف اخبرك لماذا اريد هذا البطيخ العجوز ان يصل الى شيء ما . واياك أن تخبر أحدا أيضا . فبعد ان آخذ الخمسين دولارا ، سوف اتزوج هذا الخريف . فقد كنت اصاحب نت لمدة سنتين الان . وأبوها يعيش في بيت السيد كارسون كليفتون ، وقد اخبر والد نت انه سوف يسمح لي ان يكون لي محصول في العام القادم . ولديه بيت من حجرتين استطيع ان آخذه أيضا . وهو صغير ، لكن به بئرا طيبة من الماء . ونت لاتريد ان تضطر الى جر الماء . والآن انت تعرف لماذا يجب أن تكسب بعض المال ، ولكن لا تخبر احدا . فامي وابي لا يعرفان عن هـذا شيئا حتى الان . »

وعده الصبي ، وقد اتسعت عيناه لهذا الاصرار « بالله ، يابدي ، لن أخبر مخلوقا . » عملا بسرعة وعادا الى البيت في صمت مخفف حلو العشرة . وعندما افترقا عند ممر العربات المؤدى الى البيت الكبير جرر الصبي قدميه وحيـدا ، وخطر له ، ذيل ميني ماوس ! ذيل ميني ماوس ! ربما لم يكن شخصا غريبا في النهاية .

احنى راسه . همس ، « يا ابانا الذي في السماء ، ارسل رذاذ المطر واجعل هذا البطيخ ينمو . فصديق خادمك المتواضع بحاجة الى الزواج . ارحمنا جميعا ، أيها الرب . آمين . »

بعد ذلك ببضعة ايام تعرف الى صديق جديد . كانت المقاطعة تشتغل على الطريق أمام البيت . جاء الحراس ببنادقهم ومسدساتهم وبندقيات الرش ومعهم عصبة من الرجال مقيدين بالسلاسل من معسكر المساجين الذى يقع خارج بروتنتون ، وهم يركبون في آخر الجزء الخلفي من شاحنة مسطحة عتيقة . كانوا يصلون كل صباح بعد ساعة من طلوع الشمس ويرحلون قبل ساعة من غروبها . كانوا جميعا يرتدون حللا متماثلة بخطوط بيضاء وسوداء عريضة افقية ، وكانوا جميعا حليقي الراس . كانت تسبقهم دورية راكبة ، او كاشطة ارض تشبه هيكلا عظميا بعثت فيه الحياة لديناصور متاني الخطى ، تحفر اولا محتويات حفرة ثم حفرة اخرى ، وترسل دخان جازولين وتهدر عندما كان الامر يتطلب مجهودا اضافيا فجائيا .

كان الرجال المترجلون يقطعون الشطآ ببلطات ، وينقلون التراب بمجارف ، أو يبدلون المجارى ويضعون الواحا جديدة من البلوط في الكبارى المتهالكة . كان يراقبهم في كل دقيقة حراس صامتون متينو البناء لا يتركون بنادقهم دقيقة . وكان مأمور السجن يخرج مرتين او ثلاثا في اليوم في شاحنة خفيفة ليتأكد ان كل شيء كان يجرى على وجه صحيح . كان الحديث بين الجماعة المقيدة بالسلاسل طفيفا ولم يكن هناك أى غناء على الاطلاق .

فزع الصبى لمرأى اربعة من السجناء مقيدين باطواق حديدية حول كواحلهم وتربطهم سلسلة ثقيلة الوطء . وبالتالي كان هؤلاء الرجال يسيرون بخطوة جانبية متعثرة تماما ، هكذا خطر له ، كما لو كانوا قد كسروا أكفالهم . كان ثلاثة منهم بيضا والرابع أسود . وبدون أن يحذره أحد خاف منهم غريزيا وحافظ على مسافة حريصة بعيدا عنهم .

كان الرجل الذى يدير كشط الطريق ملونا ، لامع السواد ، ونحيلا بشكل حاد . كان « موضع ثقة » ، وهو ماكان يعنى انه كان يتمتع بحريات معينة حرم منها الاخرون في الجماعة المقيدة بالسلاسل . كان بامكانه أن يترك الطريق ليفرغ احشاءه بين الشجيرات دون أن يتبعه حارس . وكانوا يرسلونه في مهمات بثقة كاملة انه سوف يرجع . وعلاوة على هذا ، كان يتمتع بدرجة غير ضئيلة من الاحترام

لانه كان يفوق الآخرين معرفة بالعملية وصيانة ألالة اكثر من أى شخص ماعدا المأمور نفسه .

سمع الصبى صدفة ، وهو غير ظاهر للعيان لكنه منتبه ، أحد الحراس يقول ان جارفيلد كان بالتأكيد زنجيا طيبا وان من العار انه كان ضمن العصبة . واجابه رفيقه بأنه لم يعد أمامه سوى سنتين في مدة العقوبة وانه لم يكن ينبغى له أن يقتل امرأته العجوز . ومن المؤكد انهم كانوا سيفتقدونه بين العصبة ، رغم ذلك .

وفى ساعة الغداء ، تفحص الصبى الطبق القصديرى الذى كان يعطى لكل سجين . كان به قطعة كبيرة من الخبز المنتفخ الابيض ، وقطعة مقليه من دهن ظهر الخنزير مع دهن صاف بدلا من الصلصة ، وكتلة طرية كبيرة من شراب سرغوم * سميك . لم يكن الرجال بحاجة حتى الى استخدام الملاعق التى كانت مربوطة الى حلقات احزمتهم . فقد كانوا يمتصون الدهن والشراب بالخبز .

ذهب الصبى الى البيت وحصل من امه المتساهلة على جالون من اللبن الذى خض حديثا كان معينا لحظيرة الخنازير . كان الحراس يأكلون سندويتشات بيض مقلى وساق . تقدم الصبى من واحد منهم . « من فضلك ، ياسيدى ، هل يمكننى ان اعطى هذا اللبن المخصوص لجارفيلد العجوز هناك ؟ فقد ساعد أبى ذات مرة في اصلاح عجلة مثقوبة ، وقد ارسلت له امى هذا اللبن . »

رفع الحارس بصره ، وقد تمدد احد شدقيه بفعل نصف شطيرة واجاب ، « نعم ، سيكون هذا على مايرام . فالعجوز جارفيلد لن يؤذى برغوثا . ولكن ابق بعيدا عن هؤلاء الاولاد الذين يجلسون وحدهم هناك وعليهم السلاسل ، هل تسمع ؟ الست ابن السيد بورتر أوزبورن الصغير ؟ » . وبعد ان تلقى اجابة بالايجاب واصل قوله ، « ظننت هذا . من المؤكد انك تشبهه . ابلغه ان بيت جودوين يبلغه السلام . فكل أهلى يكنون الاحترام لابيك . فقد دفع ضريبة اقتراع أمى ، ونحن نصوت دائما لصالح السيد بورتر » .

« أشكرك ، ياسيدى . ومن المؤكد أننى سأخبره . وبعد الغداء ، هل يكون من الملائم اذا ركبت على كشاطة الطريق لفترة ؟ يمكننى ان أتشبث خلف جارفيلد تماما وسوف احرص على الا اسقط . »

---

* نبات مثال الذرة

« مؤكد ، هذا على مايرام . فسوف يكون فى مقـــدمة باقى السجناء بعيدا عنهم ولن نضطر الى القلق عليك لكونك قريبا منهم اكثر من اللازم . فتلك الكشاطة تسير ببطء الى درجة أنها آمنة للغاية ولكن كن حريصا وتشبث باحكام على اية حال . فنحن لانريد أن يحدث شيء لابن السيد بورتر . »

حمل الصبى اللبن المخضوض الى الرجل الاسود الذى كان يجلس فى التراب ، مستندا الى احدى عجلات آلته . « جارفيلد ، أسمى سامبو . وقد أحضرت لك بعض اللبن المخضوض . هل تريده ؟ »

أكد له جارفيلد هذا قائلا ، « بالتأكيد أريده ، فسوف يذيب هذا الدهن تماما ، وانا أشكرك . » تربع الصبى على التربة المفككة الرطبة جاءت من منحدر الحفرة . ومضى الحارس يسير متمهلا .

« السيد بيت جودوين قال ان بامكانى أن اركب قليلا معـك على الآلة . فأنا لم اركب واحدة أبدا ، وسوف يكون هذا متعة . وانت لا تمانع . اليس كذلك ؟ »

« بلى ، يافتى ، لا مانع عندى . انها متعة أكبر من تطويح هذه الفئوس والمجارف . لكنها بالنسبة لى عمل على أية حال ، لقـد سمعت ماقاله الحارس . كيف قلت له تلك الكذبة ؟ فلم يحـدث أبدا ان التقيت بأبيك يصلح عجلة مثقوبة . وانا حتى لا اعرف أباك فانا من بيت السيد تيب سوانسون هناك قرب تايرون . لا يجب ان تبدأ فى الكذب وانت صغير هكذا . فقد كانوا سيسمحون لك بالركوب دون أن تكذب عليهم . هذا بالتأكيد لبن مخضوض طيب ، رغم هذا ، وانا مقدر لك صنيعك . »

نهض وتمطى ، « دعنى اعيد هذا الطبق الى الشاحنة ، وسوف نقوم بتشغيل هذا الطفل العجوز . »

تطوع الصبى بلهفة ، « سوف أفعل أنا هذا ، ياجارفيلد ، ناولنى اياه . فلن يستغرق هذا دقيقة . » وقال لنفسه وهو يعـدو الى أسفل الطريق باتجاه الشاحنة منزعجا ، يجب أن تخجل من نفسك اذ تتلقى درسا عن الكذب من سجين أسود فى عصبة المقيدين بسلاسل . تعرف ، انه على حق .

تشبث بسعادة بمؤخرة مقعد جارفيلد طوال معظم فترة العصر ، وهو يراقب بذهول لفات التربة الطازجة الضخمة وهى تتدحرج من الحفر بفعل النصل المائل تحتها . وذات مرة حين اقتربا من الحدود الشمالية للبيت ، راح يعدو خلال أشجار الجوز الى الشرفة الخلفية

ومن الخزانة حصل على قطعتي خبز من دقيق القمح ، وضع بينهما قطعة كبيرة من لحم الخنزير المحمر ، وحملها الى صديقه الجديد .

شكره جارفيلد قائلا ، « ياسلام ، طعمه لذيذ بالتأكيد . ولكن لا تجعل احدا يراك تسرب ماكولات لي . فاللبن المخضوض على ما يرام ، لكنهم قد يثيرون ضجة حول هذا . فهو افضل مما يأكلون . » .

في اليوم التالي تفحص الصبي رقعة البطيخ مبكرآ ، واقتلع الاعشاب لمدة ساعتين ، لكنه عاد الى كشاطة الطريق قبل ساعة الغداء بوقت كاف . وعلى مسافة كافية من الاخرين ، أوقف جارفيلد آلته بالقرب من ممر العربات وعبر الطريق في ظل شجرة كبيرة من اشجار الجوز . احضر له الصبي جرة فاكهة ممتلئة حتى منتصفها بفاصوليا خضراء طازجة ، وبعض خبز الذرة ، ووعاء آخر من اللبن المخضوض .

تجاسر بقوله ، « جارفيلد ، ماذا فعلت حتى وصلت الى جماعة المساجين المقيدين ؟ » .

واجابه الرجل ، « قتلت زوجتي ، ياسامبو . هذه هي الحقيقة الصريحة . قتلت زوجتي . »

ساله الصبي بجدية ، « كيف حدث أن فعلت هذا ؟ الم تكن تحبها ؟ » .

حلت فترة صمت طويلة .

وقال جارفيلد بخشونة ، « نعم ، كنت احبها ، كم عمرك ، ياصبي ؟ » .

كذب الصبي ، « انا في الخامسة عشرة تقريبا . لكن حجمي ضئيل بالنسبة لعمري . وهذا يزعجني بالتاكيد ، أيضا ، فانا أضال الطلبة حجما في كل مدرستي . »

« لست بحاجة الى ان تقلق بهذا الخصوص . فسوف تكبر . ان لديك الكثير من الادراك ، أيضا . سوف تكون على مايرام . » .

قال الصبي : « شكرآ لك . كيف حدث انك قتلت زوجتك ؟ »

« أظنني قتلتها لانني كان على أن اقتلها . لم يكن بامكاني أن أفعل غير هذا . فقد اخبرني ابني الاكبر انني يجب أن اعود الى البيت مبكرا من الحقل لانه يظن ان ساعي البريد لا شان له بدخول البيت حين تكون امه تطبخ طعام الغداء . وبالبقاء لمدة نصف ساعة .

فكرت في الامر طوال الليل بعد ان اخبرني ، وصباح اليوم التالى ، عندما أخرجت البغل ، أخبرته أن يحضر الى الحقل ليطلعنى اذا حدث هذا مرة ثانية . ولم يحدث شيء ذلك اليوم ، وفكرت انه ربما كان مخطئا وان ساعي البريد ربما كان يدخل ليشرب أو شيء من هذا القبيل . وفي اليوم التالى ، رغم هذا ، جاءني الصبي في الحقل وقال ، ابي ، لقد دخل بسيارته الى فناء بيتنا واوقف السيارة ودخل الى البيت .

« اخبرت الصبي أن يبقي مع البغل ، وسلكت طريقا مختصرا من خلال الغابات ووصلت خلف البيت . لم يكن هناك أحد في المطبخ ، حيث كان المفروض أن تكون ماجي موجودة . تناولت موسى الحلاقة من على الرف الذى يوجد في الشرفة الخلفية حيث احتفظ بادوات الحلاقة الخاصة بي ومشيت بهدوء جدا حول البيت الى الغرفة الامامية . » توقف لحظة ، وهو ينظر في الفضاء البعيد ، وشعر الصبي المأخوذ انه قد نسي وجوده .

« حسنا ، اريدك ان تعرف ، كانا هناك . في سريرنا بالضبط . كلاهما عاري المؤخرة . هي سوداء اسفله وهو أبيض فوقها . وكلاهما يقترفها ، هي تئن وهو يقبع . اطلقت صيحة وقفزت الى منتصف الغرفة تماما ، وعندما فعلت هذا جرى الرجل الى النافذة وقفز منها برأسه اولا . جريت اليه وقطعت جانبا من مؤخرته البيضاء حتى العظام ، لكنه ظل يجري ودخل عربة البريد القديمة بدون ملابسه واختفي قبل ان اتمكن من الامساك به ثانية .

« وعدت الى ماجي ماى ، ولم تكن تحاول الهرب . كانت راكعة على ركبتيها بجانب السرير ، تحاول تغطية ثدييها بردائها . كلمتها بنعومة بالغة ، وقلت ، كيف يمكن أن تفعلى هذا ، باماج ؟ كيف يمكن أن تفعلى هذا بي وبالاطفال ؟ لم يصدر عنها صوت . مجرد أنها راحت تنظر الى بعيون مفتوحة وبشكل يثير الشفقة : مددت يدى ببطء شديد وبسهولة تقريبا وجذبت رأسها الى الخلف من شعرها . وقطعت رقبتها . سقطت وتلوت تلويا شديدا حوالى أربع مرات وملأت حذاء ذلك الرجل حتى حافته بالدم . وسرت في الطريق الى بيت السيد تبت واخبرته ان يبعث في طلب عمدة البلدة ليأتى ويقبض على . وهأنذا . »

صمت واطل على الصبى ، الذى كانت عيناه مغرورقتين بالدموع « كان على أن افعلها ، ياسامبو ، كان الاطفال يعرفون . وكان على

ان افعلها . »

وضع الصبى يدا على كتفه . « طبعا كان عليــك أن تفعلها ، ياجارفيلد . دعنا نشغل الآلة ، حان وقت العودة للعمل . »

وعلى حين غرة ، فيما يبدو ، حلت كل اسابيع العمل والانتظــار كلها معا بعجلة بالفة في الحقل . كان سطحه كله نابضا بكتل لا حصر لها بمحصول بطيخ غزير . برزت روابي الفاكهة المتبرعمة الادكـــن خضرة من بطانية النباتات المعترشـــة الخضـــراء كأنهـــا ظهور عمودية لحيـوانات مغمورة في الماء تسمن وتتضخم على وليمــة ما مخبأة .

« سامبر ، سوف نسبق اى شخص آخر بأسبوع ، فيما اعتقد ، واعرف أننا حصلنا على أفضل محصول من اى مكان حولنا . ومن المؤكد ان هذه الارض العجوز قد خرجت بنا سالمين فى تلك الموجة الجافة التى مرت بنا فى يونيو . وسوف نكون أول من تجف تعريشاته فى كل ماحولنا . انظر الىهذا البطيخ هناك . انه يشبه خنــازير تبحث عن الجذور ورءوسها منخفضة ، أليس كذلك ؟ »

مشى خلال الحقل مع الصبى ، وكلاهما حريص على ان يأخــذ خطوات عالية طويلة ويتجنب أن يطأ ايا من التعريشات . دق بدى عى البطيخ الاكبر بشكل عشوائى ، محدثا صوتا موسيقيا اجــوف نوعا ما بضربات سريعة قوية من سبابته التى أطلقها بسرعة .

« آه ، هه ، سوف تكون كل هذه الرقعة جاهزة لنقلهـــا خلال اسبوع . فبعض هذا البطيخ الكبير ناضج تماما فى هذه اللحظــة . اخبر أباك ان يكون الرجل الذى يأتى بالشاحنة هنــا يوم الجمعــة القادم ، سوف تكومها على الطريق الكبير جاهــزة للشحن . انت وأنا سوف نقطعها ، ونجرها الى الطــريق الكبير فى عربة ونساعده فى شحنها . »

وعده الصبى ، « سوف اخبره غدا يابدى ، لا استطيع ان اصدق ان الوقت قد حان . »

« صدق ، حسنا حان وقت قطافها . لن يوجعك ظهرك مطلقــا مثلما سيوجعك فى الاسبوع القادم » . وأضـــاف بنبرة شــك ، « فقط أرجو أن تصمد السوق وأن تكسب بعض المـــال من هذا المحصول » .

« أوه ، سوف نفعل ، يابدى ، انت تعرف أننا سنفعل . كف عن القلق واسترخ ، لقد نجحنا الآن . »

« لا ، لم نفعل ، ياسامبو ، وذلك يذكرني بشيء . فالقمر مكتمل الليلة وطيلة الاسبوع المقبل . سوف أبقى وسط هذه الرقعة حتى منتصف الليل كل ليلة . وغدا السبت ، كل العمال يخرجون فى وقت الغداء . هذا ماسوف نفعله . سوف ادع كل واحد يظن انني لن العب الكرة لانني ذاهب لخطب ود حبيبتي . سوف آتي ببندقية أبي ذات الاربعة عشر عيارا وانت تأتي ببندقية ابيك ذات العشرين عيارا ، ونتسلل الى هنا من الطريق الخلفي وننتظر . فغدا او يوم الأحد ستكون لدينا صحبة بالتأكيد . وانا لم انقذ هذا المحصول من الغربان لاخسره لاى كائن يسير على قدمين ولا يعرف الطيران . »

« بدى ، هل تعني انك ستطلق النار على أحد اذا سرق بطيخة ؟» سأله الصبى وهو لايصدق . « لا اعتقد اننا ينبغى علينا أن نفعل هذا . لماذا لانخبر الجميع مجرد أن هذه الرقعة لنا ونصدر اليهم اوامر الا يدخلوها » .

نظر اليه بدى ملمحا باشفاقه ، « لاننا لن نطلق النار على احد ياسامبو . انت تعلم أننى ربيت تربية افضل من ذلك . هم لن يعرفوا اننا لن نطلق النار عليهم ، هذا يكفى ، وعندما تخبر احدا انه لايجب أن يكون هنا ، ويسمع طلقة نارية ، فربما يصيبه العيار . فسوف نطلق فى الهواء فقط واظن أن هذا سوف يؤدى الغرض منه . »

وصمت ثم أكمل ، « أما عن اعطائهم أوامر ، فانت لم تفهم بعد يؤدى هذا الى اثارتهم أكثر . سوف يضحكون عليك من خلف ظهرك لوعظهم ثم يدبرون طوال الوقت لعمل مايريدون أن يعملوه . انهم يظنون أنك مجرد طفل ، ياسامبو . قابلنى بأسرع ما تستطيع بعد العشاء غدا خلف هذا الحقل . لا تحضر من اى مدق عربات : تسلل خلال الغابات . »

كانت المهمة كلها تملأ الصبى بالاثارة وحافظ على موعده فى اليوم التالى باحساس ما بالواقع ، وهو يكبت حافزا لان يتخيل ثقة بيمبرنيل القرمزى الجرىء من ناحية أوتوم سوير المضحك من ناحية أخرى . كان معه بندقية خرطوش تخص أبيه وجيب عامر بخراطيش صيد الطيور . كان صديقه قد سبقه الى هناك حين وصل ، وقد يربض خلف شجيرة الغار الامريكى فى الجانب البعيد من الحقل .

« بالله ، يابدى ، هل قضيت الليل هنا ؟ منذ متى وانت هنا ؟ هل رأيت احدا ؟ » ساله الصبى بسرعة .

« لا ، فقد عدت الى البيت فى الساعة العاشرة والنصف ليـــلة امس . كان على ان اعمل طوال الصباح . لم يمض على هنا سوى ثلاثين دقيقة ، ولم أر احدا بعد ، ليلة الامس او اليوم . وربمـــا لا نرى أحدا هذا المساء ، لكننا سوف نكون فى انتظارهم اذا جاءوا . والان ، هذا ماسوف نفعله . »

قاد الصبى على طول الجانب الخلفى من الحقل الى نهايته الاخرى ، عبر الانفساحة الخصبة من الخضرة المتمددة الى البقعة التى اختارها موقعا له . وجد شجيرة تخفيه وأراه أين يختبىء . كانت فى الجانب الضيق من الحقل البيضاوى ، أمام مدخل مدق العـربات مباشرة وعلى بعد عشرين ياردة منه .

« والان ، ياسامبو ، اذا جاء احد ، فارقد منخفضا وساكنا جدا . دعهم يدخلون الى الحقل وهم يظنون انهم سيفلتون بشىء . وعندما أطلق النار ، أطلق انت . ســوف يسمعون كل هذا القصــف يأتى من طرفى الحقل ، وسوف يفزعهم هذا . وعندما يجرون لا تظهـر نفسك ولا تصرخ . فلسنا بحاجة الى ان يعرفوا من نحن بالضبط . وتذكر الا تطلق النــار الا حين أطلـــق أنا . » اســتدار ليمضى ثم اضاف ، « سامبو ، لا تقلق . سوف نطلق النار فى الهواء الى أعلا . انت تعرف أننى لن أطلق النار حقا على أحد ـ ولا حتى من اجل هذا البطيخ . »

جلس الصبى لمدة ساعتين تقريبا ، وقد اسند ظهره الى جذعة شـجرة ، وبندقية الرش ترقـد على حجره ، وكعبـاه العـاريان تحفران حفرا فى الارض الطرية ، وهو يحدق أمامه من آن لآخر من خلال الشجيرة التى تخفيه ليلمح أية علامة لمتطفل . كان مطيعـا التعليمات التى تلقاها بشأن البقاء هادئا لكنه كان يشعر انه كان فى الحقيقة يسلى صديقه . فلم يكن يتوقع أن يظهر أى لصوص . لم يكن ، على أية حال ، ملولا .

راقب اليراعات تطير فوق رأسه ، وجلس ساكنا جدا ليرى الى أية مسافة يثب ارنب صغير ضال قبل ان يكتشف انه كان فى خطر . لاحظ بابتهاج كيف أوقع طائران محاكيان العار بغراب متطفل ودفعاه الى التراجع السريع عندما حط على الشجرة التى يحتضنان فيهـا بيضهما . كان هناك الحقل دائما ليراقبه ، جميلا ، خصبا ، وممتدا ، وقد نقطته بكثافة ثمار عمل صيف هائلة الحجم ، لايمكن أن ترجع حدوثها . كان يأمل أن يكسب بعض المال حقا . كان يريد أن يكون

له شيء منه ، لكنه كان يأمل بحرارة ان يكسب بدى ما يكفيه حتى يتزوج . وخطر بباله أنه ربما يضيف جزءا من نصيبه هو اذا لم يربحا مايكفى بدي ليحقق هدفه في الحصول على خمسين دولارا. وقال لنفسه ، قليلا منه .

ووسط احلامه ، اصبح واعيا بأصوات . حدق من خلال الشجيرات وتحرك بهدوء في شكل رابض . لم ير احدا . كانا مايزالان على مدق العربات . وبينما كان يراقب ، ظهر ثلاثة صبية في سن المراهقه كلهم يرتدون حلل العمل وكلهم حفاة . كان اثنان منهم من أبناء دارنل وكانا يعيشان في المزرعة . وكان الثالث صديقا ومنافسا في لعبة البيسبول من عزرعة ويفر أسفل الطريق . راح يراقب الثلاثي بفضول ، وقد اثارته تلك المقاطعة لحراسته .

سمع أحدهم يصيح ، « هو - وى . هل رايت في حياتك شيئا مثل هذا ؟ » .

وأجابه جاره ، « يالله القدير ، هذه أجمل رقعة بطيخ رأيتها في حياتى » .

وأعلن الاخ الاكبر ، « انا أرى البطيخة التى سنأنالها . سوف أتى بتلك البطيخة العجوز الكبيرة التى تختفي تحت تلك الاوراق حيث الجو رطب نوعا ما . سوف اكسرها بقبضتي اولا وآكل مجرد القلب منها . هيا بنا » .

وبهذا مضى الصبية الثلاثة الى داخل رقعة البطيخ . لم يستطع الصبى أن يصدق عينيه . لم يكونوا يبذلون أى مجهود على الاطلاق ليتجنبوا أن يطأوا التعريشات . بل انهم لم يكونوا يرفعون اقدامهم الى أعلا . كانوا يدوسون على الاوراق بلا مبالاة قاسية ، وكان يستطيع أن يستدل من انتفاضات التعريشات أن أقدامهم كانت تشتبك بالسيقان المتمددة وانهم كانوا ينفضونها باهمال في كل خطوة . ملأه الغضب . كان الحقل يدنس . كانت حرمة مكان مقدس تنتهك .

نهض بطول قامته من خلف الشجيرة ، وقد امتلأ قلبه بالغضب بشكل كامل وفجائى الى درجة أنه لم يعد مكترثا باكتشافه . وفى نفس اللحظة التى مال فيها صبيان ليقطعا بطيخات مختارة بعناية من تعريشاتها ، دوت بندقية بدي من نهاية الحقل . افزعت الصبى بشده الى حد انه اسقط سلاحه تقريبا . وكان التاثير على المتطفلين الثلاثة فوريا . فبخوار مفزع ، قفزوا في الهواء ،

واستداروا ، وشرعوا يتسابقون خارجين من الحقل باتجاه طـريق العربات .
رفع الصبي بندقيته ليطلق النار في الهواء ، لكنه استشاط غضبا من الاذى الذى كانت اقدامهم الهاربة تنزله بنباتات البطيخ . وبدا له انهم كانوا يمزقون نصــف الحقل . اخفض ماســورة البندقية وصوبها متعمدا بين كتفى الصبى الذى كان الى اليسار .
« بام ! » ردد السلاح الصدى فى أذنيه . أطلق الهدف صرخة وثبة اضافية . تعقعة ، وانزلاق ، وانزلاج . بام . دفع البندقية فى كتفه واطلق النـار على الثانى ، ثم بسرعة مرة اخـرى على الثالث .
كان بدى قد نهض من موقعه وكان يلوح بذراعيه في جنون ويصيح « توقف ! توقف ! توقف ! » .
جعل هذا الثلاثى النهاب يجرون فقط اسرع ، اذا كان ذلك ممكنا . اختفوا اسفل طريق العربات أسرع من الارانب وبنفس السكون . ووقف الصبى ، والبندقية تتدلى فى يديه ، يرتعد بفعـل عـدم التصديق والغضب الذى كان ينحسر ، فى حين جرى بدى اليه .
« بالله القدير الطيب ، ياصبى ! ماالذى جرى لك ؟ تعظنى بشان عدم أطلاق الرصاص علىأحدبسبب بطيخة،وتصيب ثلاثةمتتاليين . »
وصمت ثم اضاف ، « كان هذا اطلاق نار طيب ، ايضا . لقد أصبت ثلاثتهم فى مؤخراتهم . من حسن الحظ ان مالديك كان خرطـوش طيور ، وانك كنت بعيدا كما كنت . والا اعتقد انك ربما قتلت احدا ! » .
« بدى ، هل تحسب انهم على مايرام ؟ لا ادرى ما الذى دهانى . الطريقة التى كانوا يعبثون بها فى حقلنا . وعلى حين غرة كنت أريد حقا أن اقتلهم . انا لا احب ما كنت اشـعر به . هـــل آذيتهم أذى سيئا . »
« لا ، لاتقلق . لم تؤذهم اذى سيئا . ربما تكون قد اطلقت مجموعة جراء عليهم ، لكنك لم تخدش حتى الجلد ، على البعد الذى كنت عليه . واذا لم يموتوا من سـكتة قلبية ، فسوف يكونون على مايرام . »
« بدى ، ارجوك الا تخبر ابى . وارجوك الا تطلب منى أن افعل هذا ثانية . اننى خائف . فقد كنت اريد حقا ان اقتـــل اولئك الصبية . »

« لن اخبر احدا ، ولن اطلب منك ان تفعل هذا ثانية . لقد افزعتني انا ايضا . » وفكر لحظة ثم اضاف قائلا ، « اتوقع ان اظل هنا مابقي البدر ، لكنني سوف أدهش حقـــا اذا جاءتنا صحبة اخرى . وأتوقع الا تلقى بالا الى هذا . سوف يذيع الخبر ، واعتقد ان الجميع سوف يبقون بعيدا عن هذا المكان . »

وبعد ذلك بأسابيع سمع من احد الرفاق فى حظيرة الابقار ان بدي كان انسانا سيئا بالتاكيد . فقد أطلق النار بالفعل على ثلاثة صبية لم يكونوا يفعلون شيئا سوى أنهم كانوا يسيرون عبر رقعة بطيخه العجوز وهم فى حالهم . بل ان اثنين منهما كانا ابناء عمومتـه ومن حسن حظ بدي انهم لم يخبروا امهم . وبشعور مغـرور بالامان ، أكد الصبي لمحدثه ان بدي لم يكن ممن يعبث بهم وان أولئك الصبية كانوا اذكياء اذ لم يثرثروا .

فى الاسبوع التالى قاما بجنى المحصول . كان عددا كبيرا مـن البطيخ الممتاز تزن الواحدة منه عشرين رطلا . بل ان بعضها كان يزن أكثر . استأجرا احد الانفار من المزرعة ليساعدهما مقابل مبلغ خرافي يبلغ دولارا ونصف فى اليوم . كان اسم الصبي ج.س . وكان فى لون الشوكلاتة . كان غبيا مثل طبق غسيل لكنه كان يمتلك ظهرا وذراعين ورجلين ، والفضيلة الكبرى أن يفعل مايطلب منه . كان بامكان بدي أن يجلده ، وبامكان الصبي ان يتكلم أكثر منه ، وهما نقطتان جعلتا منه مستخدما مثاليا .

ظلوا يسحبون البطيخ مدة يومين . ربطوا بت وكلايد فى العربة التى يجرها حصانان ، وراحوا بسيطونهما خلال الحقـــل — الى اعلا خط ثم الى أسفل الخط الاخر . كان بدي يقطف البطيخ من جانب ، و . ج . س . من الجانب الآخر ، وقد وقف الصبي فى العربة ليرتبها برقة وهى تسلم اليه . كانت عجلات العربة المكسوة بالحديد تسحق التعريشات وتدكها وهى تعبر عليها ، وكان البغلان المهملان يضعان حوافرهما الثقيلة حيثما كان يروق لهمـا . شـعر الصبي انه يرتكب نهبا واغتصابا شبيهين بجرائم القوطيين الغربيين والشماليين الملعونين ، رفع بدي عينيه اليه وشـعر انه كـان مضطربا .

« اسمع ، ياسامبو ، دعني اقود العربة فترة وانت تحملها بالبطيخ . لا تنزعج بشأن تمزيق التعريشات . فقد انتهينا منها . وقد ذوت حالما نضج البطيخ على اى حال . هذا هو ماعملنا من أجله بجد ال

انصيف ، وقد عملنا عملا طيبا . وانت على الاخص . واراهن ان هذه هي رقعة البطيخ الوحيدة في كل ولاية جورجيا التي لا توجد بها اعشاب الخنزير او البن البرى . »

وما ان روض نفسه على ضرورةدك التعريشات وتكويمها ، وهى التي ظل الصبي متعلقا بها لفترة طويلة في حالة نقائها الريفى ، حتى استخف المحصول الصبي . لم يكن قد ادرك كم كان لديهم من بطيخ . وبنهاية اليوم الاول كانوا قد جمعوا كومة تخيلها بارتفاع جبل ستون . تركا ج . س . حارسا ضد اللصوص في حين اقتادا هما البغلين في ذلك المساء .

كان بدى يشعر بفخر عظيم وهو يحمل بطيخة لكل عائلة في المزرعة وستا لاميهما . كان شعهما كأنه سانتاكلوز اسود لامع ، وكان استقباله استقبالا منتشيا . فقد اختار اضخم بطيخ في الكومة ، وكان ثقيلا الى درجة أن الصبي وجد مشقة مع وزنها الاملس الناعم . وبالتالي فانه قاد العربة ، وبدى يقفز منها عند بيت كل مؤاجر ، ويرفع كرة خضراءهائلة الحجم الى كتفيه ،ويشق طريقه خلال زنوج يثرثرون باهتياج ، وأسنانه وعيناه تتوهج ، ولثته الصحيحة تلمع ، وضحكته العالية الجميلة تجلجل في الغروب . كان كل مفصل في الصبي يوجعه ، لكنه كان سعيدا ايضا .

وفي اليوم التالي جاء السيد مارك هيويل ومعه نفران وعربته الضخمة ، والحاجزان على جانبيها يرتفعان بارتفاع قامة رجل فوق العربة . كان الاب قد اتفق معه على حمل البطيخ على طول الطريق الى اللانتا وان يبيعه الى تاجر جملة . وانتهوا بثلاثة أحمال كبيرة ، وكان وقت الغروب قد أوشك حين انتهوا من الحمل الاخير .

انتقى الصبي و ج .س بطيخة ، وهما يشعران بالتعب والجوع . كسرها ج . س . بضربة خبيرة من قبضته ، واقتطع كل منهما قطعة من قلب لحم البطيخة الاحمر الناتىء الهش ، الخالي من البذور والذى كان يبدو باردا في حلاوته . رفض بدى دعوتهما .

قال ، « لا ، لا اريد شيئا الآن . وفي الحقيقة انا لست متأكدا انني سوف أريد اى شيء بعد ذلك . فانا أشعر بالسأم من البطيخ في هذه اللحظة الى درجة انني لا ابالي اذا لم ار واحدة في حياتي . »

استعرض رقعة التحميل ببصره . « سامبو ، لدينا حوالي مائتين بقيت هنا وتلك العربة العجوز لن تعود من أجلها . دعنا نستعير

عربة ابيك ونبيعها نحن بأنفسنا فى عصر الغد فى بروتنتون . نستطيع ان نطلب خمسين سنتا فى الواحدة من هذا البطيخ العجوز الكبير ، حتى نصل الى عشرة سنتات لهذه البطيخات الصغيرة المتعقدة . سوف نذهب غدا بعد الغداء مباشرة ، فنتصيد كل رجل اسود فى البلدة يعمل فى النهار ويحمل فى جيبه قليلا من المال . »

« تلك فكرة عظيمة ، يابدى ، سيكون هذا أول ما اطلبه من ابى فى الصباح . »

« انت تعلم انه سيسمح لك بها . سوف اذهب الى البيت الكبير واحضر المفتاح والعربة الى هنا وسوف نقوم بتحميلها ونتركها فى الفناء الليلة . وتستطيع أن تطلب العربة منه وهى ممتلئة تماما كما لو طلبتها منه وهى فارغة ، ولن يسرق احد فى كل هذه المقاطعة اى بطيخ من فناء السيد بورتر أوزبورن الخلفى . واستطيع أن انام ناعم البال الليلة . »

ضحك الصبى ، « استطيع ان انام ناعم البال الليلة اذا سرق احد السرير من تحتى . كنت محقا بشأن الانتظار حتى أقرر ما اريد ان افعله . لابد أن هناك طريقة أفضل لكسب العيش من هذه . اذهب واحضر العربة ، وسوف ننتظر انا و ج . س . هنا ونساعدك فى تحميلها . »

كانت العربة دودج قديمة ، قد انبعجت وتغضنت حواجز الاصطدام فيها والجزء المغطى منها بفعل سنين من الاستخدام الحماسى ، ويظهر فيها الآن صدأ اكثر من طلائها الاسود . كان لها ، على اية حال آلة حركة يمكن سماعها وتمييزها على بعد ميل . كان لها قاع مسطح مركب عليها الواح عرضها اثنتا عشرة بوصة كحاجزين جانبيين . وقد فرشها بدى بطبقة سميكة من قش القمح لتوسيد البطيخ . عمل الصبية الثلاثة بسرعة وسرعان ماكان حصاد المحصول قد حمل عليها فى شكل تل متوازن باستواء من بيضاوات داكنة الخضرة يبرز من بينها قش أصفر . وفكر الصبى أن العربة القديمة لم تبد أبدا حسنة بهذا الشكل .

أوقفوها فى الفناء الخلفى ، بين البئر ومكان الاغتسال تماما . فحصها بيج بوى وسبوت فحصا شاملا وتبولا على العجلات الاربع . وتأكد الصبى ان اى متطفل اثناء الليل سوف يعلن النباح المهتاج عن وجوده . نام نوما عميقا بل انه لم يسمع أباه وهو يعود .

عندما ذهب فى صباح اليوم التالى عند طلوع الشمس ليحلب ،

افتقد احدى البقرات . عرف انها كانت مهتاجة ووجدت فتحـة فى سور فناء الحظيرة ونفذت منها فى بحثها البدائى اليائس عن رفيق. لم يكن بالمزرعة ثور ، وخمن الصبى انها ستكون فى مزرعة ويتاكسر على بعد ثلاثة أميال الى الغرب . كان يعرف أن عليه أن يجـدها ، على اية حال . حلب البقرة الاخرى وأسرع عائدا الى البيت لتناول الافطار .

كانت العائلة قد سبقته الى الطاولة وتليت صلاة التبريك . لم يكن ينقص الا الاب ، الذى كان قد جاء متأخرا الى البيت ، وكان سينام الى وقت متأخر . انزلق فى كرسيه ، وملأ طبقه بالبرغل ، وقطعة من لحم الخنزير ، وقطع بسكويت ساخنة بزبد سائل يتسرب من قشرتها ، وشريحة من الطماطم الطازجة .

قال ، « أمى ، لقد خرجت ستل العجوز أثناء الليل ، ولابد أن اجدها ، واظنها عند السيد ويتاكر . اذا غادر ابى البيت قبـل ان أعود ، أخبريه أن بدى وانا نريد استخدام الشاحنة لبيع ماتبقى من بطيخنا فى البلدة عصر اليوم ونساله اذا كان هذا يوافقه ، ارجوك يا أمى . »

وافقت أمه ، « سوف أساله نيابة عنك ، يابنى . وقـد قـال ليلة الامس عندما اوى الى الفراش أنه يراهن ان هذا ماكنت تنويه . فقد راى الشاحنة حين جاء . ماذا دهى تلك البقرة العجوز ، اذتغادر المرعى فى حين أن كل الطعام الموجود فى العالم موجود به ؟ وما الذى يجعلك متأكدا انها هناك فى مزرعة ويتاكر ؟ »

طالت فترة الصمت التى أعقبت سؤالهاالى حد مزعج . تطلـع الصبى يائسا فيما حول الطاولة . كان كل الكبار يمضغون مثل ذكور الماعز ويحدقون فى اطباقهم كما لو كانوا قد اكتشفوا خرائط كنوز تحت طعامهم . كان الجد قد صب قهوته فى طبق الفنجان لتبرد وكان يرفعه لتوه الى شفتيه . تعلقت عينا الصبى بعينيه بنظـرة متوسلة . وضع العجوز طبقه ومسح فمه .

قال باستمتاع ، « آآآه ، يارب . فيرا ، لاتقلقى بشأن تلك البقرة ، ولا تسألى اى أسئلة اخرى . » واسـتدار الصـبى ، « تأكد من ان تأخذ حبـلا معك » قالها ناصـحا . واستدار الى زوجة ابنه وأضاف بطيبة ، « تلك مسـألة تخص الرجال . لست بحاجة الى القلق . »

وفيما بعد ، بينما كان يسير وحيدا حافى القدمين أسفل الطريق

الطيني في الصباح الصيفي الذى كان مايزال رطبا ، كان الصبي قانعا للغاية . لم يكن كسر روتينه غير المتوقع هذا يضايقه على الاطلاق ولا اضافة عمل جديد الى واجبات يومه . والحقيقة انه كان يتطلع الى هذه الرحلة باستمتاع . فمن بين كل الحيوانات التي شاهدها تتزاوج حتى الآن ، كان يحب البقر بشكل افضل .

في وقت مبكر من الصيف ، كان قد تسلل مع احد رجال المزرعة كان ينقل بقرته الحلوب الى ثور السيد ويتاكر لتعشيرها . كان الرجل المتين العضلات يواجه معركة وهو يدفع البقرة حتى تتحرك على الطريق الكبير لمسافة الميل الاول . كان قد ربط حبل حسرث حول قرنيها ، وكانت اما تحرن ،وقد وسعت مابين قوائمها واخفضت راسها في منتصف الطريق في حين راح الرجل يوسمها جلدا بطرف الحبل ، او تطوح براسها في عنف وتحاول ان تقفز فوق الحفر .

كان العرق يتساقط من الرجل بغزارة وهو يتمتم بلعنات باهرة . وبعد ان سحبت ، ورجت ، وركلت لمدة ساعة ، رفعت البقرة الحرون راسها ، واسقطت اذنيها الى الامام ، واطلقت خوارا عاليا . وشرعت تسير بسرعة وهي تجرر قوائمها على الطريق الى مزرعة السيد ويتاكر .

قال الصبي ، « ياالله ، ياويس ، ماالذى دهاها فجاة ؟ انها طيبة للغاية الآن . »

واجابه الرجل وهو يتصبب عرقا ، « آه ــ هه . لقد شمت رائحة ذلك الثور العجوز ، وهي تعرف الى اين هي ذاهبة . »

وفي تلك اللحظة سمعا خوارا حنجريا عميقا يجيبها على بعد . انطلقت البقرة تعدو وكأن مفاصلها قد تفككت ، وهي تطوح برأسها الى الخلف بخوار متصل من آن لآخر وتقذف بأحبال طويلة من لعابها فيما حولها .

وتمتم ويس ، « ذلك الثور العجوز يشمها ايضا . امسك قبعتي ، ياسامبو . على ان اتشبث بهذا المخلوق الان ، بشكل تأكيد . » .

ولن ينسى الصبي نصف الميل الاخير الى مزرعة السيد ويتاكر . كان ويس يمسك بحبل محكم مشدود وهو منجذب بشكل طول خطوته في العدو اسفل الطريق الكبير بفعل البقرة الراكضة الان وقد ركز عقلها في شيء واحد . كان الصبي يعدو بأقصى مايستطيع لكن

سرعان ماتخلف . وقد ظن أن ويس كان يسجل رقما قياسيا ما في السرعة بالنسبة لانسان حتى تعثر وسقط ، وانتزع الحبـــل من يديه صافرا في الهواء ليقع في ثنيات تجرها البقرة الهاربة خلفها . ومدفوعا بقوة اطلاقه الفجائية ، سقط ويس متدحرجا في تراب الطريق الاحمر . جرى الصبى اليه وهو يتدحرج حتى وصل الى وضع جالس .

سأله وهو يقدم له قبعته ، « يا الهى ياويس ، هل انت على مايرام ؟ » .

« نعم ، اناعلى مايرام ، لكن تلك البقرة اللعينة كانت تقتلنى . هيا بنا نسرع الى حظيرة السيد ويتاكر لانها سوف تحطم سور حظيرته لتصل الي ذلك الثور . »

قال الصبى وهما يسرعان الى الحظيرة ، « لم اكن اعرف ان هناك الكثير من الامور فى هذا . » ثم اضاف بجرأة ، « أن التزاوج يمكنه ان يكون خطرا ، أليس كذلك ؟ »

طوح ويس برأسه الى الخلف وضحك باستمتاع وهو لايصدق ، « من المؤكد انه يمكنه ان يكون كذلك ، ياسامبر . بهذا الحبل الذى اعتراها ايضا . ونظر الى الصبى بابتهاج ، « تذكر هذا ، وسوف تكون فى أفضل حال طوال عمرك . »

عندما وصلا الى الحظيرة ، كان السيد ويتاكر وابنه ، جـون ويزلى ، قد سبقاهما اليها ، وقد اجتذبتهما التنغيمات المتنافرة المترددة التى كانت الحيوانات المتلهفة تطلقها . كان الثور جزئيا مـن جيرزى ومحاربا قديما فى وظيفته . كان يخور ويرسل كتلا ترابية كبيرة فوق ظهره بدفعات متحدية من واحدة من قوائمه الامامية ثم من الاخرى .

قال ويس محييا ، « صباح الخير ، ياسيد ويتاكر . هـل مـن الممكن تمشير نقرلى ؟ يمكننى أن اعمل لديك نصف يوم يوم السبت القادم . »

أجاب السيد ويتاكر ، « كيف حالك ، ياويس . لا بأس . » اقتطع لنفسه قطعـة من التبغ وهز رأسه لابنه ، « افتح البوابة ، ياجون ويزلى . »

كان ابنه ، الذى كان فى الخامسة والعشرين ، والذى كان بعينيه الزرقاوين الفاتحتين نظرة ضارية ، يعتبر غريبا من قبل الجميع فى المجتمع . كان قد ترك الدراسة فى الصف الرابع لانه بلغ الثـانية

عشرة ورغم ذلك لم يتعلم القراءة . وكان يعمل في المزرعة بشكل متقطع لكنه كان يقضي جل وقته يناقش ابويه في السياسة او في اشياء سمعها في الراديو . كان يستطيع ان يفكر بشكل طيب شأن اي واحد آخر ، لكنه لم يكن يستطيع القراءة البتة .

وبينما كان يجاهد مع البوابة الخشبية الكبيرة ، وثب ويس الى الامام ، « دعني انزع الحبل من على هذه البقرة العجوز والا شنقت نفسها او دقت عنقها . »

بهرت المواجهة الفعلية الصبي . فبعد كل تدافعها المهتاج لتصل الى هناك ، اصبحت سهلة الانقياد تماما ولا مبالية حين أدخلت اخيرا الى الحظيرة مع الثور . وقفت ببساطة هناك في منتصف الفناء وقد مدت راسها وقوائمها مفتوحة . ومن آن لآخر كانت تبول . لكن الثور كان نشطا .

راقب الصبي كل تفصيل من تفاصيل العملية بفضول مفزع . استند ويس والسيد ويتاكر جانبيا على السور ، وهما يخاطبان احدهما الاخر بشكل متقطع عن المحاصيل أو الطقس ، وهما يتصرفان كما لو كانا غير واعيين بالنشاط الجنسي الذي كان يجري وراء مرفقيهما تماما . رأى الصبي موقفهما اقصى مايمكن أن تصل اليه اللامبالاة لكن لم تكن لديه رغبة في أن يباريهما .

اعتلى السور وتشبث به مثل حيوان الابوسوم ، وراسه الابيض يحدق من فوق السور بتركيز كامل . وعندما قطع الثور تشممه ولعقه ليقوس عنقه السميك تجاه السماء ، ويهز رأسه الكبير ببطء وبطريقة طقوسية جانبيا وقد طوى شفته العليا السميكة في تكشيرة مشدودة ضحك الصبي بصوت عال . وتساءل اذا كان ذلك يعني أن رائحتها كانت سيئة الى درجة أن الثور لم يكن يستطيع أن يتحملها أو طيبة الى درجة انه لم يستطع أن يحتملها . لكنه لم يضحك حين وثب المخلوق الكبير الحجم على قائمتيه الخلفيتين ونزل بثله الرهيب مصطدما بظهر البقرة الصغيرة المذعنة المقوس الى أسفل .

راقب بانتباه مستغرق بينما تكررت عملية التزاوج مرة بعد مرة ، وانضم جون ويزلي اليه على السور . كان ويس والسيد ويتاكر قد سارا بعيدا وكانا يجلسان على ظهر العربة ، وهما مايزالان يثرثران .

سأله جون ويزلي ، « هل تريد ان تصعد الى مخزن التبن لتراقب ؟ تستطيع أن ترى جيدا من هناك . »

أجابه الصبي ، دون أن يحول نظره عن فناء الحظيرة ، « استطيع ان اري كل مااستطيع ان اتحمله من هنا بالضبط . »
ناداه ويس ، « انزل من علي ذلك السور ، ياسامبو . حان الوقت لكي نرحل . لقد استخدمها خمس دقائق ، واذا لم تكن قد التقطت حتي الآن ، فهناك خطأ ما . »
دهش الصبي من التحول الذي طرأ علي البقرة في طريق عودتها . كانت تسير متمهلة في طرف الحبل طيعة مثل كلب عجوز ودود . كان انتباهها فيما يبدو في مكان آخر لكنها كانت متعاونة تماما . ولاحظ أن ذيلها كان مرتفعا الي اعلا مباشرة طوال الرحلة كلها .
سأله ويس ، « ماذا كان جون ويزلي يقول لك ؟ »
« لا اذكر . شيئا عن رؤية افضل من مخزن التبن ، ويس ، ظننت أن ظهر بقرتك كان سيكسر . هل تحسب أنها علي مايرام ؟ »
« يا الهي ، نعم ، ياسامبو ، انها تشبه البشر . فالثور يقوم بكل هذا التبختر والتباهي ، وهو يبدو كبيرا جدا وخطيرا ، ولكنني لم ار مطلقا بقرة صغيرة الي هذا الحد لا تستطيع ان تأخذ كل ماعنده . اياك أن تذهب الي مخزن التبن مع جون ويزلي . فهناك مايوحي بأنه ليس صحيحا بالضبط . احتفظ بقدميك علي الارض . »
تذكر الصبي تلك الرحلة السابقة في هذا الصباح حين ذهب وحده يبحث عن ستل العجوز . كان حكمه صحيحا . كانت بالفعل في مزرعة ويتاكر ، وعندما وصل كانت بالفعل في الفناء مع ثور ويتاكر . كان جون ويزلي يجلس اعلا السور ، يراقب بحيوية . استدار هابطا حين اقترب الصبي .
« نزلت لاطعم الحيوانات هذا الصباح ، وكانت بقرتكم تنتظر خارج البوابة ، وهكذا أدخلتها . لقد فعلها معها ست أو سبع مرات وقد أكتفت تقريبا . »
قال الصبي : « اشكر لك اعتناءك بها . لقد خرجت في وقت مامن الليل ، وخمنت أنها ستأتي الي هنا مباشرة . اذا لم يكن لديك مانع في مساعدتي ، فسوف أضع حبلا علي رقبتها وآخذها الي البيت . »
« ليس لدي مانع في مساعدتك . » وسار ببطء بإتجاه الصبي . « ولكن دعنا نصعد الي مخزن التبن بعض الوقت أولا .. اخفض صوته الي درجة السرية . « فمن الممتع ان تراقب البقر وانت تمارس العادة السرية . »

وضع يداً على كتف الصبي . فكر الصبي في الاقتراح باهتمام مذهول . لم يكن قد شاهد مطلقا مثل هذه الممارسة في الآخرين ، وكان احتمال مشاهدتها في رجل ناضج مغريا . ورغم أنه حاول ان يتخيل جون ويزلي منخرطا في هذا ، الا انه قرر بسرعة انه سيكون مضحكا مثل الكلاب . ومع ذلك ، فربما كان من الممتع أن يشاهده . شعر بيد الرجل تعجن كتفيه وتشرع في تدليك ظهره .

اسر اليه جون ويزلي ويده الملاطفة تتحرك الى أسفل الى خاصرة الصبي ، « وربما شجع احدنا الاخر . »

ملأ الخوف والاحساس بالعار الصبي باندفاع مفاجيء . تحرك الى الخلف ونظر الى اعلا في عيني الرجل الكبير الزرقاوين .

قال وهو يكبت أية رعشة خوف في صوته ، « يحسن بنا الا نفعل ذلك ياجون ويزلي ! » واضاف بجدية ، « فمن المؤكد انني لا اريد بسوع ان ياتي ويجدنا نفعل ذلك . »

نظر الرجل اليه وادار راسه . تمتم ، « نعم ، أظن انك محق . هيا بنا ودعنا نحضر بقرتك . »

« وعلاوة على ذلك ، » اعلن الصبي باهمية ، «فعلى ان اعود الى البيت بسرعة لاساعد في نقل البطيخ . »

« سمعت انكم حصلتم على محصول جيـــد . كان أبي على الطريق بالامس حين كانوا يحملون وقال انه كان اجمل ما راى على الاطلاق . » وسلم للصبي الحبل الذي كانت البقرة مشدودة اليه الآن .

قال بوجهه ، « لا تقل اى شيء عما طلبته منك . كنت امزح معك فقط . »

« طبعا ، كنت اعرف ذلك طول الوقت ، لابد انك كنت تمـــزح لقد نسيت الامر كله . »

وحين كان عائدا الى البيت والحبل على احد كتفيه والبقـــرة السهلة الانقياد تمشي بتثاقل خلفه . همس بورع ، « شـكراً ، يارب ، على قوة وجودك المقدس في المحافل على خادمك المتواضـــع بمقدوره أن يراه مختبئا ، خطر له ، أنا حقا صالح لانني لم أذهب ، وفي أعماق عقله في المكان السري حيث كان يعرف ان الرب لم يكن بمقدوره ان يراه مختبئا ، خطر له ، انا حقا صالح لانني لم اذهب ، ولكنني حقا سيء اذ أظل اود لو انني ذهبت .

عندما عاد الى البيت من مهمته ، كان أبوه قد ذهب الى البلدة .

اخبرته امه انه هو وبدي قد حصلا على الأذن باستخدام الشاحنة ، ولكن كان عليهما ان يتوقفا عند الصيدلية قبل ان يبيعا اى بطيخ ويقابلا الاب : ابتلع غداءه وهو في حالة اثارة وانطلق صارخا عبر الحقل الى بيت بدي .

توقف الاثنان والتقطا ج . س . الذي لم يكن سيتقاضى شيئا عن مساعدته لهما عصر هذا اليوم لكنه جعلهما يعداه بأن يدعاه يقوم بالرحلة على اية حال . اجلسه الصبي فى المنتصف وهو يطوق الباب الايمن بأن يقبض عليه بمرفقه . كانت الريح تصفر ممتعة خلال شعره والشاحنة القديمة تحدث اصوات فرقعة وتهدر على الطريق الترابي تحت يد بدي الخبيرة . توقفوا فى الحفرة الرملية الضحلة عند دار القضاء ، ونزل الصبي من الشاحنة ليعبر الشارع ويجد والده . لكن ذلك السيد كان بالفعل يتجه نحوهم ، بعد ان سمع ورأى وصولهم . مد يده فى جيبه واخرج ربع دولار . قال وهو يسلمه الى ج . س . « اذهب الى هناك واحضر لنا كوكاكولا مثلجة تماما ، يافتي . »

وبينما راح ج . س . يعدو بابتهاج عبر الشارع المترب ، استدار الاب الى الصديقين . « كنت اريد ان اراكما انتما الاثنين دقيقة وحدكما . لقد حسبت تكاليف السماد والبذور ، وانا على استعداد لان اسوي الحساب معكما عن نصف محصولكما . فقد دفع لى السيد هيويل ليلة الامس عندما عاد من السوق . »

دفع يده في جيبه الآخر واخرج ربطة مطوية من أموال خضراء . كان العملات الورقية جديدة الى درجة انه كان مضطرا الى لعق ابهامه من آن لآخر وهو يفصل بينها . كانت جميعا من ذوات العشرين دولارا . عد ثمان منها ومدها الى الصبي . « هاك مائة وستون دولارا عن نصف محصولكما . لا تنسى ان تقتسمها مع بدي . واريدكما ايها الصبيان ان تعلما انني لم ادهش في حياتي بهذا الشكل . فقد كسبتما أكثر من ضعف ماكنت اظنكما ستكسبانه من تلك الرقعة . واود لو علمت انني سوف اربح مثله فى كل فدان من قطني . »
واستدار الى بدي المذهول . « اريد ان اتحدث معك هذا الخريف . فيكبر حجمك هذا وبجديتك في عملك هذه ، ربما تكون مستعدا ان يكون لك محصول خاص بك . سوف نتكلم فى هذا . »

قال بدي ، « اجل ياسيدي . ياسيد بورتر ، اجل ياسيدي .

سوف ناتي اليك بنصف ما يخصك من هذا البطيخ بمجرد ان تبيعه . » .

قال الرجل الطويل القامة في الثياب البيضاء ، « لا ، فلتحتفظا يا أولاد بالمال الذى تكسبانه عصر اليوم لنفسيكما . » ووضع يدا على كتف كل صبى . « أريدكما أن تنتهيا من بيع البطيخ ، رغم هذا ، وان تغادرا البلدة الملونة قبل حلول الظلام بكثير . لن تنسيا ذلك ، أليس كذلك ؟ كم تنويان أن تطلبا ثمنا لهذا البطيخ ؟ » .

« حسنا ، لقد فكر بدى اننا قد نحصل على خمسين سنتا لهذه البطيخات الكبيرة الاثنتى عشرة حتى خمسة سنتات للبطيخات الاصغر . »

« افعلا ماتشاءان ، ولكن لو انكما سألتمانى نصيحتى ، لقلت لكما تقاضيا عشرة سنتات للبطيخ الصغير . فأنا لم أر أى بطيخ آخر فى البلدة بعد ، واعتقد انكما يمكنكما الحصول على ماتطلبان . ثم لا تأخذا اقل من ربع دولار فى أى من البطيخ المتوسط . »

هاهو ج . س . ياتى بالكوكاكولا لكما . لا تنسيا أن تعودا الى هنا من البلدة قبل حلول الظلام . وافضل من هذا ، تعاليا الى الصيدلية واخبرانى قبل ان تعودا الى البيت مباشرة . »

وعده الصبى والثلاثة يعودون الى ركوب الشاحنة ، و ج . س . فى المؤخرة مع البطيخ ، « أجل ، ياسيدى ، سنفعل . »

واضاف الاب قائلا ، « على فكرة . اليكم دولاراً . انا أشترى اضخم بطيختين لديكما . اتركوهما فى الشاحنة واحضروهما الى بعد أن تبيعا كل البطيخات الاخرى . »

وبينما كان تجار البطيخ ينعطفون حول ركن شارع الكنيسة ، المؤدى الى بلدة الملونين ، قال بدى ، « ان ابالك رجل طيب آخر ، ياسامبو . لقد سلمنى ثمانين دولارا عصر هذا اليوم ، ولم يكن مضطرا الى تسوية الحساب عن كل شيء . انا لا استطيع ان اصدق اننا كسبنا بالفعل كل هذا المبلغ . سوف يكون هذا كافيا لان اجعل تت تشترى سريرا وخوانا . وسوف أتزوج فى عيد الميلاد بالتأكيد . »

كان مبتهجا وسعيدا الى درجة ان فنه فى البيع كان لايقاوم . باعوا بطيخا فى شارع الكنيسة ، ثم مضوا عبر قضبان السكة

الحديدية الى هولي هيل وباعوا اكثر . لم يضطروا الى ان يتجولوا بها من منزل الى منزل . كان الناس يتجمعون حول الشاحنة حينما تتوقف . كان هناك مزاح طيب ومحاولات للمساومة ، لكن بدي تمسك بالثمن الذي قرره سلفا . بل كانت هناك محاولتان للمقايضة من فتاتين كانتا تدوران بعيونهما وشفاههما بايحاء لا يخطأ .

وعندما راجه الصبي بدي بهذا الاحتمال بتزمت ، ضحك وقال : « انهما تريدان بعضه على اي حال وتحاولان أن تريا ان كان باستطاعتهما أن تحصلا على بطيخة تضاف كشيء اضافي ، واتوقع أن تعودا مباشرة مع شخص ما يشترى لهما واحدة . واذا لم تفلحا ، فسوف نطلق ج . س . العجوز عليهما . فليس لدي وقت للغزل ، انا اكسب مالا ، مرحى للأرض الحمراء . »

وبغروب الشمس كانوا قد باعوا كل بطيخة معهم ماعدا الاثنتين المحتجزتين للأب . وقبل ان يقوما بتسليم هاتين الثنتين ويعودا الى البيت ، اوقفا الشاحنة في الطريق الرئيسي بجوار دار القضاء ليعدا أموالهما . تاولا ج.س . دولارين لانهما كانا يشعران بالشهامة فاختفى اعلا الطريق باتجاه محل بايك التجاري ومتجر بثمان العام . وجلس بدي والصبى على قاع الشاحنة المسطح ، وازاحا التبن عن نقمة ، وافرغا جيوبهما في كومة رئيسية واحدة . ومن هذه الكومة استخرجا البنسات ، والخمس سنتات ، والعشرات والارباع وانصاف الدولارات في اكوام منفصلة . وعندما انتهيا من العد النهائي ، كان لديهم سبعة وثلاثون دولارا وخمس وعشرون سنتا . تملكهما شعور غامر .

دفع الصبي تلقائيا بالكومة كلها تجاه صديقه ، وهو يمتطي قمة موجة من الانتشاء حول حظ طيب غير متوقع .

« اسمع ، يابدي ، اريدك أن تأخذ نصيبي مما كسبناه اليوم . فقد قمت بمعظم الشغل ، وانا لم افعل شيئا اليوم سوى الاستمتاع بوقتي . سوف أعطيك هذا كهدية زواج ، وان يصبح لديك حوالى مائة وعشرون دولارا تقريبا . »

احتج صديقه ، « سامبو ، لست مضطرا لفعل هذا . فقد رتبت كل شيء لهذا المحصول ، واشتغلت بجد تماما بالنسبة لحجمك مثلما فعلت أنا ، ولا اعتقد ان اباك كان ليسمح لي ان آخذ تلك الارض دون أن تكون انت فيها . » وصمت . « لاينبغي لي أن آخذها . والحقيقة

البسيطة هى انتى لست وجلا بما فيه الكفاية حتى ارفضها . ولذلك فربما كنت اكبر منى . اشكرك بكل عواطفى . ماكل هذا الذى يأتى على الطريق ؟ » سال فجاة ، وبحدة .

أصبح الصبى واعيا بأنه ، حتى فى بلدة كان ضجيج المرور فيها متقطعا فى افضل احواله ، كان هناك هدوء غير طبيعى . لم تكن هناك سيارة على مرمى البصر أو سيارة تدور حول ميدان دار القضاء. تذكر الصمت غير الطبيعى الذى يسبق الاعصار ، حين تكف حتى الطيور عن الصداح . فمن جنوب البلدة ، امام واجهة المدرسة تماما وممتدا حول المنحنى وفوق التل ، لمع خط طويل من اضواء السيارات الامامية ، وهى تقترب ببطء وثبات ، وفجاة ، حتى وهو مايزال ينظر ، انطلق فى الهواء فوق السيارة التى كانت فى المقدمة وهج نار . كانت ألسنة اللهب المتواثبة فى شكل صليب . دفعه بدى بخشونة وسرعة الى أرضية الشاحنة . كان ذراع بدى الثقيل الكبير يطوق كتفيه ، وكان صوته يائسا فى أذنيه .

« اخفض رأسك ، ياسامبو ! بحق الله ، اخفض رأسك وكن اكثر سكونا مما كنت فى حياتك ابدا قبل ذلك ! ينبغى ان أجرى ، لكننى لا استطيع ان اتركك ، وعلاوة على هذا فقد يروننى . بحق محبة الله ارقد ساكنا ! »

وخائفا من الذعر الواضح فى صوت صديقه ، رقد الصبى مسطحا على قاع الشاحنة ، وجسده النحيل يضمه الذراع القوى لصق بدى . خطر له ان ذلك لابد ان يكون الكوكلوكس . لقد سمعت عنهم ، لكننى لم ارهم ابدا .. ما الذى يمكن أن يكونوا يفعلونه فى بروتنتون ؟ .

جذبه بدى بشكل اكثر احكاما لصقه . « ارجوك ، ياسامبو ، اخفض رأسك : لا تبتعد عنى الان ! » تضرع اليه .

أصبح الصبى واعيا برائحة أبط بدى الخانقة اللاذعة . كانت مختلفة عن عرق العمل . كانت هذه رائحة الخوف . وعلى حين غرة غمره ادراكه ان صديقه لم يكن يحميه بل كان ينشد الحماية . كان ذلك الجسم الهائل الحجم المتين العضلات المرتجف يحاول فى الواقع أن يختفى خلف هيكله الضئيل المهزول . كان صديقه خائفا لانه كان ملونا ! وكان يضرع طالبا مساعدة الصبى لانه كان أبيض !

تلاشى منه كل الخوف والجزع وحل محلهما غضب عارم . قال

بنبرة حامية ضارية ، « بدى . ارقـد في سـكون ! ذلك مجـرد الكوكلوكس وهم لم تعد لهم قيمة . لا تخف وثق بى . »

كان يستطيع سماع محركات السيارات القادمة . كانوا على بعد اقل من مبنى . ومكافحا ليحرر نفسه من الذراع الذي يقبض عليه . مد يده وغطى بدى تماما بقش القمح . كانت الراس السـوداء الكبيرة مضغوطة جانبيا الى الارضية الخشبية للشاحنة . غطاها هي الاخرى . ووقف معتدل القامة تماما ، وراسه الصغير يلمع في اضواء السيارات القادمة ، ونظارته تومض في انعكاس الصليب الخفاق . دحرج البطيختين الكبيرتين الى الامـام في متنـاول اليد السـهل ، وجثم خلفهما ، وعجيزته مستقرة على أرداف بدى اسفله » .

كان الصليب يرتفع عاليا من المقعد الخلفي للسيارة الجـوالة المكشوفة التي كانت تقود الموكب . كان له رائحة الكيروسين والخرق المحترقة ، لكنه كان رغم هذا مشهدا يثير الرهبة . وكان البشـر المشتركون في الموكب اكثر اثارة للرهبة ، حتى استولى عليه الذعر تقريبا وهو ينظر . كانوا جميعا يرتدون اغطية رأس بيضاء حوافها ناتئة مع شارة غريبة تزين بعضها ، وقد غطاهم اللون الابيض تماما . كان لكل منهم قناع متراخ من القماش يتدلى تماما فوق الوجـه به ثقوب للعينين فقط . كان بعضها مظلما كهفيا ، ولكن خلف بعض الثقوب كان يمكن رؤية وميض مقلة عين حين تستدير وتلتقط الضوء المنعكس . وكان الشيء الاشد تاثيرا هو الصمت .

مرت السيارات المحملة برجال متبلدى الحس بلا حراك ببـطء الى أعلا الطريق الترابى ، ولم يصدر عن اى رجـل صـوت . كان صوت المحركات التي كانت تعمل بنعومة بأصواتها الانفجارية الخافتة الناعمة هو الضـجة الوحيدة التي يمكن سماعها . وعلى الرغم من أن راسا لم تستدر لتعبر عن اعترافها بوجوده ، فان الصبى كان متأكدا ان كل قناع كان يحدق فيه مباشرة . لم يستطع ان يتعـرف على احد ، ولا أن يتعرف على اى من السيارات حقا ، في ضيعة كانت سيارة كل واحد وحتى كل بقلة مألوفة بمجرد النظر .

وعبر الشارع كان بعض الرجال المتناثرين ملتصقين بشكل متصلب وبلا حراك لصق جدران المتاجر ، لكنه كان يشعر انه وحيد تماما وظاهر للعيان . وعلى حين غرة شعر انه مسئول ايجابيا عن بدى . نادى بصوت عال ، « بطيخ للبيع !بطيـخ طيب ، ناضج ، مليء

بالعصارة للبيع ! لم يبق الا مجرد اثنتين ـ الواحدة بخمسة وسبعين سنتا . »

مرت السيارات فى طابور بشكل ثابت . شعر بمؤخرة بدى تتكور الى أعلا فى عقدة صلبة . لم يكن أى واحد لديه اى حق فى أن يفرض مثل ذلك الصمت المليء بالاحترام ، ولا حتى موكب جنائزى او كلمة صلاه . لم يسعل حتى واحد .

راح يتصايح ، « اشتر آخر بطيختين لدى ، ياسيد . ما أن ابيعها استطيع ان اعود للبيت . بطيخ للبيع ! » لم يلاحظه احد .

وعندما اصبحت السيارة الاخيرة بمحاذاته قذف فى الجـــو اللامبالى بأصـوات انفجـارات السيارات الخافتـة ، والذى يسوده احترام يثير الغضب ، لتلك الليلة التى فسدت ، بتوبيخ ســاخر بصوت بالغ فى ارتفاعه . صاح بلهجة مبالغ فيها ، « الا تحبـــون البطيخ ؟ اشتروا بطيخة ! » وعندما مرت السيارة الاخيرة فى الموكب المتأنى ، كان يمكن رؤية المتطفلين يستديرون فى شارع الكنيســة ، والصليب مايزال يشتعل . سمع سامبو من يقول ، « سامبو ، اركب تلك السيارة وادر المحرك ، ودعنا نغادر البلدة قبل ان يعـود اولئك الناس . »

« بدى انا لا استطيع قيادة هذه الشاحنة على الطريق الكبير ، وانت تعلم هذا لقد ذهبوا ، اركبه انت فى السيارة وهيــا بنـا نذهب » .

أجابه بدى بسرعة من تحت القش « نعم ، تستطيع . يجب . فقط تذكر ان تجذب ذلك الشيء الصغير وادفع ذراع السرعة الى أقصى اليمين فى وضع الرجوع للخلف . ارجوك ، ياسامبو ، اخرجنى من هذه البلدة . فأنا لن أتحرك من تحت هذا القش حتى تفعـل ذلك . » .

اما وقد كان اضال من أن يجلس على المقعد ويصل الى دواسـة البنزين ، فقد تمكن الصبى بفضل التعلق بعجلة القيادة من أن يدير محرك السيارة وأن يعشق ذراع السرعة وان يضغط دواسة بنزين الشاحنة القديمة ويتجه الى أسفل الطريق . كان الهواء رطبا منعشا . اندفع سواد الليل مهاجما الاضواء الامامية للشاحنة ، حامـــلا حشرات ترتطم بحاجب الريح . راح المحرك القديم الوفى يهدر حول كاتم صوت طال نسيانه ، وشعر الصبى بموجـة من الاحســاس بالانجاز وهو يقود الشاحنة للمرة الاولى على الطـريق الـكبير .

وعندما استدارا عند مزلقان هلرب ، تأرجح من اعلا عجلة القيادة ونزل بكلتى قدميه فى نفس الوقت على دواسة جهاز تعشيق التروس والفرملة . ترنحت الشاحنة متوقفة . جذب الذراع الى وضع عدم الحركة .

« بدى ، هذا سخف . اصعد الى الشاحنة معى هنا . انا أقود بشكل طيب ، لكننا تركنا الطريق الرئيسى الآن . »

تسلق بدى جانب الشاحنة وهـو يلتقط قش القمح من على قميصه ، « انك تقود بشكل رئع للغاية ، يافتى ، وانا شـاكر لك بالتأكيد . هذه هى السنة الثانية على التوالى التى تنقـذ فيهـا حياتى . ولا اعرف ماذا أصنع بدونك . »

« أوه ، بدى ، لا تكن سخيفا . انا لم أنقذ حياتك . أولئـك الرجال افزعوك فقط . انهم فقط يتباهون . وهم لن يؤذوا احدا قط هذه الايام ، ولا حتى ملونا . »

« هذا ماتقوله ، يافتى . فأنت ابيض . لكننى اكثر معرفة . فهؤلاء الناس يأتون الى هنا من جريفين . لقد تعـرفت على تلك السيارة القديمة التى كانت فى المقـدمة . فلدى عمـة تقيم فى جريفين ، وقد رايت تلك السيارة عندما ذهبت لزيارتها فى احد ايام الاحد . انها تخص رجلا حقيرا الى درجة انه القى باحد الزنوج فى النهر بمجرد ان نظـر اليه . لا تكلمنى عن عدم ايذائهم لاى احد . »

« يا الهى ، يابدى ، اين يمكن ان يكون ج . س ؟ لقـد نسيت كل شىء بشأنه . هل تظن اننا يجب أن نعود لنأتى به ؟ » قاطعه الصبى .

« لا . ج . س على مايرام ، ربما يكون قد سبقنا الى البيت . وبالتاكيد انت لست بحاجة الى القلق بشأنه . فهو بارع . ولايستطيع احد ايذاءه لانهم لايمكنهم أن يطوقوه . هيا بنا نذهب ، ياسامبو . سوف اشعر بالامن عندما اكون فى بيت أمى . »

وعندما وصلا الى فناء الحظيرة ، أوقف الصبى المحرك ، واستند الى عجلة القيادة . « بدى ، ليس هذا صحيحا ، ماحدث الليلة ، اريدك أن تعرف اننى اكره الكوكلوكس كلان . وانت افضل صديق عندى . واريدك أن تأخذ مزيدا من نقود البطيخ . »

نظر بدى اليه ، وقد سبق الى اخراج احدى رجليه من البـاب المفتوح ، « لا ، لا تفعل . لا تعطنى اى نقـود . لقد حصلت على ماكسبت يداى ، وكسبت ماحصلت عليه ، وهكذا يجب ان تكون

الأمور . ليس المالُ كلَّ شيء ، ياسامبو . أنا لن أنساكَ أبداً . »
وبتحرر فجائى من التوتر ، ألقى برأسه الى الخلف وضحك ، « ولن انسى أبداً هذه الليلة كلها ، هى الاخرى . فلم ير ناس كثيرون على الاطلاق طفلا أبيض يجلس اعلا مؤخرتى يبيع بطيخـــا للكوكلوكس كلان ، أنت مخبول ، ياسامبو ، يسكنك شيطان ، ولكنك أفضـــل أصدقائى ايضا . »

وحين كان ينام نوما خفيفا فى تلك الليلة سمع أباه فى غــرفة النوم المجاورة يقول ، « انني فخور بذلك الصبى . فقد كنت قد قررت أن أتأكد من ان يحصلا على بعض المال عن ذلك المحصول ، لكنهما كسبا حقا وصدقا حوالى مائة دولار نصيبا لهما ، وبدى ذلك عامل جيد . وسوف أعطيه محصولا له فى العام القادم . »

وقهقه قائلا ، « كم أود لو انك رأيت الصـــبى يقود تلك الشاحنة واظن انه اختبأ هو وبدى تحت القش . المسألة أن دكتور هنيـكت اقام الدنيا واقعدها لانه قال ان العجوز جورج جلاس امسك بشدى زوجته عندما كان يقوم بعمل بعض الطلاء لهما . وكانت تريد أن يجلد جورج . لكن دكتور هنيكت اقنعها الا تفعل ذلك . فأرسل الخبر الى بعض الفتيان فى جريفين ، وسارت جماعة كلان فى موكب خلال البلدة واتجهت الى بيت جورج .

« كان الصبيان قد غادرا البلدة قبل حلول الظلام ، وكانا فى ميدان دار القضاء عندما مروا خلال البلدة . وقد قال أحد الرجال الذين بقوا فى الطريق أنه لم ير بدى ولـكن ســامبو كان يحـــاول ان يبيع بطيخا الى جماعة الكلان . ثم قاد الشاحنة الى خارج البلدة فيما بعد بنفسه ، وهو واقف ليفعل هذا . وذلك مايجعلنى اظن انه كان قد اخفى بدى . ولم يكن ليغادر بدونه .
« ولكن لا تذكرى هذا له . لا أريده ان يظــن اننى اراقبه عن كثب . »

سمع أمه تجيب بصوت ناعس ، « أود لو فكرت أنت فى كم يراقبك هو عن كثب . اطفىء النور ودعنا ننام . »
فى صباح اليوم التالى اخذ الصبى ورقة من أدوات كتابة امه وكتب عليها « تهانئى واطيب تمنياتى . » وطواها على ثلاثين دولارا ووضـــعها بداخل ظرف . وعلى الظرف كتب « تت بيزامور ،

بيبودى ، جورجيا ، الطريق الريفى ، صندوق بريد ٩٥ . » فكر لحظة ، مزق الظرف ، وعنون ظرفا آخـــر ، « الانســـة تت بيزامور ، بيبودى ، جورجيا ، الطريق الريفى ، صندوق ٩٥ . »
كان لصمغ الظرف طعم طفيف من طعم شاي كندا وهو يلعقــه ويسده . شعر انه قد صار اكبر سنا .

بعد ذلك باسبوع ، ذهب الى الكنيسة مع جون توم وستمورلاند العجوز . كان قد ذهب مسبقا ذلك الصباح الى مدرسة الاحد مع امه وأخواته . لكن لم يكن هناك وعظ فى كنيسته لانه لم يكن الاحد الاول . كان الملونون يبداون صلاة الاحياء ، التى كانوا يطلقون عليها الاجتماع الكبير ، ولم يكن لهم مدرسة أحد على الاطلاق . كانوا ، على أية حال ، يتناولون غداءهم اليوم فى الارض المحيطة بالكنيسة ، وكان الصبى متلهفا للذهاب .

كان قد انتزع دعوة من جون توم العجوز فى المساء السابق عن طريق سؤاله ببساطة اذا كان لايمانع فى ذهابه معه الى الكنيسة . اكد جون توم العجوز له أن ذهابه لا بأس به . ولكن كان عليه أولا أن يتأكد من الحصول على اذن من ابويه . كانت هناك حواجز غير مكتوبة وان كانت رسم ذلك محددة تماما بين الاعراق ويحترمها الطرفان . فلم تكن نظرية الحرية الدينية أوسع انتشارا فى أى مكان عنها فى الجنوب الريفى قبل اعادة البناء ، الا فيما يخص الكاثوليك واليهود ، بالطبع . فطالما لقيت اية مجموعة نفسها بالمعمدانية ، كان أى قانون سلوك تقريبا مقبولا .

ولكن لم يكن المرء يحضر الصلاة فى كنيسة غريبة بدافع من الفضول المحض . ومن المؤكد ان أحدا لم يكن يعبر الخطوط العرقية كمتفرج مدغدغ الحواس . وعلى الرغم من أن أحدا لم يكترث مطلقا بان يخبر الصبى انه لا ينبغى له أن يذهب الى كنيسة الملونين ، فانه كان يعرف فى أعماقه أن مثل هذه المغامرة كانت محظورة بشدة . وبالتالى فانه دار حول الحصول على أذن للذهاب مع جون توم العجوز بطريقة ملتوية جداً .

قال بنبرات مفعمة بالعاطفة وهم فى طريقهم الى مدرسة الاحد ذلك الصباح ، « امى ، اننى أشعر بارتياح حقا لاننى ذاهب الى الكنيسة هذا الصباح . »

تهللت اسارير امه ، « ذلك رائع ، يابنى . اننى اشعر بارتياح

اذ اسمع منك هذا . »

تساءل بجدية بينما كانت امه الورعة توجه الشيفروليه المربعة بعيدا عن طريق سيارة قادمة ، « احد الصبية من صفي في المدرسة يقول انك اذا ذهبت الى الكنيسة كثيرا ، فان هذا قد يجعل منك متعصبا دينيا . وهو يقول ان سمرفيلد هاموند أحد المتعصبين. هل تعتقدين أنك يمكنك أن تذهبي الى الكنيسة اكثر من اللازم ؟» .

كانت أخته الكبرى في المقعد الامامي تنفذ برنامجا مسدته ثلاثة أيام لتجاهله عقابا له على خرق ما لآداب السلوك من جانبه. تنشقت. لم تكن شقيقتاه الاصغر سنا ، اللتان كانتا تركبان معه في المقعد الخلفي ، قد وجدتا أي قدر من الامان في تجاهله وكانتا تعتمدان على حلف يقوم على تبادل المساعدة للمحافظة على بقائهما . أدارتا عيونهما باتجاه السماء ولكزت احداهما الاخرى .

أجابت أمه ، « أنا لا أعتقد هذا بالتأكيد . وسمرفيلد هاموند بالتأكيد ليس متعصبا دينيا لمجرد أنه كرس حياته لخدمة المسيحية طوال الوقت . واعظم أحلامي أن أرى كنيستنا تعمل طول الوقت وأن يمكنها أن يكون بها واعظ كل يوم أحد . ليس هناك في هذا المجتمع من يذهب الى الكنيسة اكثر من اللازم . »

كذب ، « لا ، ياسيدتي ، ذلك هو ما أعتقده . أنا متفق معك بالتأكيد . » كان توقع الجلوس خلال موعظة يلقيها السيد كلاود كل أحد لمدة ساعة امرأ غير مبهج .

واصل كلامه ، وهو يتأمل في هذه الاثناء كيف يستمتع بوضع اللادن في شعر شقيقته الكبرى وربط أربطة احذية الشقيقتين الاصغر الى أحدهما الاخر ، « أليس هناك موضع ما في الانجيل يقول ، « انه لعمل صالح أن تدخل بيت الرب ؟ » .

اجابت الام المفتونة ، « هناك بالتأكيد ، يابني . أنه في أحد المزامير . »

قال الصبي بتصرف حصيف ، « حسنا ، اذن ، ذلك فصل الختام . اننا جميعا نعرف أننا يجب أن نفعل مايقوله الانجيل . لقد ظللت أفكر في ذلك الحديث الذي دار بيننا حول العشور ، وقد استقر رايي على انك على صواب . ولذلك فانني اريد أن أزكي عن بطيخي وأدفع العشر للرب . هل تضعين هذه الدولارات الثمانية

في صندوق نذور الارساليات الاجنبية نيابة عني هذا الصباح ؟ »
ومال فوق المقعد الامامي ودفع النقود في محفظتها .
قالت أمه ، « انك تجعلني فخورة وسعيدة للغاية ، يابني . »
وصمت لحظة ، « لكن هل هذا هو عشر المبلغ كله ؟ ألم تحصل انت وبدى على بعض المال من البيع في بروتنتون ؟ أن الرب لاينخدع . »
وصمتت مرة ثانية . وحذرته بحزم ، « تذكر أنانياس . »
ابتلع الصبي ريقه . « نعم ياسيدتي ، لكنني لم أحصل مطلقا على أي شيء من تلك النقود . فقد أعطيتها كلها لبدي . »
« ولأي سبب على الاطلاق فعلت هذا ؟ »
« حسنا ، هل ترين ، الامر على هذا النحو ــ حسنا ، ما أعنيه هو أنني فكرت انه قدقام بأداء اكثر العمل وانه كان يستحق أكثر قليلا من الارباح مني . وعلاوة على ذلك ، فان حالهم أسوأ منا بكثير ــ فليس لديهم حتى حواجز في نوافذهم . شعرت فقط أن الرب يدعوني الى فعل ذلك ، » أضاف بشهامة .
تمتمت أمه ، وهي تسجل في ذاكرتها كيف يمكنها أن تقص هذا الحديث في الاجتماع التالي لاتحاد الارساليات النسائي ، « كم هذا لطيف . » وعندما شرعوا يغادرون السيارة في فناء الكنيسة ، نظرت الام اليه ، « من المؤكد انني أم محظوظة لان لدى ابن مثلك . »
ثم أضافت قائلة ، « كل أطفالي بركة لي . »
سألته الاخت الصغرى وهم يسيرون خلف السيارة ، « ماالذي تنوي فعله الآن ؟ »
« لا أعرف ماتقصدين ، أغلقي فمك ، هل تسمعين ؟ »
وفي فصل مدرسة الاحد بعد المجموعة التعبدية ، مال لصق جوجو ، وهمس تمهيدا للحديث ، « ما الذي تفعله عصر اليوم ؟ » .
سأله رفيقه المعمداني ، « أنا وبوب ستبس الصغير ذاهبان لنضع مسامير متقاطعة على شريط السكة الحديدية وندع القطار يهرسها معا . هل تريد أن تأتي ؟ »
قال الصبي ، « لا ، لقد فكرت انه يمكننا أن ننظم مباراة كرة في مرعى كولدويل ، وانك انت وبوب الصغير قد تأتيان . »
وبعد بضع دقائق ألقى آيته من الانجيل التي يتلوها في الصباح وهمس مرة ثانية ، وهو يتجنب اجتذاب انتباه المدرس ، « القطار

يبدو متعة أكبر . اذهبـــا انتما . فسوف اقرأ واعبث قليــلا عصر اليوم . »

كان ذكر القراءة غير مريح دائما بالنسبة لجوجو ، وانقطــع الحديث . وفي طريق العودة للبيت أعلن الصبي ، « سوف يقابلنا جوجو وبوب ستبس الصغير في مرعى كولدويل بعد الغداء مباشرة لنلعب مباراة في الكرة ، وسوف أضطر الى تناول طعامي على عجل . كان يريدني أن أذهب معهما الى شريط السكة الحديدية ، لكنني اخبرته انك لا تحبين ان العب هناك ــ انه بالغ الخطورة . وفكرت أنني ربما أذهب الى مباراة الكرة ، رغم ذلك ، اذا لم أجد شــيئا افضل أعمله . انت لا تمانعين في أن أتناول طعامي واجري ، أليس كذلك ؟ » سأل أمه .

اجابته ، وهي لا تزال منتشية ، « لا ، يابني ، هذا على مايرام . لقد يئست من قدرتك على تمضية عصر الاحد مع اخواتك دون احداث ضجة . وانا مسرورة انه سيكون هناك مزيد من الاطفــال البيض هناك . فأنا يقلقني انك ليس لديك رفاق للعب ســوى أولئك الصبية الملونين . »

ظن انهم لن يبسطوا مائد الغداء أبدا ولن يتمتموا بالصــلاة . ازدرد طعامه واستأذن وهو يحاول الا يجذب الانتباه قدر الامكان . كان الاب يترأس مائدة الغداء ، لكن عينيه كانتا حمراوين والجفــون منتفخة ، وبدا اهتمامه منصرفا الى مكان آخر . أسرع الصبي الى الفناء الخلفي ، ووثب على دراجته ، وراح يعمل رجليه بجنـــون صاعدا الطريق . فحتى لو اخذ في الاعتبار الفرق في مفهوم الزمن بين العرقين ، كان يخشى الا يلحق بجون توم العجوز .

قال لنفسه وهو يرقى التل ويرى جون توم العجوز واقفا في وسط حشد من الناس ويشرف على ركوبهم . مال بعجلة دراجته الخلفية ليتوقف فجأة تحت شجرة البلوط الضخمة في الفنـــاء الامامي وسار بلا مبالاة باتجاه الاب الاسود الرئيس .

كان جون توم وستمورلاند طويلا ونحيلا ومفضنا . كان شــعره ابيض مثل الثلج وجلده اسود مثل الهباب ، وكانت عيناه صفراوين في أول لقاء ، بعد أن انتقل الى مزرعتهم قبل ثلاث سنوات ، كان الصبي يراه اكثر شخص ابهارا رآه في حياته . كان لديه ثلاث

مجموعات من الاطفال يعيشون معه ، ابن كبير وابنتان كبيرتان من زوجته الاولى ، وخمسة من ابناء زوجتـــه الحـــالية من زواجهـــا السابق ، وثلاث بنات من زواجهما . وعلاوة على ذلك ، كان لاحدى بنتيه الكبيرتين طفلان وللاخرى واحد . وكان يسيطر على مجموع أربعة انفار للحرث وثمانية انفار للعزق وكان يستطيع بالتالى أن يتعامل مع أى مزارع قطن يريد .

وكان الصبى يفترض أن أى رجل يبدو مثل جون توم وستمورلاند قادر على حكم بيئته بحيوية ونشاط وحماسة مهيبة . كان العقاب بالنسبة له عن العصيان سريعا ومدمرا . فلم يكشف رجل أبدا عن تباين أعظم بين المظهر والحقيقة .

ومن المؤكد أنه كان يتحكم فى أسرته بشكل طيب . كان كـــل أطفاله واطفال زوجته يدينون له بالطاعة عندما كان يحدد لهم مهماته وأعمالا . وكان يتمتع بدعم زوجة مخلصة وتعاونها وباحترام الجميع فى المزرعة ، لانه كان حقا رجلا طيبا ومهيبا . لكنه انجز كل هذا من خلال استخدام الضجر . فلم يجلد مطلقا أيا من الصبية . كان يلقى عليهم محاضرة . وربما استمر هذا التعذيب لمدة ساعـــة ، وكان يستمتع به بقدر ماكانوا يكرهونه .

كان صوته سلاحا ، خفيضا لكنه لا يقهر . ولم يكن يرفعه مطلقا . كان فقط يطلقه . كان صوتا جافا ، منطلقا ، رتيبا ، وكان يستمر بلا نهاية . وعند اصدار تعليمات كان يتذمر ويتأكد بطريقة معقولة ولفترة طويلة الى درجة أن أطفاله قد تعودوا على أن يتحركوا بخفة استجابة لاوامره . كان موقفهم هو أنه من الافضل أن يعملوا ثلاث ساعات عن أن ينصتوا الى ثلاثين دقيقة من محاضرة عن لم وكيف ينبغى عليهم . كان كل أطفاله جادين فى عملهم . كان قضـــاء يوم أحد فى صحبة جون توم العجوز تجعلهم تواقين الى الوثوب الى الانطلاق الجثمانى فى حقل القطن صباح الاثنين .

بعد العام الاول فى المزرعة ، تخلى والد الصبى عن بذل أى مجهود لنصح جون توم العجوز بشأن المحاصيل او الحقـــول أو الآلات أو العمل . وبعد عامين كان يتجنبه تماما . وقد ســـمعه الصبى يقول للام ، « ليس لدى وقت كاف فى حياتى لذلك الرجل . فلأنه ليس لديه مايقوله ، فانه يقوله طوال اليوم . »

وقد دمدم الجد ذات مرة ، وقد اصبح حاد الطبع مع نفاد الصبر

الذى يأتى مع خرف الشيخوخة ، رغم انه كان ينتمى الى جـيل سابق أكثر أبوية مع الزنوج ، فى وجه جون توم العجوز ، « أغلق فمك الاسود الجهنمى ! لقد سـمعت ما فيه الكفاية . فعنـدما أسأل كم الساعة ، لا اريد أحدا أن يخبرنى كيف أصـنع سـاعة ملعونة ! » .

وقد غادر مختالا فى غضب اشيب ، وهز جون توم العجوز كتفيه وتمتم قائلا للصبى برباطة جأش تدل على صلاحه ، « أن جـدك بالتأكيد نكد المزاج اليوم وليس هناك سبيل الى معرفة مايوجعـه فقد عشت مع رجل فى سينويا ذات مرة إسمه السيد هتشنسون ماكنايت الذى أصبح نكدا حتى انك لم تكن تستطيع ان تقول له شيئا على الاطلاق والذى اتضح أنه لم يكن ينام لانه كان يعـانى متاعب من التبول وعندما استسلم أخيراً وذهب الى الطبيب اتضح انها كانت غدة البروستاتة وحملوه فوراً الى اتلانتا وثقبـوا خـرما فيه وعاد الى البيت يتبول مثل عنزة لكن مزاجه لم يعد كما كان معى وهو مايذكرنى بكلب صيد راكون عجوز كان لدى منـذ أمد طويل واظن أن ذلك كان قبل أن اغادر مقاطعة بايك حين كانت زوجتى الاولى ماتزال على قيد الحياة ويبدو لى أن ذلك كان حين كنت أقيم مع السيد لونى ماكلروى لكننى لا اذكر بالضبط فى أى عام كنـا وهو مايمكن أن يكون سنتين ربما أو ثلاث سنوات بعـد القحط السيىء فى عام ٢٥ واصبح ذلك الكلب العجوز مزمجرا عضاضا حتى ان أحدا لم يكن يستطيع أن يصل الى أى مكان حوله . على أى حال .. » وجذب نفسا .

قاطعه الصبى ، « يا الهى ، ياجون توم ، على ان اذهب ، فقد نسيت شيئا على أن أفعله . » وبينما كان ينصرف مسرعا ، أضاف قائلا من فوق كتفه ، « أريد أن اسمع عن هذا الكلب فى وقت ما . واحب أن اسمعك تتحدث عن صيد الراكون . »

كان جون توم العجوز يحب الصبى .

وفى عصر يوم الاحد هذا ، عندما اقترب الصبى منه ، نظـر اليه متشككا ، « هل قال أهلك أن الذهاب معى الى الكنيسة لا بأس به ، ياسامبو ؟ »

« بالتأكيد قالوا ذلك . على الاقل أمى . لم يكن ابى يبدو بخير ، ولم اشأ أن اثقل عليه ، لكن امى قالت انها فخورة بى حقا وانك

لا يمكنك أن تذهب الى الكنيسة أكثر من اللازم . »

« ان الآنسة فيرا تلك امرأة رائعة بالتأكيد وانت عليك أن تجلس على حجرى وعليك أن تحسن السلوك فى الكنيسة الان وان تجعل كل واحد فخورا بك وان لديك قدرا من الادراك ، وانت ياويلى ، أنت ستقود بالطبع ، ـ فلا استطيع أن أسمح لاحد غيرك أن يلمس السيارة لاننى لا اقود بنفسى السيارة التى احتفظ بها اساسا للعائلة للذهاب بها الى الكنيسة ، وانت يابى ـ بول ، عليك أنت وشاوثى أن تسرعا وتجلسا على حجر احداكما الاخرى ، وانت ياسالى ماى ، يا عزيزتى ، أنت تجلسين على حجر أمك وتمسكين بدلو الطعام الذى يوجد على سقف العربة ، ودعنا نرى ، انت يابابنت ، انت الآن ولد كبير ويمكنك أن تتسع لاثنتين من أخواتك الصغيرات و ... » .

واستمر المونولوج بينما الاطفال يتكومون بجنون فى العربة فى محاولة يائسة لايقاف الصوت من مصدره . كانوا جميعا قد احسن حكهم . كانت ثياب الصبية تفوح برائحة صابون الليزول وثياب الفتيات برائحة النشا . وكان شعر الفتيات الصوفى قد شد باحكام فى ضفائر جديدة الى درجة أن عيونهن كانت تقريبا مائلة ، وكان يلمع بلمعة مرهم رويال كراون العطرى . أما وقد حشروا فى السيارة ، فقد كانوا جميعا محتشمين ومذعنين فى طريقهم الى الكنيسة .

لاحظ الصبى ، وهو جاثم على ركبتى جون توم العظميتين ، وراسه مائل الى الامام وعنقه مقوسة لصق السقف ، انه كان هناك بالعربة ثلاثة عشر شخصا ، خمسة فى المقدمة وثمانية فى الخلف . لم يتكلم احد فى رحلة الاربعة أميال فيما عدا جون توم العجوز . حاول الصبى أن يقاطعه مرة ليسر اليه أنه قد أحضر معه دولارا للنذور . استمرت محاضرة جون توم العجوز عن فضائل الذهاب الى الكنيسة وخدمة الرب بلا هوادة مثل تيار متورم فى نهر فلينت ، وسقطت ملحوظة الصبى مثل ورقة شجر على السطح وانجرفت بعيدا دون أن يلاحظها احد .

كانت الكنيسة المبنى المألوف ذا الاطار الابيض ، وقد نعم خطوطها الخارجية ريشات من الطلاء المقشر . وكان برجها قصيرا وثخينا بشكل غريب ، وهى نسب كان الصبى يرى انها تميز كنائس الملونين

بشكل مؤكد الى درجة ان المرء كان يستطيع آن يعزلها عن كنائس البيض بمجرد النظر الى الابراج . كان تحتضنه ذراع مقوسة من شجرة بلوط ، وكان فناؤها العارى قد كنس حديثا . وكانت هناك سيارات مبعثرة أوقفت بشكل عشوائى قرب الجبانة الصغيرة الضئيلة التى كان يحدد قبورها صخور وألواح غير مطلية . وكانت هناك عربة واحدة وسط مجموعة السيارات ، وقد ربط بغلاها ، برأسيهما المطأطئين وصبرهما الذى يميزه حفيف الذيول ، الى شجرة أرز .

كان الفناء يبدو مزدحما بالناس . وفى جانب الكنيسة الاخر من موقف السيارات كانت هناك طاولة طويلة ارتجلت من الواح واحصنة نشر الخشب ، ووفرة من الطعام بسط عليها ، بينما كانت النساء والاطفال يلوحون ببطء بأغصان التوت الصينى فوقها ليبعدوا الذباب اللزج الثقيل . وكان الناس يدخلون ويخرجون من بابى الكنيسة الاماميين فى تيارات ثابتة الى درجة أن الصبى تذكر فوهة تل النمل . كان يستطيع أن يسمع الغناء داخل الكنيسة ، وافترض أن الصلوات قد بدأت . فى كنيسته ، كان الناس يذهبون الى الداخل ما أن يسمعوا التراتيل او على الاقل يخفضون اصواتهم الى هدير مكتوم ينم عن احترام اذا بقوا فى الخارج .

أسر الى زوجة جون توم العجوز بوجل ، وطمأنته بسرعة ، « يا الهى ، ياسامبو ، لسنا متأخرين . هذه هى طريقتنا . رتل قليلا ، صل قليلا ، وادفع قليلا من المال . وحوالى الساعة الثالثة ، الرابعة ، الخامسة ، اخرج وتناول طعامك بمجرد أن يفرغ القس من الوعظ . أنه لم يبدأ حتى الآن . دعنى أضع طعامنا هنا مع ماتى كيت وندخل الكنيسة . كيف حالك ، يا أخ كليمونز ، هل جميعكم على مايرام ؟ . . نعم ، هذا الطفل الابيض ابن السيد بورتر . وقد جاء معنا . »

اما وقد اعتاد أن يجعل حجمه منه شيئا مجهولا فى الجمهرة ، فان الصبى شعر فجأة انه كان يقف مثل ابهام ملتهب . كان الشخص الابيض الوحيد فى المكان . ومع التسليم بوجود عدة مولدين ، بل حتى البعض بعيون زرقاء — فلم يكن من الممكن أن ينخدع اى شخص عنده أقل خبرة . شعر أن كتلة شعره الابيض الذى قصرته الشمس كان واضحا للعيان مثل علم خفاق . وعلى

الرغم من انه كان يعرف بعض الزنوج الموجودين ، فان غالبيتهم كانوا اغرابا تماما . كان واعيا بحدة أن هناك تغيرا في الموقف اينما رآه واحد منهم .

فقد يكون رجل أو امرأة يحيى عائلة وستمورلاند بطريقة مسترخية مرحة . وما أن تقع العين على الصبى ، حتى يحدث تغير فورى ، فيتوقف الضحك ، وتنخفض الاصوات ، ويعتدل العمود الفقرى باطراد قليلا . وعلى الرغم من أن الناس كانوا يستأنفون الحديث في الحال ، فانه كان من الواضح أنهم كانوا واعين به . وحتى حين كانوا يتكلمون ، كانوا يدورون بعيونهم ويلقون عليه نظرات مستترة ، وانتباههم مشدود بشكل لا يقاوم الى الزائر الغريب .

خطر للصبى أن اهتمامهم اذا كان يشبه أى شيء في العالم فانه كان يشبه حصانا شديد التوتر يدنو من شيء غير مألوف على طريق يعرفه جيدا . ولو أن واحدا منهم نفض اذنيه ، وصهل بصوت عال ، ثم وثب جانبا ، لما وجد هذا متنافرا . شعر بانه مختلف لانهم كانوا يتصرفون بشكل مختلف ما ان يروه . لم يشعر بأى خوف ، وهو متدثر بدرع بياضه ، والعباءة الواقية لكونه ابن أبيه كضمان اضافى . غير انه كان يشعر بعدم ارتياح بشكل واضح . أدرك أن هذا كان يرجع الى انه أبيض ، وتخيل نفسه ابيض غريبا في ارض اجنبية .

سار بخطى جانبية الى جون توم العجوز على استحياء . لم يكن ذلك المخلوق قد كف عن الكلام منذ نزل من السيارة . كانت ثرثرة صوته الجاف الرتيب تفسح أمامه مساحة محددة كأنه كان لديه حرس شخصيون يتقدمونه . كانت تحيتهم التى تنم عن احترام تتلاشى دون أن تلحظ على تيار صوته وهو ينحسر ، ويتراجعون بسرعة . وبهذه الطريقة كان جون توم العجوز يحرز تقدما حثيثا خلال الحشد باتجاه درجات الكنيسة .

عندما دخلوا المبنى ، اصبح صوت الغناء ـ الذى كان خلفية معتمة حينما كانوا بالخارج ـ منبها سائدا . لم يكن هناك بيانو أو اية مصاحبة اخرى . لم يكن أى منها مطلوبا . كان تصفيق الايدى مع ايقاع الترنيمة ايقاعيا متانيا مثل بندول ايقاع . كانت هناك

عدة أصوات ندية (١) نافذة حادة الرنين ، ترتفع عالية فوق المصلين كأنهما نغمات كمان أو رعشة آلة نفخ موسيقية . وكان أصحاب الاصوات الصادحة والرنانة آلات ساكسوفون وكمانات ثانية ، وكان بعض الرجال توبات (٢) أو كمنجات جهيرة . غير أن التصفيق كان هو الذى يعزز الموسيقى . كان كل من فى المبنى يصفق .

كان البعض يقفون ليصفقوا . وكان البعض يقوسون أكتافهم ويؤرجحون أردافهم مع الايقاع وهم يصفقون . كان التصفيق عاليا الى درجة ان الاصوات المغنية كانت تسمع فقط بين انفجارات الاكف المصفقة ، وكان المبنى كله يهتز بايقاع النقر . كانت الافواه ممطوطة الى آخرها وبعض العيون تحدق نصف مغمضة والاعضاء يرتلون بحرارة بالغة . لم يكن الصبى قد رأى مطلقا مثل هذه المشاركة الكاملة الحماسية . الصق جسده الغريب بهيكل جون توم العجوز النحيل بينما كان ذلك الأب الرئيسى المبجل يمشى متمهلا الى ركن الذين يرتلون آمين فى مقدمة الكنيسة .

كان الصبى يبذل محاولة يائسة للتكيف مع هذه البيئة الجديدة ، وقد جلس فى الجانب البعيد من مضيفه والتحم به بشكل وثيق بحيث لا يبدو للعيان قدر الامكان ، وقدماه تتدليان فى الهواء .

كان قد تخيل انه لم يكن غريبا على موسيقى الزنوج ، فقد جلس ، لسنوات عديدة ، فى شفق امسيات الصيف الشديد الوطأة ، تحت اقدام جده فى الشرفة وأنصت الى لسبون واطفاله عبر الحقول فى بيتهم . كانت اغنياتهم تبدأ بعد العشاء ، عند نهاية يوم من العمل الشاق فى حقول القطن ، وكانت تبدأ دائما بهمهمة منخفضة لتأسيس الحالة المزاجية والتناغم . وسرعان ماكانت تعلو فى ألحان دندنة يرققها الظلام وتكتمها المسافة الى أصوات حلوة منسابة كأنها عسل نحل صفى حديثا . وعلى الرغم من أن الكلمات عبر الشفق وحقول القطن التى تغلفها الظلمة كانت غير مفهومة ، فان الرسالة التى كانت تحملها كانت تعبر عن الاكتمال والرضا . كانت تأتى كتأكيد على أن الكون كان موضع نظام وسعادة وأن كل شيء لابد أنه على مايرام . ادرك فجأة أن مقعد جده الهزاز

---

١ - سوبرانو .

٢ - آلات نفخ نحاسية كبيرة .

لم يكن موجودا وأنه كان في موقف لم يتخيله مطلقا . لم تكن هذه أغنية مهد مسائية يغنيها قوم مذعنون راضون . كان هذا عـــالما جديدا بالنسبة له ، وكان يواجهه وحده .

رتل المصلون ، » وقال ، « اذا ارتفعت » .

شرع جون توم العجوز فى التجشؤ بصوت جهير فى أذنه تماما . كانت الاصوات ترن ، وأقدام الرجال تدق ، وجذوع النســـاء الطاعنات فى السن اللاتى كن من نواح مختلفة رزينات مهيبـــات تتأرجح من جانب لآخر ، والايقاع يملأ الكنيسة من الارضـية حتى السقف . تخيل الصبى أن التصفيق المنوم كان صمام هـــروب لضغط الايقاع الصرف الذى لا يحتمل والذى كان يملأ المبنى . كانت الممرات ممتلئة بأناس يدخلون الكنيسة ويخرجون منها بشكل دائم . كان معظمهم فتيات ونساء لايبدو عليهن أنهن كن لديهـن أى دافع أو غرض محدد . كن يمشين الهوينى وهن يخرجن ويمشين الهوينى وهن يرجعن . لم يكن بهن حتى مايوحى بالخجل او التكتم ــ فاذا عن لهن أن يضحكن أو يتكلمن فى الممر ، كن يفعلن ذلك . ولم يكن كبارهم يلقون عليهن أى نظرات عدم استحسان . والحقيقة أنه لم تكن هناك نظرات عدم استحسان فى أى مكان ، ولا أفواه متزمتة مقلوبة ، أو ظهور معتدلة مشدودة أيضا .

وعلى حين غرة نهضت امرأة متوســـطة العمر ، وقد ارتخى كتفاها ، وراحت رأسها تدور على عنق لين ، وذراعاها الطويلان يلوحان بايقاع كأنهما لم يكن بهما اى عظام . راحت تصفق بصـوت عال مع الايقاع وارتفع صوتها فوق اصوات الجميع ، بانفعال وحرارة يفوقان الكلمات :

أنا أبوك ، أنا أمك ،

أنا أختك ، أو أخوك .

ومن خلفها صاح أحد الشماسين العجائز ، « رتلوها اذن ، » وصفق مثل طلقة من مسدس . وقال الرجال الاخرون فى شكل جوقة « آمين » و « أجل ، يارب ، » واصبح صوت المراة اعلى واشد حدة . كانت تهز رأسها كأنها كانت تهز صفار بيضة لتستخلصها .

قال ، « اذا ارتفعت .

فانني أجلب البهجة الى نفوسكم .. »

وجلست بينما استمر الغناء والتصفيق . تسمر الصبى . لم

تكن هذه تشبه اية كنيسة رآها على الاطلاق . كان هذا مزيجا من الاسى والبهجة فى نفس الوقت . كان هذا الالم والنشوة مجتمعين . كان هذا وعدا وانكارا .

كان هذا اطلاقا للنفس على سجيتها لشيء برى وبدائى بدرجة لا توصف . كان هذا عاطفة مشبوبة لم يتخيل لها مثيلا مطلقا ، وكان جزءا يسيرا منها جنسيا بالضرورة . استقر رأيه على أن هذا لم يكن مكانا للبيض . تلوى أكثر التصاقا بجون توم العجوز . لم يكن يلزم الا أقل القليل من الخيال ليحول التصفيق البطيء الى الايقاع الاكثر سرعة لدقات الطبول ، والتأرجح ودق الاقدام الى رقص مهتاج ، والغناء الحاد الى ضراعات جامحة لآلهة غامضة . كانت هذه هي الغابة . لم يفهمها ، وكان خائفا حتى النخاع .

ادرك ان جون توم العجوز كان يخاطبه ، « أين دولارك ؟ انهم يستعدون لجمع التبرعات . »

كان الواعظ ، نحيلا مفكك المفاصل مثل عروس خشبية ، يمد ذراعيه طالبا السكون حالما انتهت الترنيمة . لم يبطيء هذا من دخول وخروج الفتيات فى الممر . ولاحظ الصبى أن أصابع الواعظ الطويلة الممتدة كانت تلتف على نفسها تقريبا . وخيل اليه ان نسبها كانت مثل نسب اصابع أقدام ضفدعة الشجر ، وانها كانت تبدو كما لو كان من الممكن أن يكون لها كئوس امتصاص فى أطرافها . وبصوت جهير مدو ملأ كل ركن ، أعلن أن التبرع كان سيجمع الان من أجل عمل الرب وانه كان من المتوقع من كل واحد أن يساهم بقدر مايستطيع أو تستطيع . ومهما كان ذلك القدر ، فقد كان من المفروض أن يتبرع كل واحد .

كان الصبى يستطيع أن يتوحد مع هذا النصح . فلو أنه اضاف الى تغيير مقام الصوت هنا أو حذف منه ، والايقاع هناك ، وكلمتين أو ثلاثا تنطق بشكل واضح ، لكان بامكانه أن يغمض عينيه وان ينقل واعظ كنيسته المتصلب الظهر الاشيب المغبر الشعر الى هذا المنبر .

وكانت الرسالة واحدة .

مد يده فى جيبه ، واخرج الورقة النقدية ذات الدولار واظهرها لجون توم العجوز ، الذى أومأ براسه مستحسنا . كان الواعظ يميل فوق المنبر ، يؤرجح ذراعا قرديا فوق الطاولة التى تقع

اسفله .

« وبينما نرتل ترنيمة التبرعات ، ليتقدم كل من يحب الرب ويضع دليل محبته على هذا المحراب . دع الناس يأتون ، يقول الرب . » راح يهدر بايقاع لا يقاوم . انتقل الى جانب الطاولة ؛ ورفع ذراعه الطويل فى الهواء ، وقد تدلت من اصابعه قطعة نقود خضراء ، وارعد ، « وانه لامتياز رفيع لى أن أكون اول من يتقدم الى هيكل صاحب المنزلة الرفيعة بهبتى ــ آه . اتبعوا وصايا الكاهن الاعظم لله العلى ــ آه . انظروا هنا ، يا ابناء الله ، اننى أعطى هبتى ، اننى أعطى هبتى ــ اه . دع الناس يأتون . » مال فوق المنبر ووضع نقوده بدقة على سطح الطاولة .

ثم استقام ، وطرق يديه الضخمتين كأنهما صنج مفزعة ، وقاد الترتيل .

لا أحد يعرف المشقة التى عانيتها ،

لا احد سوى يسوع ..

دبت الحياة فى الكنيسة كلها استجابة له .. واستؤنف التأرجح والتصفيق . وارتفع صوت ندى حاد من مؤخرة الكنيسة .

أحيانا أحلق ، واحيانا اقع

أوه ، نعم ، يارب ،

واحيانا أصل الارض تقريبا

الشكر والمجد لله ..

كان الضبى مشدوها من عدم التصديق . كان قد افترض أن شعيرة مرور طبق التبرع الى أعلى أحد الممرات والى اسفل الممر الآخر كانت شعيرة عالمية مثل ارتداء الملابس للذهاب للكنيسة . وهؤلاء الناس كان ينتظر منهم أن يسيروا الى اسفل الممر كل على حدة ويضعوا تبرعهم على الطاولة التى تقع أسفل الواعظ الملوح المغنى وأمام عيون كل المجتمعين . وبينما كان يراقب ، بدأ المصلون يستجيبون .

لم يكن بالشعيرة ترتيب او نظام . كان الناس ينهضون من المقدمة ، او الوسط ، او من مؤخرة الكنيسة ويسيرون الى اسفل الممر فى المقدمة . كانوا يسيرون مع ايقاع التصفيق . وكانت النساء يفككن اركان مناديلهن وهن فى طريقهن الى اسفل الممر ليخرجن العملات التى عقدنها هناك . كان الواعظ يهدد ، ويضرع ، ويعيد ، وساد التصفيق على كل شىء . كان بعض الناس يذهب

الى الطاولة اكثر من مرة . واشتد اهتياج الواعظ . وارتعب الصبى وشعر بجون توم العجوز يلكزه . وسمع زمجرته ، « الآن وقت طيب للذهاب ، ياسامبو .. »

حاول يائسا أن يسلمه الدولار . وطـــواه جون توم العجوز ثانية في يده ، « عليك أن تذهب بنفسك ، ياسامبو . لا تفزع من هذا . »

شعر أن كل الشماسين يحدقون فيه ويريدونه ان ينهض . وكان يعرف أن الواعظ ينظر اليه . اغمض عينيه . وتضـــرع ، يا ابانا الرحيم في السماء ، اذا كنت تستطيع ان تصل الى خـــلال هذا كله ، ساعدني الان . امسك بخادمك المطيع في كف يدك . تذكر اليشا ونعمان ، يا ابانا الرحيم ، وســـاعدنى الى آســـفل ذلك المر .

نهض على ساقين مطاطيتين وخرج الى الممر . وحين فعل هذا ، وقعت عينه الخائفة الجوالة على بدى عبر الكنيسة . كــــان بدى يصفق ويغنى ، لكنه حين رأى الصبى ابتسم ابتسامة عريضة وأشار اليه باصبعه بتحية مستهجنة . وللحظة وجد الصبى راحة لمــرأى شخص مألوف ومرتبط بالامان .

وعندما نظر مرة أخرى ادرك أن بدى كان مستريحا وعلى حريته كأنه في بيته وأنه لم يكن يشعر بأى من الرعب واليأس الذى كان يشعر به . عاد بذاكرته الى أسبوع مضى حين كان بدى يرقد مرتعدا ضارعا تحت القش على ارضية الشاحنة . قال لنفسه تلك هى الورطة التي وقعت فيها الآن . انه مجرد خيالك . لن يؤذيك أحد . لو أن الكوكلوكس دخلوا الى هنا الان ، لجرى الجميع . هكذا اظن .

شعر بالضيق من بدى لانه ضحك . شد قامته ودفع كتفيـــه النحيلتين الى الوراء . وتخيل نفسه مرتديا رداء طويلا أبيض بأكمام كاملة وغطاء راس طويل مدبب على رأسه . وفي عقله اسقط قناعا على وجهه . وتمتم بتبجح ، « حسنا . استدعوا دكتور ريدواين » وسار الى أسفل الممر .

لم يبذل اى مجهود ليلائم بين خطوته وايقاع الغناء . ورغم كونه واضحا للعيان وغريبا ، فانه شعر أن اية محـــاولة للامتزاج مــــع الحشد كانت غير مجدية تماما . جعلت أصابعه المرتجفة الورقـــة الدولارية تتراقص بشكل يتعذر معه التحكم فيها وهو يضعها عـــلى

كومة العملات والاوراق النقدية المبعثرة على الطاولة ، لم يكن لديه أى شعور بالعبادة أو التبرع . لم يكن لهذا الموقف أية علاقة ببيت أيتام جورجيا المعمداني أو لوتى مون أو الارساليات الى الصين . كان يتعامل فى فدية ويأمل بحرارة أن تكون كافية .

وبغض النظر عن كلمات الترانيم التى كانت تحتل المكان ، خيل اليه ان يسوع ويهوه لم يكونا فى أى مكان قرب هذا المبنى . كانا فى عالم الرجل الابيض ، ينصتان الى مواعظ دوايت ل . مودى او سام جونز ويبرمان عقودا متحضرة مع لوى د . نيوتن الذى ينتحب بشكل لطيف . كان اليجا فى كارمل اشجع رجل فى التـاريخ بالضرورة ..

صلى ، أشكرك ، يارب ، على أن وصلت بخادمك المتواضـع الى هذا الحد سالما . والآن دعنى اراك تصـل به الى جون توم العجوز .

صرخ صوت حاد مرتفع بايقاع درامى ملح ، « أحيانا أصل الى الارض تقريبا . »

« رتلوها ، أذن . »

« اشكروا الرب . »

واقتحم الشماسون ، « الشكر للرب . » ووسط التصـفيق والتأرجح ، شق الصبى طريقه عائدا الى مقعده ، وقد أرخى عينيه فى تظاهره القديم المألوف بالتواضع . سمع أختا تصيح على اخرى فيما بين التصفيق ، « اليس ذلك لطيفا ؟ » وبينما كان يتلوى فى طريقه الى مرفا ذراعى جون توم العجوز اللتين تطوقانه ، أدرك ان مقدمة سرواله كانت مبتلة .

وسرعان ما أدرك الصبى ، وقد أرهبه التبرع واذهله ، أن تلقينه الشعائر قد بدأ فقط . ففى بداية موعظة الواعظ ذاتها كان هنـاك غضب وحرارة اكثر مما فى ذروة اية موعظة بروتستانتية سـمعها الصبى على الاطلاق فى كنيسـة بيبودى المعمـدانية . كان الواعظ منتشرا فى كل واجهة الكنيسة وهو يختال مثل ضارب الطبـول لحظة ، ويجثم مثل قطة ، ويثب فى الهواء ويدور مثل درويش . كان يرج جسده ، ويهز رأسه . كان يجأر ، ويصرخ ، ويصيح .

وكانت شفتاه السميكتان الغليظتان تبدوان كما لو كانتا تستعدان للامساك بشيء وهما تمتدآن للامساك بالكلمات ، وتحتضناها ، ثم تقذفان بها مثل صواعق البرق عبر الكنيسة .

عندما عاد الصبى من زيارته للكنيسة وجد أمه تنتظره .

قالت : « حسنا ، أيها الشاب ، انت حاذق جدا ، اليس كذلك ؟ لقد أخذتنى على غرة بالفصل المسرحي الذى مثلته هذا الصباح . وأريدك أن تعرف أن حتي الشيطان يمكنه أن يستشهد بالكتاب المقدس لتحقيق غرضه . وانك لست الوحيد الذى يستطيع أن يفعل هذا . انصت الى هذا .

« ولا تشهد زورا » .

« يحبك اباك وامك ، تطول أيامك على الارض » .

« نشيء الطفل على الطريق الذى يجب أن يسلكه ، وعندما يكبر لن ينصرف عنه ؟ » .

صمتت . مالت فوق الطاولة التى كانت خلفها ، والتقطت ثلاثة أسواط قطعت حديثا من شجرة الخوخ وملتوية بشكل حاد . كان بامكان الصبى أن يشم رائحتها النتنة الكريهة . وعندما فتحت فمها لتتكلم ، انضم اليها الصبى وتكلما بتناغم ، « العصا لمن عصى . »

قالت أمه ، « هذا صحيح . وأيضا « ان الله لاينخدع ، وامك لم تعد مخدوعة . اخلع هذا السروال ! »

قبل بلوغه الرابعة عشرة بشهر واحد ، تلقى الصبى آخر علقة له . وفجأة قرر الا يبكي او يتراقص . وعندما كانت الاسواط الحادة تمزق فخذيه وساقيه العريانين ، لم يكن يملك الا ان يجفل . لم يبك أو يقفز في الهواء ، على أية حال . وقف معتدل القامة وظل يتلقى الضربات على لحمه العارى ، وهو يتظاهر بانه فى مكان آخر وان هذا لم يكن يحدث له حقيقة . وقد اكد أمد التعذيب المقدمة المنطقية التى اعتنقها طوال حياته انه كلما تزايد صياح المرء وكلما تزايد جموح تراقصه كلما قصرت فترة الجلد . فقد ظن أنها لن تكف أبدا .

وعندما انتهى الامر اخيرا وتركته امه المجهدة بوجهها المحتقن يرتدى

سرواله ، لفحص الصبى شبكة آثار الضرب الحمراء المضفورة التى كانت تلدغ مثل نحل كثير وتبدو مثل مجمـــوعه من ديدان الارض التقطت عشوائيا . شعر بانه هادىء ونظيف ، قد غفر له اثمه وتحرر من الخطيئة .

قال بصوت عال ، « وددت لو اننى استرددت الثمانية دولارات » ثم اضاف وهو صامت ، آنا لم آقصد ذلك حقا ، يا أبانا الرحيم الذى فى السماء . اغفر لخادمك المتواضع . فقد قضى يوما صعبا .

عندما استؤنفت الدراسة في تلك السنة ، كان طالبا في الصف قبل الاخير ، وهو وضع أعلى بكثير في التدرج الهرمي المدرسي الى درجة أن تكيفه مع أهميته الجديدة استغرق عدة أيام . في اليـوم الاول في حصة اللغة الانجليزية ، طلبت المدرسة منهم أن يكتبوا موضوعا عن شيء فعلوه في ذلك الصيف . لم يستطع الصـبي أن يتذكر حدثا واحدا غير عادي بما يكفي لان يكون مثيرا لاهتمام أبنـاء البلدة ذوي الذوق الرفيع . فكر لمدة خمس دقائق ثم كتب تقـريرا ملفقا تماما عن رحلة مدرسة الاحد الى الينابيع الهندية .

لم يجد صعوبة في ادراج مواد دراسته في الجدول . وعلى الرغم من أنه كان مايزال أصغر صبي حجما في المدرسـة ، فانه لاحظ بارتياح أن معظم الطلبة الجدد وبعض طلبة السنة الثـانية كـانوا يعاملونه باحترام . كان الصبية الجدد يرفعون أيديهم وينـادون باسمه عندما يلتقون به في القاعة ، وخطر له أنهم اذا كانوا يشبهون شيئا في العالم فقد كـانوا مثـل أطفـال يريدون أن يجـذبوا الانتباه اليهم . تذكر الانزعاج الخجول الذي كان قد خبره قبل سنتين وكان ودودا في أجاباته . وكان عادة مايشعر بالود والجزع تجاه الطلبة الذين كانوا يبدون شديدي الوجل والريفية . كان هذا يشعره بارتياح .

بل انه شعر بارتياح أكبر حين جاءته واحدة من فتيات البلدة في صفه لتخبره أنها كانت بحاجة الى مساعدته . كانت هي وفتاة اخرى والصبي هم الطلبة الوحيدون في فصل اللاتيني للسنة الثـالثة . كان السيد جيل قد أسر الى هذه الفتاة بالذات ، التي تصادف أنها كانت من أكبر عائلة في البلدة وعضوا في كنيسته ، انه كان سيلغي لاتيني السنة الثالثة من المنهج . وأشار الى أن عددا صغيرا فقط من الطلاب سوف يفيدون منه وأن مدرسة اللاتينية الجديدة كـانت غير راغبة في أن تبدد جهدها مع مجموعة صغيرة الى هذا الحد .

كانت فتاة المدينة هذه مازالت تدعى بيتي لو الصغيرة ، حتى أن

دوائر الصف العاشر الناضجة والمحنكة نسبيا . كانت نفس الفتـاة التي بللت الارضية في صف السيدة كولبير الرابع ، وكانت قد تمكنت من أن تستغل صدمة الطفولة تلك بمهارة فائقة بارعة . فقد كان كل ماتحتاج أن تفعله حين تواجه ازمة في المدرسة أن تتنفس بعمق ، وان تغمض عينيها ، وان تشرع في الارتجاف . كان هذا كفيلا بأن يجتذب انتفاضة فورية من صديقات مخلصات ، وفي ظرف دقائق كانت ترافق بجزع الى خارج الفصل وترسل الى البيت بقية اليوم .

وقد لاحظ الصبى ان هذه النوبات كانت تحدث عادة فى المدرسة الثانوية اثناء الامتحانات التحريرية . ولم تكن بيتى لو الصـغيرة تصاب مطلقا بنوبة الا بعد ان تكون الاسئلة كلها قد كتبت على السبورة . ومرارا كانت تمتحن فيما بعد ، بل ان بعض المدرسين الاعمـق تورطا كانوا يسلمونها لها فى منزلها حتى تستطيع أن تعـانى فى خلوة مخدعها .

وعلى الرغم من رقة جهازها العصبى وتلك الصدمات الدورية التى كانت تنتابها ، فانها كانت تتمكن بشكل ثابت من الحصول على تقديرات طيبة . وقد تكيف زملاؤها بنجاح عبر السنين مع اعتبارها مخلوقة مختلفة تستحق اعتبارا غير عادى . فلم يظهر احد اية غيرة مما يثيره الامتياز الخاص عادة ، على الرغم من أن الصبى كان يتساءل من وقت لآخر عما اذا كان من الممكن أن تكون حياتها مختلفة او أن مثانتها كان يمكن الاعتماد عليها أكثر فى الصف الرابع .

كانت مسجلة فى فصل اللاتينى للسنة الثالثة لانها كانت تريد الالتحاق بكلية سوفي نيوكوم عند تخرجها ، وقد نما الى علمها أن اللاتينى كان أحد المتطلبات . كان الطلبة الثلاثة قد اشتروا مسبقا كتب قواعد اللغة ومختارات من شيشرون وكانوا قد قطعوا شـوطا فى الترجمات فى اليوم الثالث عندما اختار السيد جيل بيتى لو الصغيرة ليعلن عن نواياه . فقد استوقفها بحذر فى القاعة وهى فى طريقها الى غرفة الاستراحة .

وعلى الرغم من انها تنفست بعمق ، واغمضت عينيها ، بل انهـا ارتجفت قليلا ، فان فنونها لم تكن مجدية . تارجح السـيد جيـل من قدم الى اخرى ، وجلجل مفاتيحه ، واسقط طقم اسنانه السفلى فى حين راح ينظر بثبات الى نقطة فوق راسها بقدمين . وما أن انتهى من كلامه ، حتى تراجع الى مكتبه ، واغلق الباب ، ورن جرس

الاستراحة ..
أخذت بيتى لو الصغيرة الى درجة أنها اتجهت مباشرة الى الصبى وهو يشب على اطراف أصابع قدميه ليخرج كتبه من الخزانة . أخذ هو أيضا . لم يستطع أن يتذكر أنه رآها ابدا وحدها من قبل ، وكان واثقا تماما أنها لم تخاطبه من قبل مطلقا فى عدم وجود آخرين. فقد كان يصاحبها عادة فتاتان او ثلاث فتيات أخريات على الاقل . وكان معنى هذا أنها لم تكن تكترث .

والآن ، بينما كانت تخاطب الصبى مباشرة بصوت به اهتزاز اجش ، والكلمات تخرج منها في دفقات لاهثة ، استقر رايه على انها كانت جذابة للغاية .

قال ، « يابيتى لو الصغيرة ، لاتنزعجى ، لاتضطربى ولاتنزعجى» وقاوم حافزا الى أن يربت على رأسها .

وفكر ، « اليوم هو الجمعة . وهذا يمنحنا وقتا طويلا . على أن اكلم أبى وأن أقنعه بأن يضعنا على جدول الاعمال ، وسوف نمثل امام لجنة التعليم يوم الثلاثاء القادم » .

رددت بيتى لو الصغيرة فى ذعر ، « نذهب الى لجنة التعليم ؟ لا استطيع ان أفعل هذا . كنت اموت خوفا .. »

وعدها الصبى ، « لن تكونى مضطرة لان تقولى كلمة . سوف يتولى الباقون الكلام . نحن نحتاج الى إكبر عدد يمكننا الحصول عليه ، رغم ذلك . هل تحسبين انك تستطيعين اقناع آنى روث وينيت بدراسة اللاتينى لمدة سنة أخرى ؟ اعرف أن فيرجينيا سوف تذهب معنا ، وسوف يبدو خمسة أفضل من ثلاثة . »

تهدج صوت بيتى لو الصغيرة ، « أوه ، لا ادرى . لقد قالت آنى روث قبل بداية الدراسة انها لم تكن حتى ستفكر فى دراسة اللاتينى مرة ثانية . وقالت انها لا تستطيع أن تنسى حتى الان « أنا أحب ، انت تحب ، هو يحب ، من السنة الاولى وان كل بلاد الغال مقسمة الى ثلاثة اجزاء ، من السنة الثانية . وقالت انها لاتريد أية مادة من هذا النوع أن تتراكم فى ذهنها بقية عمرها بل انها لا تريد حتى أن تتكلم بشأن دراستها سنة ثالثة. »

قال الصبى ، « سوف تذهب معنا اذا سألتها . وهى ليست مضطرة بالضبط الى أن تقول انها ستدرس اللاتينى للسنة الثالثة هى نفسها ، تستطيع ان تقول فقط انها تود أن تراه يدرس .. واذا نظرنا

الى الامر بهذا الشكل ، فاننى اراهن أنك تستطيعين اقناع لينارد بالذهاب معنا هو ايضا . فهو يحبك . »

طقطقت الفتاة ، « اووه — وى . ان كل هذا يجعلنى أصاب بالدوار تماما . »

نصحها الصبى ، « لا تضطربى ، يابيتى لو الصغيرة . عليك فقط ان تفاتحى أصدقاءك وسوف اتكلم انا مع أبى . واخبريهم الا يقولوا أي شيء عن هذا . فنحن لا نريد أن يصل الامر الى السيد جيل قبل أن نذهب . »

انشجت الفتاة ، « يا الهى ، انا لم أفكر فى ذلك . أنا بالتأكيد لا أود أن اجرح مشاعر السيد جيل . فهو لطيف جدا . هل تظن انه سينزعج ...

« الآن ، يابيتى لو الصغيرة ، متى رأيت السيد جيل منزعجا أبدا ؟ انه فقط ينفذ قاعدة ما تسلمها من لجنة التعليم . ربما لايريدنا ان نزعج لجنة التعليم بمشكلاتنا الصغيرة ، هذا كل مافى الامر . ألا تريدين الذهاب الى سوفى نيوكوم ؟ »

همست بيتى لو الصغيرة ، « أوه ، طبعا ، نعم . لا اعتقد اننى استطيع ان أواجه والداى اذا لم التحق بسوفى . لهذا جئت اليك فى المقام الاول . فقد التقت امى بشخص ما فى أتلانتا ذهبت ابنته الى تلك المدرسة ، وهى مصممة على ان أذهب . »

وعندما افترقا وكان الصبى يسير الى أسفل القاعة راح يفكر ، الآن ، لماذا لم يقل لى السيد جيل أى شيء عن هذا ؟ واذا فكرت فى الامر ، فاننى أعتقد أن السيد جيل لم يخاطبنى حتى منذ بدأت الدراسة . وقد استقر رأيى على أن اظل بمنأى عنه ، ولكن هل تظن انه يحاول أن يتجاهلنى ؟ سرعان ماسوف تكتشف ، ذلك التيس العجوز !

وفى يوم الاحد حين شرح الموقف لابيه ، قوبل أول الامر بانفجار . « ذلك الحمار العجوز الاعجف ! كان ينبغى أن اضغط فى الربيع الماضى حتى أتخلص منه ! لست فى حاجة الى المثول أمام اللجنة . فانا استطيع ان اعالج هذا الامر الصغير بأمر تنفيذى من المشرف على مدارس المقاطعة . »

نظر الى الصبى متأملا . « انتظر لحظة ، على أى حال . تقول أن هناك ستة منكم يريدون الحضور الى اجتماع اللجنة ؟ وواحدة منهم

هى ابنة بارتو براكستون ؟ « ضاقت عيناه . » ربما كان هذا نفس حصان طروادة الذى أحتاج اليه . تعالوا كلكم الى اجتماع اللجنة . تعالوا مبكرا ، وسوف نكون فى انتظاركم . » وضرب على كتف الصبى « لا تنزعج . سوف يستقر الامر على مايرام . »

وحين غادر الغرفة ، داخل الصبى شعور تآمرى لذيذ ، وللحظة فكر فى السيد جيل وشعر بما يشبه الاسف له . ثم هز كتفيه وتمتم ، « استدعوا دكتور ريدواين . فقد فعلها بنفسه بالتأكيد . »

وفى يوم الثلاثاء التالى ، بينما كان يسير باتجاه البلدة مع رفاقه الخمسة ، استرجع رحلته فى العام السابق وتذكر توقفه للصلاة . خطر له ، ليست هناك حاجة الى ذلك هذا العام . أنا لست حتى عصبيا . فمع وجود أبى الى جانبى ليست هناك حاجة الى ازعاج الرب بلاتينى السنة الثالثة . نستطيع معالجة الامر .

القى نظرة على بيتى لو ، وعلى جانبيها اثنتان من صديقاتها . وكلهن يثرثرن بشكل مفعم بالحيوية مع الاثارة التى يحدثها عمل شىء جديد وجرىء . خطر له أن اباها لابد ان يكون مهما بشكل متميز . انها ليست اطول منى بكثير . اراهن انها لا تتعدى خمسة أقـــدام مطلقا . ومن المؤكد أن لديها نهدين جميلين . اننى لاتساءل أين تقع سوفى نيوكم .

عندما دخلوا دار القضاء القديم الذى تتردد فيه الاصـــداء ، اصبحت جراة مهمتهم حقيقة ، وخفضوا أصواتهم الى همســـات وساروا على أطراف أصابع أقدامهم . ومن الواضح أن وجودهم كان متوقعا ، وصافح الصبى رئيس الجلسة فقط هذه المرة . ارتد مرة اخرى الى أمان الشكليات وهو يقدم كلا من رفاقه الطلبة . استبقى بيتى لو الصغيرة لتكون الاخيرة . وحرص على أن يكون صوته بلا تعبير وهو يقول ، « أخيرا وليس آخرا ، ومن المؤكد انها تحظى بكل اعجاب الآنسة اليزابيث لويز براكستون . »

وعلى الرغم من أن كل أعضاء اللجنة ابتسموا ، فانه كـان من الواضح أن السيد جوش يبالغ فى الابتسام . وتكلف رئيس الجلسة الابتسام تقريبا وهو يدفع رأسه الاسدى الى الامام من فوق ياقـة قميصه التى كانت بلا ربطة عنق ورفرف بأصابعه الغليظة التى شققها المحراث بتلويحة مرحبة خجولة . احمر وجه بيتى لو الصغيرة ولكن لم يبد عليها انها كانت ترى التقدير فى غير محله .

« ايها السادة ، نشكركم على هذا الاستقبال ، ونود ان تعرفوا اننا نحن الطلبة نقدر المهمة الرائعة التى تؤدونها لنا باعتباركم اعضاء لجنة التعليم . ونحن نعلم ان كلا منكم يتخلى عن عمله الشخصي ليأتي الى البلدة مرة فى كل شهر ليتأكد من ان مدرستنا الرائعة تعمل على الوجه الاكمل فى كل شهر واننا نحصل على افضل تعليم ممكن . »

وصمت . كان من الواضح انه استحوذ على اهتمامهم . « ونحن نكره أن ناخذ وقتكم بعيدا عن اى عمل له قيمته ، لكن هذه المجموعة من الطلبة تحتاج عونكم . فقد اخبر السيد جيل واحدة من مجموعتنا أن لاتينى السنة الثالثة سوف يتوقف لانه ليس هناك عدد كاف من الطلبة مسجل لدراسته . وكلنا هنا فى هذه الغرفة نود ان نواصل تعليمنا فى الكلية عندما ننهى دراستنا الثانوية فى العام القادم . وسوف يجعل عام آخر من دراسة اللاتينى الامر اسهل بالنسبة لنا جميعا . »

وواصل قائلا ، بعد أن قرر بسرعة الا يشير الى المدرسة من قريب أو بعيد ، « فلابد لى من خلفية لاتينية لدراسة الطب ، واحدى طالباتنا لن تتمكن حتى من الالتحاق بالكلية التى تريدها بدون حد ادنى من دراسة اللاتينى لمدة ثلاث سنوات . يابيتى لو الصغيرة ، هل لك ان تخبرى هؤلاء السادة عن اى مدرسة تريدين الالتحاق بها ؟ » سألها ببراءة ، وهو يتراجع ويدير رأسه .

احتقن وجه الفتاة بأعمق حمرة خجل رآها فى حياته . رفعت راسها بشجاعة ، والقت نظرة متوسلة على رئيس الجلسة ، وبصوتها الصغير المطقطق تطوعت بأن تقول : « ان أمى تريدنى ان اذهب الى مدرسة فى نيو أورليانز يطلق عليها سوفى نيوكوم ، وبورتر على حق فهم يتطلبون ثلاث سنوات من دراسة اللاتينى شرطا للالتحاق . » اغمضت عينيها ، وجذبت نفسا عميقا ، وارتجفت قليلا . تحركت آنى روث ووينيت لصقها لحمايتها . ونهض رئيس الجلسة .

« انا لا اعرف شيئا عن بقيتكم يارجال ، لكننى تعبت تماما من السماع عن هذه الفوضى الجدولية كل خريف . وكنت اظن اننا سوينا هذا فى العام الماضى . واعتقد اننا يجب ان نخبر جيل العجوز ان يدرس تلك المادة طالما كان هناك ولد واحد او بنت واحدة هناك

يريد أن يدرسها . هل يمكنني أن احصل على موافقة بشأن تنفيذ ذلك الاقتراح ؟ »

وفي وقت وجيز كان الطلبة يتجهون أسفل درج دار القضاء ومعهم وثيقة مكتوبة بالاذن في حوزتهم . التفتت آني روث بغضب عارم الى الصبي ، « أظن انك قلت لها أنها لم يكن عليها أن تنطق بكلمة : »

« صحيح ، ولكن بدا لي أن ذلك كان الشيء الذي ينبغي فعله في ذلك الوقت . ألم يفعل فعله ؟ لقد كانت بيتي لو الصغيرة رائعة حقا . وقد ادت عملها على وجه طيب ، وكانت أفضل مني بكثير . كان على أن أتوسل لمدة نصف ساعة أخرى . يابيتي لو الصغيرة ، أعتقد أننا مدينون لك بالشكر . وآسف اذا كنت قد احرجتك . »

اجابت الفتاة ، وهي تميل الى الامام بين آني روث وونيث اللتين كانتا تحفان بها لتخاطبه ، « هذا على ما يرام . لم يكن الامر سيئا الى هذا الحد ، وفي النهاية فقد كنت تفعل هذا لانني طلبت ذلك منك . أشكرك . »

رفع رجل سرواله اليسرى الى أعلى . شعر ان المحكمة قد وافقت على كلامه . « لا داعي لان تشكريني ، فلا شكر على واجب . هل تريدين اعطاء هذه الورقة للسيد جيل . »

صرخت بيتي لو الصغيرة ، وهي تتشبث بذراع واقية على كل جانب منها ، « يا للسموات ، لا ! لو كان على ان افعل هذا لمت تماما ! انا لا اريده حتى ان يعرف أنني مثلت أمام اللجنة . ألا تعطيه أنت الورقة ؟ أرجوك ؟ »

وجد السيد جيل يستند الى باب مكتبه وقت تغيير الفصول . « كيف حالك ، ياسيد جيل . لا اعتقد انني خاطبتك هذا العام حتى الآن ، فقد كنت مشغولا للغاية . واعرف أنك كنت كذلك ، أيضا . »

ألقى عليه السيد جيل نظرة قصيرة خاطفة ولم يتكلم . وببطء وثقة ظهر طقم الاسنان السفلى .

قال الصبى لنفسه ، أعتقد انه اكل بيضا مقليا هذا الصباح . واصل حديثه بصوت عال ، « هذا خطاب من لجنة التعليم طلب مني ان أسلمه اليك ، ياسيد جيل . »

كانت الاستجابة سريعة ومرضية . اختطف الرجل ، بزمجرة ، الورقة المعروضة عليه وقرأها بسرعة .

وصاح ، وهو لا يحس بالطلبة الذين كانوا يمرقون امامه ، « من فوق رأسي ومن خلف ظهري مرة ثانية ، هه ؟ سوف يأتي يوم تخطيء فيه ، وعندما تفعل ذلك سأكون في انتظارك . لاتنسى هذا . »

« لماذا ، ياسيد جيل ، لم يفكر احد منا في الذهاب من خلف ظهرك . فالخبر الذى وصلني هو أن المدرسة لا تريد ذلك الفصل الصغير . وقد ظننا أن هذا سوف يسهل عليك الامر . الا ترى ؟ » وبدأ يتراجع الى الخلف . « وبالاضافة الى ذلك ، كنت اظن انك تعرف أن بيتي لو الصغيرة كانت تريد الالتحاق بسوفي نيوكوم . » واتخذ خطوة أمام طالبين من طلبة الصف النهائي يسرعان الى فصلهما جرفاه معهما منتصرا الى اسفل القاعة .

وتهلل ، صباح الخير ، يا أبانا الذى في السماء . لقد ضربنا الاعدأء علقة طيبة . أشكرك من أعماق قلبي ، واستمر ممسكا بي في يدك ، يارب .

وبعد ذلك بأسبوعين ، تسلمت بيتي لو الصغيرة قائمة من سوفي نيوكوم واكتشفت أن اللاتيني لم يكن من متطلبات التخرج في النهاية. وفي صباح اليوم التالي ، بعد خمس دقائق من الارتجاف ، أرسلت الى البيت لتقضي بقية اليوم وسمح لها بأن تحذف فصل اللاتيني للسنة الثالثة في محاولة لتخفيف بعض عبء عملها . وقضى الصبي وفيرجينيا بقية العام يتقاسمان اهتمام مدرسة ساخطة . وحين راح يجهد نفسه خلال امسيات طويلة ، يترجم بطهر خطبا مملة لشيشرون مغرور ومضجر ، كان لدى الصبي وقت يحسد فيه بيتي لو الصغيرة ويتأمل تورط المرء مع القدر . كان لديه من البصيرة ما يكفي الا يسميه ارادة الله ومن الرجولة مايكفي الا يطلب عون الله .

حتى تلك اللحظة ، كانت أمه قادرة على مساعدته عندما كـــانت تصادفه فقرة لاتينية تصعب ترجمتها ، لكنها الان اخبرته انه قد تجاوز حدود امكانياتها . كانت قد درست اللاتينية لمدة سنتين فقط عندما كانت في المدرسة ولم تكن تشعر أنها مؤهلة للتعامل مع شيشرون . كانت مخلوقة غير عادية . فبعد أن كانت تعمل بجد طيلة الصـــباح تطبخ وتنظف لاسرتها وتقضى فترات بعد الظهر فى الكنيســـة وفى أنشطة مدنية ، كانت دائما متاحة لمساعدته بابتهاج على أداء واجباته المنزلية فى الامســيات . كانت تستطيع مساعدته فى كـل شيء تقريبا . كانت كفءا فى اللغة الانجليزية ، واللاتينية ، والجبر ، والهندسة ، والهجاء . كانت تعرف اقصر الطرق التى لم يـكن المدرسون يعرفونها أو يهتمون بذكرها . كان اكثر الدروس قيمـة تقوم بتعليمها ، على أية حال ، هو درس الصبر .

كان الصبى يميل الى التعجل فى أداء واجباته المحددة له ، وكانت اية مشكلة رياضية او جبرية لا يستطيع ان يحلها فى اول محـــاولة تدفعه الى اهتياج احباطى . وعندما كان يحدث هذا كانت الام تترك الاخوات الصغيرات فى هدوء مع واجباتهم البيانية أو الهجائية وتأتى لتنقذه . وكان تناول مشكلة صعبة وايجاد الصيغة الصحيحة لحلها تحديا ممتعا بالنسبة لها ، وقد تمكنت خلال الليالى الطـويلة مـن الوصاية أن تنقل هذا الموقف الى ابنها . أصبح الامر مباراة أكثر منه عملا ، وطوال حياته كان يستطيع أن يسمع ضحكتها المبتهجـــة وصيحتها المستثارة ، « تلك هى ! » وهى توازن بانتصار معـــادلة مستحيلة .

فى الشتاء ، كان الاطفال يجتمعون فى غرفة الطعام ، وهى واحدة من غرفتين بهما تدفئة فى المنزل ، ليؤدوا واجباتهم المدرسية . لم يكن هناك اختيار . كان هذا مايفعله المرء ، وكان يعتبر أحـد أعمال الحياة الروتينية الضرورية - كان لكل طفل جانب من طاولة الطعام الدائرية كمساحة للعمل ، وكانوا يدرسون معا فى حين كانت الام

تزلق أو تحيك حتى يحتاج أحد الى مساعدة .
لم تكن تراجع الواجبات المحددة الفردية ، ولا تستفسر اذا كان كل العمل قد أنجز . كان الافتراض الذى لا يفصح عنه أن كل واحد كان يعمل حتى لا يعود هناك عمل وان أحدا من الاطفال لم يكن يفكر مطلقا فى ان يحذف اى واجب مدرسى . غرست فيهم احساسا بالواجب والضمير بحيث لم يذهب واحد منهم الى المدرسة مطلقا بدون واجب مدرسى لم يعد ، او جاء بتقرير عن كتاب متاخر . كان الروتين راسخا باحكام فى تكوين الصبى الى درجة أنه لسنوات كان يعتبر العائلات ينقصها شيء اذا كان لديهم طاولة طعام مربعة .

وبشكل مغبش ، في الماضى ، كان بامكانه أن يتذكر أباه فى البيت في المساء . كان هذا منذ وقت طويل جدا ، على أية حال ، الى درجة أنه لم يكن لديه صورة واضحة عنه . وعلى مر السنين تعود على غياب أبيه . والحقيقة أنه كانت هناك فترات طويلة من الزمن كان الاطفال يرونه فيها فى عطلات نهاية الاسبوع فقط . كانوا يأوون الى الفراش قبل ان يعود الى البيت ويذهبون الى المدرسة قبل ان يغادر السرير . وكان الصبى يعلم من مقابلاته معه من آن لآخر ان انفاس أبيه كانت تفوح برائحة الويسكى فى الليل ، وعرف من استراق السمع فى الليل ومن التلميحات فى المدرسة أن الملاكمات والنساء كن جزءا من انشطته الليلية .

غير أن شيئا من هذا لم يكن موضع نقاش فى البيت ، وكانت الام تشجع الاحترام المطلق للأب وتضرب به مثلا . لم تكن سلطته موضع مناقشة مطلقا ، وكانت القرارات الهامة تؤجل وتترك لتدبيره وحكمته. كانت كلمة « مدمن كحول » لفظا لم يسمع به مطلقا فى المقاطعة ، ولم تكن تسمية « سكير » تلائم سيدا ساحرا من سادة الحرب . كان يقوم بجولاته فى ثياب بيضاء ناصعة كل صباح ليؤدى وظيفته بكفاءة بارعة حتى غروب الشمس .

ولسنوات طويلة كان الطفل يتطلع الى أمه من أجل التوجيه والسند . كانت هناك رفقة المهمات المشتركة وصحبة أوقات خاصة عندما يكونان وحدهما . كان اظهار حبها له هو مجمل احساسه بالامن . وكان يحب الصباح الباكر من بدايات حياته في المزرعة . كان يسارع الى اشعال النار فى المدفأة ، وحلب الابقار ، وسحب

الخشب ، واحداث ضجة فى الدخول الى المطبخ الكهفى والخروج منه فى حين كانت هى تتحرك بسلاسة وهدوء خلال الاعداد للافطار ، كان حبهما لاحدهما الآخر قيمة مطلقة من قيم الحياة ، لا تحتاج الى تأكيد . كان يتقبلها على علاتها تماما مثلما كان يتقبل الشمس فى السماء . وكان يعلم غريزيا المتطلبات الاساسية لاستحسانها وكان على استعداد ان يموت خجلا قبل ان ينتهكها .

كان وعيه بأبيه فى الخلفية على الدوام . وقد كان دائما نصف خائف منه . فمن جده وعمته كان قد سمع قصصا كثيرة جدا عن نبل ابيه حين كان طفلا ، وصبيا ، وشابا ناضجا الى حد أن أصبحت صورته بطولية وملكية . وقد اشرق فى عقله بالتدريج انه كان من المتوقع منه أن ينضج بحيث يصبح نسخة طبق الاصل من هذا المخلوق الذى كان اعظم المخلوقات . كانت ضخامة الامل المنشود تملأه رهبة ، لكنه نادرا ماكان يبدو صعب المنال . وقد قرر فى وقت مبكر ان التحول كان معجزة دينية ، يأتيها يهوه شهم جزاء محبة من اجل سنين من الخدمة المخلصة . وعندما كان يرتكب الخطيئة ، كان يضرع فورا وتلقائيا من اجل العفو المقدس ويعزى نفسه باسترجاع مسح شاؤول بالزيت بصفته ملكا على اليهود ، ذلك المسح الذى لم يكن متوقعا او مستحقا .

وبحلول نهاية الصف السابع ، أصبح يدرك وهو يشعر بالذنب انه كان يخجل من رؤيته مع امه على رءوس الاشهاد . فحين كانت توجد كان يشعر بنفسه معرضا لعيون اقرانه الفضولية ويتخيل أن خلوته كانت تنتهك . لم يذكر هذا الاحساس بالخجل لاحد وكان يمضى بعيدا فى انكار وجوده حتى لنفسه . وفى المقابل ، كان يحب أن يرى مع ابيه ، وهو يمشى على استحياء وباحترام فى ظل العظمة الذكورية . ولم يغير شىء من هذا اى شىء فى البيت .

والآن ، وهو فى الصف العاشر ، أصبح واعيا بمدى مشاعره تجاه امه أصبحت قبلات قبل النوم واجبا يسود فى اعماقه ان يتخلص منه ، واصبح حانقا على التعليمات والتوجيهات التى كانت تصدر عنها . كان لديه من الذكاء ومن الشعور القوى بحب البقاء مايكفى لان يخفيه ، ولكنه بينه وبين نفسه بدأ يفكر ، وددت لو انها تركتنى وشأنى .

تاق الى ابيه . فقد كان دائما يطمع فى استحسانه ، لكنه الآن

كان يتوق الى الاستحواذ على انتباهه . كان يسمح له من آن لاخر ان يذهب معه الى البلدة في طفولته في عصر ايام الاحد . وكان يذكر تلك الرحلات بصفتها تجارب باهرة تتضمن الجلوس باحتشام على مقعد عال بدون مساند في الصيدلية ، يأكل الآيس كريم ويشاهد اباه المرح الاجتماعي . وكانت « سيدة اللحظة اللطيفة » تحاول عادة ان تعانقه وان تقرأ له قصة ، وهو فن كان هو فيه ، دون أن تعلم ، اكفأ منها .

بل انه كان يستمتع أكثر بالرحلات النادرة الى مكتب ابيه في دار القضاء القديم المتعامد الرأس الذى تتردد فيه الاصداء . كان كومب سكرتير الاب ، وكان يغادر باطراد ليأتى بزجاجة كوكاكولا او ليباشر بعض اعمال البريد حينما كان الاب يصطحب الصبى معه . وبينما كان الاب يتحدث في الهاتف ، وهو حدث غير اعتيادى في حد ذاته ، او يتناقش في السياسة مع ملازم مافي مكتبه ، كان الصبى حرا في ان يستكشف . كان بامكانه أن يختلس النظر ، دون وجل ، الىخزائن ارشيف كومب ، وان يتصفح المجلات التى كان يخزنها في أكوام انيقة في الركن ، او ان يقترب حتى من قدس الاقداس ، المكتب الذى كان اعلاه يدور على مفصلات . ولو استطاع ان يدخل في هذا المكتب ، لكان بامكانه ان يسحب كل ذلك العدد الوفير من أدراجه بحثا عن كنوز مخبئة . كان مقتنعا انه كان هناك سر ثمين في ذلك المكتب ، لان كومب كان دائما يغلقه ويضع المفتاح في جيبه ، اذا تصادف انه تلقى تحذيراً مبكراً بمجيئه .

في هذه المناسبات ، على اية حال ، لم يحظ حقا برفقة والده . كان في الحقيقة معنيا بالغنائم التى كان يمكنه أن يحصل عليها لكونه ابن السيد بورتر الصغير ، وكان يميل بالفعل الى تجنب انتباه الشخصية البارزة المثيرة للرهبة التى انجبته ، ذلك الانتباه المباشر المقلق . والآن ، في حين كان يجاهد الروابط التى تشده الى أمه ، تملكته رغبة واعية ان يكون ضمن عالم ابيه . فلابد انه كانت هناك نواح في الحياة اكثر اثارة من حلب الابقار والذهاب الى مدرسة الاحد .

كان يعلم انه لم يكن جديرا بذلك ، لكنه كان يتطلع الى كسب انتباه ابيه ، الذى كان يكن له احتراما واعجابا وخوفا اكثر من اى شخص آخر في العالم . وقد كسب انتباه الرجل عن طريق كتابة

مذكرات . بدأ بفقرة باللاتينية لم يكن قادرا على ترجمتها ، نسخها على صفحة من ورق المذكرات مع طلب أن يقرأها له والده . وترك هذه الرسالة موسدة تحت طبق الطعام الذى كانت أمه تضعه باحساس بالواجب اعلى الموقد كل ليلة . وفى الصباح التالى كان بانتظاره ترجمة دقيقة مع جملة مضافة حول اوجه الغموض فى حالة المفعول به غير المباشر . وبدأ يترك مذكرات لابيه مرتين أو ثلاثا فى الاسبوع. وتجرأ ، وقد شجعته الردود ، على التخلى عن مشكلات ملفقة ليسأل أسئلة بسيطة ومباشرة . ومالم يكن أبوه قد استهلك كمية من الكحول اكثر من المعتاد ، كان يتلقى اجابة مكتوبة فى صباح اليوم التالى ، كان يقرأها مستشارا قبل أن يحلب وقبل أن تهبط امه الى الطابق السفلى .

وذات مرة كتب ، « أبى العزيز ، هل استطيع أن آتى معك لصيد الطيور يوم السبت القادم ؟ » وبجراة وقعه ، « مع حبى ، سامبو . » وعند قراءة الاجابة فى صباح اليوم التالى ، كان يستطيع ان يسمع هيبة الجمل المخمورة ويدرك ان اباه كان قد عاد للبيت قبل ان يصل الى حالة سكره الجامحة الفخيمة .

« ولدى العزيز ، يمكنك أن تأتى للصيد معى يوم السبت . وسوف يسعدنى أن اشاطرك صحبتك . دع أمك توقظنى مبكرا . » وبشكل لا يصدق كان التوقيع ، « مع حبى ، أبوك . » ورغم التأديب الذى ناله من درس القواعد ، فانه تهلل للتقبل الذى كانت المذكرة تنطوى عليه احتفظ بها لفترة طويلة . كانت تثير ذكريات عن الصيد فى يوم السبت التالى ، عندما انطلق الاثنان وحدهما عبر الحقول التى كان يغطيها الصقيع خلف كلبين لصيد الطيور اللذين سرعان ما كبحا ابتهاجهما الشديد بالرحلة وشرعا يتجولان بكفاءة بحثا عن الحجل .

لم يكن هناك اى تبادل حديث له مغزاه فى ذلك اليوم . والحقيقة أن معظم الاتصال بينهما كان حول الصيد . فقد ابديا ملاحظة بصوت عال عن اكتشافهما لروث سمان وردى خلفته سمانات حاضنة . وباشارة من يده فقط نصحه الاب بالاقتراب خلسة عندما حدد الكلبان المكان . تبدد التوتر المتصاعد فى تفجر طيران الحاضنات المجفلة ، وصدمة انفجارات بنادق الخرطوش ، وطقطقة كشف الكلبين للموقع . وتبعت صيحة الرجل ، « راقب تلك الطيور

المفردة ، باسامبو ، » طقطقته الهادئة البلعومية ، وكـانت جملة « التقط الاموات ، التقط الاموات من هناك اقول . جملة مفعمـــة بالانجاز الذى يبعث على الرضا .

لاحظ الصبى متعجبا كيف كانت الاصابع القوية تستخلص الطيور الميتة برقة من فم الكلب الذى اكتشف الطرائد ، وهى تملس بدون وعى الريش المهوش فى اتجاهه الصحيح قبل ان تضع الاجســام الصغيرة المجمدة برفق فى الجيب الخلفى لمعطف الصيد . وعنـدئذ كان عليه أن يصفق الكلبين ويدللهما ويرسلهما وقد تدلت السـنتهما فى أثر الطيور المفردة .

وكان على الرجل الطويل الساقين بحذائه ذى الرقبة الطويلة ان يحمل الصبى مرتين خلال تشابكات الاغصان الشائكة ، وان يرفعه مرة عبر جدول أعرض من أن يستطيع القفز فوقه . غير ان الصبى تمكن من أن يجاريه وحده ، وهو يخوض برجولة خلال وقع كوكل بارتفاع رأسه او وهو يستحث خطاه لتوائم خطوة ابيه . عـــافت نفسه السردين والبسكويت الهش الذى أخرجاه من العلب لتنـاول الغداء لكنه تظاهر بأنه يستمتع بهما .

اخطأ كل طلقة صوبها نحو طير فى ذلك اليوم وادرك انه كان متوترا لانه كان يخشى أن يبدو مضحكا للصياد القوى الذى كان يصحبه . ورغم ذلك فقد استمتع باليوم . وعندما عادا فى الثالثة ، كـان مرهقا الى حد انه ابتهج عندما اغتسل ابوه وذهب الى البلدة ، تاركا اياه يستقر فى حياته مرة اخرى .

وبعد ذلك ببضع ليال كتب صفحة ونصفها بعنوان ، « ماتعلمته منك عن صيد السمان ، » ودسه تحت طبق عشاء ابيه . وفى اليوم التالي قرأ . « مع طالب كهذا ، لا يمكن أن يفشل مدرس ، واود ان اضيف الى قائمتك ، اياك أن تطلق النار أبدا على حاضنة بيض وهى على الارض ، » وقد كتبت على عجـــل أسفل الصفحة بخط مخمور .

شعر بالاثار مثل كلب الصيد الليمونى اللون وهو يتلقى الامـر باستعارة الطرائد بشكل طيب ، وعلى طول الطـريق الى حظـيرة الابقار كان يشعر كما لو كان يهز ذيله . انتظر يوما ثم كتب ، « هل يمكنني أن ابقى بعد المدرسة يوم الجمعة وأركب معك عند العودة

للبيت فى تلك الليلة ؟ » كانت الاجابة مقتضبة . كانت تقول ، « بكل تأكيد . »

لم يستطع أن يخفى اثارته وهو يخبر أمه ذلك الصباح . واضاف باحساس بأهميتـــه ، « واحسب انه يحسن بك أن تتركى لى طبقا . »

اجابته امه وهو يتجه الى الخارج ، « يسعدنى أن أفعل ذلك . » ثم نادت عليه بصوت ناعم ، « سامبو . »

اطل برأسه ثانية من عند الباب ، « سيدتى ؟ »

« أنا مسرورة ان اراك انت واباك تقتربان من احدكما الاخر ، اعلم أنك كنت تكتب له مذكرات بالليل . ربما كان هذا اســتجابة لصلاتك . أستمتع بوقتك الليلة ، ولكن تذكر من انت . »

قال بشيء من عدم الارتياح ، « أجل ياسيدتى . » وعندما استدار كلاهما ، توقف لحظة وسمع أمه تقول بنبرة متعجبة ، وهى لا تدرك أن هناك من يسمعها ، « وسيقودهم طفل صغير ؟ »

مشى بهدوء عبر الشرفة . ما الذى كانت تعنيه بذلك على الاطلاق؟ فكر . يارب ، من المؤكد أن لك كثيرا من الناس يخاطبونك ، اليس كذلك ؟

وعصر ذلك اليوم بعد المدرسة ، مشى بتثاقل وهو يحمل على ذراعيه حملا من الكتب ، ودفع باب الصيدلية على استحياء . كان اناء الصودا خلف منضدة البيع ، ورجل حليق كان يرتدى دائمـا قبعة صوفية رمادية قد جذبها فوق جبهته ، حافتها مشحمة وملتوية من جذبه لها بين ابهامه وسبابته . وكانت وجنتاه « غائرتين عـلى الدوام لانه لم يكن يلبس طقم أسنانه ، وكان فكاه فى حركة دائبـة لانه كان يمضغ التبغ . كان أيضا ميكانيكى سيارات جيد ، وهى مأثرة كانت أظافر اصابعه تشهد لها . وكان نوعا من المغامرة ان تطلب منه أن يعد لك مخروطا من الآيس كريم .

ساله الصبى بأدب ، « أين أبى ؟ » فكر المخلوق المضحك الشكل لحظة ، وادار راسه ، وبصق سيلا عنبرى اللون على الارضية ، وجذب قبعته ، واجاب ، « اظن أنه مايزال فى مكتبه فقد جاء العجوز روت ويتلوك الى هنا منذ قليل يبحث عنه ، واظن انه مشى فى ذلك الاتجاه . فعندما يغادر السيد كومب كل يوم فانه يعود عادة الى مكتبه لمدة ساعتين على الاقل . وابوك لا يكاد يصل الى هنا مطلقـا

قبل الساعة الرابعة أو الرابعة والنصف عصر كل يوم . وانا ارسل اليه دائما الى هناك كل من ياتى الى هنا باحثا عنه . واظن انك ستجده هناك . »

عبر الصبي الطريق الترابي العريض الى دار القضاء . كان عليه أن يدفع بكتفه الباب الخارجي العالى الذى كان مغلقا ضد برد الشتاء . كانت القاعة طويلة للغاية وضخمة للغاية الى حد انه تخيل انها كان لها طقس خاص بها . كانت على الاقل أكثر برودة فى الداخل عنها فى الخارج ، وكانت هناك ريح اعنف تهب . وكان السجين الذى لا يحمل اسما والمكلف بالعمل حارسا للمبنى منحنيا فوق برميل من مركب للمسح اسفل الدرج .

حياه الصبى بنفس طيبة وهو يقلد اباه تقليدا واعيا ، « كيف حالك ، أيها الرجل الكبير . » وصمت قليلا فى انتظار اجابة لكنه لم يتلق اية اجابة . مشى باحساس بأهميته الى باب المكتب وطرقه . صافحه أبوه ، وقدمه الى السيد روث ويتلوك ، وقال ، « سوف ادعك تأخذ راحتك هنا على مكتبى . تستطيع أن تؤدى واجبك المدرسى أو ما تشاء ، ولكن اذا لم يكن لديك مانع ، فاننى أستميحك عذرا لبعض الوقت فلدى أنا والسيد روث بعض الاعمال المدرسية الهامة لنناقشها . هاك ، على أن أفتح المكتب لك ، أنا لا أعلم لم اغلقه كومب على الاطلاق قبل أن يغادر . »

انزل أعلا المكتب للصبى محدثا قعقعة قبل أن ينضم الى السيد روث امام نار الفحم التى كانت تحدث أصوات فرقعة على مقضب المدفاة . مال كلا الرجلين فى مقعديهما المتسدلين بقاعدتيهما المصنوعتين من الخيزران . كان الاب يدخن سيجارة تلو سيجارة ، والسيد روث يمضغ التبغ ويميل الى الامام من آن لآخر ليبصق بدقة وفحيح فى النار . توازن الصبى على مقعد الاب الدوار وبأصابع قدميه تكادان تلامسان الارضية ومرفقيه مستندان الى المكتب ، امال المكتب الى الامام على لوالبه القوية . فتح كتبه ، وشرع يؤدى واجبه المدرسى .

سمع اباه يقول ، « روث ، كما كنت اقول ، اننى أعتمد عليك فى الصيف القادم عندما ارشح نفسي ثانية . ربما لا اواجه معارضة هذه المرة ، لكننى اومن دائما بدخول معركة الانتخابات وانا خائف ، ومن المؤكد اننى اريدك أن تعرف انت واهلك اننى اقدر وقوفكم

الى جانبي من قبل ومن المؤكد انني اريدكم ان تصوتوا لصالحي مرة اخرى . »

« يا الهي ، ياسيد بورتر ، ليس لك اى عذر فى أن تقلق ، انا لم اسمع شيئا عن اى مرشح سوى ربما تومي لوكريمر . لم اسمع نفسا ينطق بشيء عن اى شخص آخر مطلقا . وقد كان أهلها دائما من أنصار بابكوك المتشددين الى درجة أن العجوز مارسينجيل نفسه ربما يؤيدك انت اذا كانت هي الوحيدة المرشحة ضدك . واذا وقف الى جانبك ، فأنت تعرف أن السيد بوب نيوكوم سوف يفعل نفس الشيء ، لانه مارسينجيلى حتى النخاع ، وجونى براونتج دائما في صفك ، فاذا كان آل مارسينجيل ، وآل نيوكوم ، وال ويتلون ، وجوني كلهم فى صفك ، فعندئذ عليهم فقط أن ينسوا ناحية وينشب . »

صمت وبصق ثم اضاف ، « وبالطبع قد يكلفك هذا قليلا ، ولكن ليس بالقدر المعتاد . بعض التلويحات الدائمة لبعض النسوة ، وكأسا من الشراب هنا وهناك ، ولكن لن تدفع مالا كثيرا . أنت تعرف اين تنفقه . ولست بك حاجة الى حتى اخبرك عن هذا . » نهض ، وتخلص من مضغة التبغ بأن قذفها في كفه ، وقذف بها على النار .

« اظن انني يجب على أن أمضى ، يابورتر . فقد وعدت زوجتي أن آتيها باشياء من المتجر . اذا توافرت لديك فرصة لسائق حافلة جديد ، فمن المؤكد انني سوف أكون شاكرا لك اذا تذكرت جونيور . فهو فى حاجة ماسة اليها . »

أجابه الاب : « حسنا ، ياروث ، الامر كما قلت لك . اننا ليس لدينا مال نحن انفسنا ، ولكن اذا سمحت لنا الولاية بسائق جديد ، فاعتبر ابنك قد استؤجر . فلن انساك ، وانا أقدر لكم جميعا حقا انكم تذكرونني عند الاقتراع . »

تصافحا ، ومر الزائر بجوار المكتب . قال ، « الى اللقاء ، أيها الرفيق الصغير . ادرس هذه الكتب واكتسب ذكاء . والدك يقول انك ستصبح طبيبا عندما تكبر . اسرع بالعودة الينا واعتن بأهل الريف . » وشعث شعر الصبى بيد محبة بشكل خشن وقهقه متلطفا .

اجابه الصبى ، « اجل ياسيدى ، ياسيد روث ، من المؤكد انني سأفعل ذلك . سعدت بلقائك . » حاول الا ينكمش حين ادرك أن

اليد التي كانت على رأسه كانت اليد التي احتوت مؤخـرا حشوة التبغ .

جلس خلال بضع جلسات عمل اخرى ، وانهى واجبه المدرسى ، وشرع يتصفح مجلة ليبرتى . عاد أبوه بعد ان ودع زائرا خارج الباب قال والساعة فوقهما في البرج تدق نغمة واحدة مدوية ارتحلت بذبذبة هادرة على طول المسافة خلالهما وخلال الارضية الخشـــبية تحتهما الى أعماق الارض ، « حسنا ، أنها الرابعة والنصف . دعنا نمضي عبر الشارع ونرى مايدور . »

دس مسدسه في جيب معطفه ومال حاملا المفتاح الضخم الذى بطوى والذى زودته به المقاطعة ليغلق باب المكتب . كان السجين يجرر قدميه فى القاعة وهو فى طريقه الى اللقاء الذى كان سيعود به الى مجموعة المساجين القيدين ليقضى ليلته .

قال الاب : « مساء الخير ، أيها الرجل الكبير . »

اجابه الرجل بخضوع وهو يبتسم أبتسامة عريضة ، « مســـاء الخير عليك ياسيد بورتر . هل هذا ولدك الصغير . ظننته كذلك حين مر بى منــذ لحظة . انه يشبهك بالتأكيد ، ياســيد بورتر ، وسوف يكون مثلك تماما عندما يكبر أجل ياسيدى ، أنه صبى رائع ، بكل تأكيد . »

ناوله الاب ربع دولار . « اشتربعض التبغ لعطلةنهاية الاسبوع ، أيها الرجل الكبير . واعمل حسابك أن تحضر لى دلو فحم جديد . قد لا أصل الى هنا الا في وقت متأخر غدا ، لكننى سأفتح لك الباب حالما أصل البلدة لتشعل لى نارا . »

« أجل ياسيدى ، ياسيد بورتر ، أجل ياسيدى . سوف أكون فى أنتظارك دعينى على لحظة وصولك . أشكرك ياسيدى . »

اسر الصبى الى أبيه وهما يهبطان الدرج ، « يا الهى ، يا أبى انه لم يحفل حتى بالحديث الى عندما دخلت . أظن أنه وجل مع الاغراب . »

قال الاب ، « دعنا نمضي الى الصيدلية ، فقد طلبت من صبى أن ياتى ليعلمك البلياردو . ظننت أنك ربما استمتعت بذلك . »

أجاب الصبى ببطء ، « أجل ياسيدى ، هذا يبدو ممتعا . » وشعر انه كان فى وضع دفاعى .

كان الصبى المعلم ويدعى دنتون جونز ينتظر ، مســـتندا الى خزان

الصودان بمرفقيه وقدم واحدة . ومن شفتيه كانت تتدلى سيجارة انيقة فى تكلف جعل عينيه يحولان . كان دنتون جونز ، اكبر من الصبى بعام ، ومتخلفا عنه فيالمدرسة بسنتين ، وبعيد الشقة عنهفي موقفه. كان اصغر ستة أخوة « تربوا جميعا فى الشارع . »

وحريصا على الا يجد اباه قبل أن يكون دنتون جونز قد انصرف الى بيته ، توصل الى الحصول على كيس بسكويت بالعسل من الجرة الزجاجية التى كان لها فتحة فى جانبها وحليب منفوض .

راقب باهتمام بينما كان عامل خزان الصودا يصب الحليب من ابريق سعته جالون ، يضيف مغرفة من الآيس كريم ، ومقدارا ضئيلا من الفانيليا ، ثم يرج المزيج بقوة الى درجة ان وجنتيه بلحيتهما النامية اهتزتا . وبينما كان المزيج ذو الرغوة ينصب فى كوب زجاجى أكد الصبى لنفسه أن ظفرا واحدا من الاظافر السوداء الحواف لم ينزلق فيه فى اية لحظة من اللحظات . حمل بسكويته وكوبه الى ركن خال وتظاهر بانه لا يرى دنتون وهو يلوح له بذراعه وينصرف .

ولم يمض وقت طويل حتى خرج أبوه وانضم الى المجموعة الواقفة عند خزان الصودا ، وهو يثرثر بسهولة وسلاسة مع كل من كان يجيء . وفى مرة التقت عينه بعين الصبى وغمز بسرعة بعينه عبر الحشد . شعر الصبى على الفور بالامان ولكنه كان مسرورا أنه كان صغيرا الى هذا الحد حتى لا يلاحظه اى واحد آخر فى الغرفة .

وفيما بعد ، لم يكن بامكانه أن يتذكر متى انضم هاركورت ماثيوز الى المجموعة بالضبط . كان عدم الالتفات الى دخول شخص ما هائل الحجم بهذا الشكل يتطلب بالضرورة تركيزا حادا على شيء آخر . كان هاركورت ستة أقدام وبوصتين طولا ، ويزن مايزيد عن ثلاثمائة رطل ، ويبدو بدينا الى حد لا يصدق . وكانت أصابعه تبرز مثل حلمات على ضرع بقرة متمدد ، وحتى انفه كان منتفخا . وبالفعل كان مظهره يخفى عضلات قوية وقوة هائلة .

ولما كان طفلا وحيدا ، فقد اسموه باسم جد امه ، وكانت كل السيدات فى البلدة ينادونه باسم « هاركورت » . وكان كلماعداهن ينادونه باسم « بول » . ولما كان اصغر من ابيه بعشر سنوات كان على الصبى أن يناديه باسم « السيدبول» لو أنه واتته فرصةمخاطبته. لكن العملاق لم يهتم قط بملاحظة وجود اى اطفال فى البلدة فيما

هذا صبية آل جونز . كان يستخدمهم في مهمات متعددة . وعلى الرغم من أن أية مهمة من جانبه كانت لها صفة شائنة بشكل يثير التشويق ، فانه كان بخيلا فيما يدفعه ، ولم يكن الاخوة جونز يزكونه بحماسة . والحقيقة أن الصبي لم يكن يستطيع أن يتذكر اى شيء به اطراءمن بعيد أو قريب قاله اى شخص في بروتستون عن بول ماثيوز .

كانت السيدات يرينه خشنا وسوقيا . وكان الرجال يحتملون وجوده لكنهم كانوا يشيرون الى أعماله التجارية المختلفة باحتقار . لم يكن أحد يثق به ، وكان هو بدوره لا يثق في أحد . واذا كان يشعر بأى اعجاب لرجل آخر ، فانه كان يخفيه بنجاح تام خلف التظاهر بالتهكم الذى لايخلو من ازدراء .

كان في ذلك الوقت يدير مصنعا لنشر الاخشاب ، وهو مشروع كان يعتمد على عمال اليومية من بين مجموعة الزنوج التي تدمن الشراب وتعيش في فقر مدقع في ارجاء المدينة ، والتي كانت لايمكن الاعتماد عليها الى درجة ان أى مزارع لم يكن يفكر في أن يثق بها في جنى محصول القطن . في كل صباح كان يجمع الافراد الذين كانوا غير ثملين الى درجة تسمح لهم بالعمل ، ويسوقهم الى حيث كانت آلاته تقع في المقاطعة . كان آل جونز يتكلمون برهبة مفعمة بالاعجاب عن موقفه المستبد تجاه مستخدميه .

كان يشير اليهم علانية وبصوت عال بصفتهم « الزنوج التعساء » سواء على مسمع منهم أو كتحية مباشرة ، وكانت معاملته الجثمانية لهم تعكس نفس قسوة القلب . كان يرج ، ويدفع ، ويركل وهو يؤنبهم بنفاد صبر عن أى تقاعس في أطاعة الامر ، وكانت أية بادرة اعتراض من جانب المتلقي تنزل به ضربات صاعقة من قبضتيه الهائلتين أو حتى تهجما محطما للجمجمة بعرق خشب يبلغ سمكه بوصتين في اربع بوصات .

وكان بول يتمتع بشهية أسطورية للطعام مثلما كان يتمتع بشهية للعنف . كان جون اديسون بوين يحب ان يتناول قدح قهوة اضافيا في مقهى بزبايك كل صباح ، وقد قال ان بول كان يأتى دائما ليطلب اثنتي عشرة بيضة مقلية . عندئذ كان يتناول رغيفا ، ويقطع أعلاه ، ويحدث به تجويفا بنصل مطواته ، ويطلب من بز أن يضع البيضاء الساخنة فيه ، ويحشو التجويف بقطعة الخبز التى اقتطعها ، ويتجه الى المنشرة . كانت هذه الشطيرة ، التى كان يبتلعها بجالون من

اللبن المخضوض وجبة غدائه . كان من السهل على الصبي ان يعتقد ان هذا كان مجرد وجبة خفيفة في منتصف الصباح .

كان بول اضخم مخلوق رآه خارج حظيرة المواشي . كان كرشه هائل الحجم وبارزا الى حد انه لم يكن في العالم كله سروال يضمه . ولم يكن بالامكان ان يغطي اى قميص هذا الكرش الهائل بشكل كاف ، فكانت سرته دائمـــا واضـــحة للعيـــان ، فجوة كهفية بلا قـــرار فيما يبدو تصاب بالفواق بشكل مبتذل حينما كان بول يضحك او يسعل .

وفي تلك الليلة لاحظ الصبي أن السرة كان تختفي تحت حلة الاتحاد المشدودة باحكام التي كان بول يرتديها في الشتاء ، ولكن كان هناك مايزال مثلث قميص مفتوح يحدد موقعها . استند الى خزان الصودا ، وهو يرشف سيجارة انيقة ، ويبتسم ابتســـامة عريضة بلهاء كما لو كان يظن نفسه أكثر أفراد المجموعة شعبية .

سمعه الصبي يخاطب أباه قائلا ، « بورتر ، لقد رأيت المدرســة الجديدة التي استأجرتها عندما كنت أمر بجوار المدرسة هذا الصباح كانت هناك تدرب فتيات فريق كرة السلة . اعني انك كنت على بينة مما كنت تفعله عندما استأجرتها . فهي حلوة حقا . »

اجابه والد الصبي بنبرة رسمية محددة في صوته ، « اشكرك ، ياهاركورت . انها شابة رقيقة للغاية . »

قال بول باصرار ، « آه ، هه . أقول لك انني أود أن أخلع سروال الالعاب من على مؤخرتها الصغيرة الجذابة واداعب ذلك اللحم الطيب الذي يحتويه . »

تحرك الاب مثل قطة . قبض على مقدمة قميص هاركورت ، ورج الجسد الضخم الى الامام ، وصفعه بقسوة صفعة كان لها دوى طلقة رصاص . شهق الصبي بلا حراك في دهشة حين ذاب الجمهور الذي كان يتحلق بطاولة البلياردو . وجار أبوه ، « ليصب الله لعنة الجحيم الابدى على روحك التعسة ! احتفظ بلسان مهذب في رأسك الوقح ! »

وصفع بول مرة ثانيـــة بنفس قســـوة الصـــفعة الاولى . تعثر العملاق واطلق خوارا جديرا بثور السـيد ويتاكر . حـاول أن يمسك بالاب . وفي هذه المرة سدد الاب لكمة ساحقة من قبضته الى أنف بول الضخم وفمه مباشرة . انبثق الدم والعملاق يسقط على ظهره . جار وهو يخرج مطواته من جيبه ، « سوف اقتلك ! » لكنه

لم يتوصل الى فتحها .
اختطف الاب ، بسرعة الكهرباء ، عصا بلياردو ، وطوحها مثل عصا البيسبول ، وبضربة متينة مدوية فتح جرحا فوق اذن بول اليسرى .
وببطء ركع بول على ركبتيه ، وقبض لفترة قصيرة على طاولة البلياردو ليستند اليها ، وتدحرج ببطء الى الارضية مستسلما .
على كره . خيم على الغرفة صمت . مال الاب فوق الرجل الساقط ، الذى كان صدره الهائل يعلو ويهبط بايقاع شخيرى .
« اياك أن تلفظ بكلمة اخرى ابدا عن واحدة من مدرساتى الى آخر يوم فى حياتك ، هل تسمعنى ؟ »
ارتعش الجفن الدامى ارتعاشة كان من الواضح أن الاب تقبلها على انها موافقة على شروطه . ركل المدية عبر الصيدلية والتفت الى عامل خزأن الصودا بشعر وجهه الخشن ، « أستدع الطبيب ليعالجه.
اخبره أننى سأتكفل بالنفقات . والان بعد اذنكم ياسادة . اعتقد أننى سأعود للبيت . هيا ، ياسامبو . »
استغرق الامر ثلاثة اميال على الطريق حتى يستعيد أبوه تنفسه الطبيعى . جلس الصبى صامتا ، يحدق من خلال حاجب الريح ، وقلبه مايزال سريع النبضات . هاجمه خوف ، وحرج ، واذلال ، بل حتى ابتهاج . راح يفكر فى كل ما رأى أباه يفعله فى هذا اليوم .
قال لنفسه باستسلام حزين ، لن أفلح أبدا . ورأى رأس هاركورت ماثيوز الدامية مستلقية على الارضية . واضاف قائلا ، لا أريد أن أفلح .
كان يود ان يصلى ، لكن رائحة التبغ القوية الممتزجة بالويسكى التى كانت تنبعث من أبيه حالت دون استدعاء العلى القدير الى داخل السيارة . شعر أن هذا كان سيبدو كما لو كان يشى بأبيه ، لان الرب كان لابد سيلاحظ الويسكى .
قاطع الاب افكاره قائلا ، « سامبو ، هناك بعض الاشياء على الرجل أن يقاتل من اجلها اذا كان رجلا حقا ، وسمعة امرأة عهد بها الى رعايته واحد منها . »
اجابه الصبى ، « أجل ياسيدى . »
« تلك المدرسة صغيرة بالقدر الذى يكفى لان تكون ابنتى ، ولم يكن بامكانى أن أدع طعنا مثل ذلك يحدث فى مكان عام ويلقى به حشرة مثل ذلك الهاركورت ماثيوز القزز يمضى دون عقاب . انت

تفهم ذلك ، اليس كذلك ؟ »

أجابه الصبي ، « بلى ياسيدي ، » وهو ينظر من خلال حاجب الريح ويتمنى لو أن السيارة لم تكن تتارجح بهذا الشكل الشاذ بين الحفر .

« والآن ، علينا أن نوفر على حريمنا في البيت القلق والالم الذي ليس له داع ، الا ترى ذلك ؟ »

أجابه الصبي باحساس بالواجب ، « أوه ، بلى ، ياسيدي . »

« حسنا ، دعنا لا نذكر هذا الحدث التافه الخاص بهاركورت - ماثيوز لهن . فسوف يزعجهن فقط ، ونستطيع أن نحتفظ بهذا سرا صغيرا بيننا ، الا ترى ذلك ؟ »

« أوه ، بلى ، ياسيدي . اظنني أرى بقرة بول آرنولد أمامنا في الحفرة ، يا أبي . ربما يحسن بنا أن نقلل السرعة بعض الشيء . »

فكر في سريره الذي كان ينتظره في البيت بحنين اليه . ومهما كانت الملاءات باردة ، كان يريد أن يزحف بداخله وان يجذب الاغطية فوق رأسه . لم يكن يريد أن يرى تلك الصيدلية مطلقا مرة اخرى ، هكذا قرر . كان عالم أبيه مخيفا بشكل واضح . لم يكن يستطيع بالتأكيد أن يعود الى امه . تطلع الى أعلى من خلال حاجب الريح في السماء المظلمة .

وقال ضارعا : اوه ، اين انتمي ؟

***

توقفت كتابته للمذكرات . وعلى الرغم من أن أبيه لم يلمح الى ذلك مطلقا وان الصبي لم يسمع الموضوع يطرق في استراقه الليلى للسمع فقد شعر بشدة أن أباه كان يستنكره وانه كان خائب الظن فيه كابن . امتعض بمرارة من مقارنته ، في عيني ابيه ، بأمثال دنتون جونز . كان جونز نقيض كل ماتربى على اعتباره مثيرا للاعجاب فمجرد الطريقة التي كان يستخدم بها اسم الرب كانت كافية لان تجعل الصبي يرفضه بازدراء . واذا كان أبوه يريده أن يكون مثل دنتون ، فكل ماعليه اذن هو أن يخيب آمال ابيه .

راح يغذي الجرح الذي كان بداخله حتى اصبح حزنا راسخا . واصبح عنيدا . انسحب من الميدان ، وهو يرفض أن يتنافس مـن

أجل الوصول الى احترام أبيه .

فكر مرارا فى الامسية التى قضاها فى البلدة . تغاضى عن التفاعل البارع فى تناول الامور معالسيد روث ويتلوك . ففى نهايه الامر ، كان الرجال من كل الانواع يصرفون اعمالهم بقانون المصلحة المشتركة، وكان على رجل السياسه أن ينجح فى الانتخابات . وسرعان مانسى المواجهة المحرجة مع هاركورت ماثيوز وأصبح يعتبر اباه فارسا شهما يدافع عن عذراء جميلة بانزال عقاب عادل بوغد كافر . لكنه لم يستطع ان يبتعد عن عواطفه بما يكفى لان يغفر لابيه دنتون جونز .

وذات مرة علقت أمه ببراءة شديدة قائلة له ، « لا أعتقد أننى رايت مؤخرا اية مذكرات تركتها لابيك . »

أجابها مراوغا ، « لا ياسيدتى ، فلم أصادف أية متاعب مع شيشرون فى الاسابيع القليلة الماضية . »

شعر بضغط غير معلن فى جملة أمه التقريرية البسيطة ، وبدا يشعر بالذنب بشكل متزايد حول عدم كتابته الى أبيه . وبعد ذلك بليلتين احتال على كتابة رسالة متكلفة ، وفكر عدة دقائق ، ووقعها فى النهاية ، « مع حبى . »

وفى صباح اليوم التالى وجد المذكرة لم تمس تحت طبق الطعام ، الذى لم يمسه أحد ، وبهزة كتف افترض أن الاب كان مخمورا فى الامسية السابقة الى حد أنه أهمل الاكل . وعندما خطا الى خارج البيت فى الفجر البارد ، على أية حال ، راى أن السيارة لم تكن فى الفناء وأدرك أن اباه لم يكن قد عاد بعد . وعندما عاد من حلب الابقار كان النهار قد طلع ، وكان الفراغ الصارخ حيث كان يجب أن تكون السيارة هناك .

حمل دلاء الحليب الى داخل المطبخ وانتزع يديه الباردتينالمحمرتين من مقابض الدلاء . كانت أمه تقف عند خزانة المطبخ ، وقد رفعت أكمامها الى مرفقيها ، وهى تعجن بيديها البيضاء القوية عجينة بسكويت فى صينية الخبز الباردة كانت قد أستخرجت من كتلة خشب حور واحدة وقشرتها أجيال من الاستخدام حتى أصبحت فى خفة وزن الريشة .

فى الركن الى جوار الصندوق الخشبى كان يقف « ذلك التشاربى بورتر اللعين » وقد مد يديه يلتمس الدفء من حول انبوب الموقد . لم يكن الصبى يحبه ، لم يكن أحد ، فى الحقيقة ، يحبه . كان

ذلك التشاربى بورتر اللعين واحدا ممن كتب عليهم أن يعبروا الحياة ويحتملهم الاخرون بصعوبة . وقد كان الصبى حاضرا دون أن يلاحظ أحد وجوده فى محادثة بين أبيه وجده .

كان الاب قد قال معلنا ، « أبى ، أظننا قد ابتلينا بهذا التشارلى بورتر اللعين مرة اخرى . فقد طردته هذه الزوجة الجديدة لتوه ، وطرده العجوز بوب ماسك ، وليس لديه مكان يذهب اليه . »

واجابه الجد الاشيب ، « حسنا ، يابنى ، تلك هى القصة القديمة . ذلك اللعين تشارلى بورتر لا يمكنه البقاء فى اى مكان لفترة طويلة وفى آخر مرة أحضرته هنا تسلل قبل ان اتمكن من قتله . »

واصل أبوه الحديث قائلا ، « أعرف ذلك ، يا ابى . لهذا كنت أريد أن أتأكد أنك لا تمانع أن اعطيه عملا . انا لا احبه مثلك تماما ــ والحقيقة انني اضطررت الى جلده مرتين فى السنوات الخمس الماضية ــ لكن أباه كان واحدا من عبيدنا . وقد سمعتك انت وامى تتكلمان عن مدى ولاءه العجوز اندرو فى الاوقات العصيبة ، واذكره ايضا . واكره أن أدير ظهرى لولده ، حتى لو كان ذلك اللعين تشارلى بورتر . »

تنهد الجد ، « حسنا ، ليس هناك شىء آخر يمكنك أن تفعله ، يابنى ، وكلانا يعرف ذلك . وسوف يطارده بعض الانفار الأخرون فى اقل من خمسة اسابيع . وسوف أحاول ان اتركه وشأنه . وانا لا ادرى بالضبط ماهو الامر ، لكن هناك شيئا حول هذا الاسود يجعل من العسير عليك أن ترفع يديك عنه . »

وكان الصبى قد راقب بفضول وحكمة ذلك اللعين تشارلى بورتر منذ وصوله قبل ستة أسابيع تقريبا . كان كل ماحوله يثير الضيق . كان يسير على كعبيه حتى أنه كان يبدو كما لو كان يختال ، ويطوح بذراعيه ومرفقاه مثنيان كما لو كان يستمع الى موسيقى . وكان يسير وقد مال برأسه فى فضول الى جانب ، لكن كتفيه وعنقه كانت معتدلة ومنتصبة بشكل متصلب . وكانت له نصف ابتسامة صغيرة دائمة لا يمكن أن تصفها الا بأنها متنازلة ، وكان يخاطب الزنوج الاخرين بنبرات تحمل معنى الرعاية تنسب اليهم جهلا مطبقا واليه حكمة متعالية . وحتى حين كان بعض الانفار الاخرون يهددونه او يرجمونه بالحجارة ، وقد استفزوا الى مافوق طاقتهم

على الاحتمال ، كان ذلك اللعين تشارلى بورتر يفىء عليهم ابتسامة صغيرة متسامحة لم تكن تترك ذرة شك فى انه كان يشعر أنه فوق هذا الساوك الصبيانى الغوغائى .

كانت تنبعث منه هالة قوية لاتخطئها العين من تقديره لذاته الى درجة أنه لم يكن هناك مجال أو حاجة الى اهتمام اى شخص آخر . وكان يؤدى اعماله فى المزرعة بسيماء المتفضل كما لو كان ينحنى ليهدىء من ثائرة طفل غير عاقل . ولو أنه كان قد تعلم القراءة والكتابة على الاطلاق ، لكان سلطة فى مدينة مامن مدن الشمال . وفى بيئته الحالية ، كان مجرد بقائه على قيد الحياة تقديرا لعمل قدميه الرشيقتين ولاحساسه الغريزى بمدى التحمل الانسانى . وقد سمع الصبى دارنل وسنترال وفريمان يجاهرون فى مناسبات منفصلة بقولهم ، « ذات يوم سوف يقتل شخص ما ذلك اللعين تشارلى بورتر » .

حين وضع الصبى دلاء حليبه فى ذلك الصباح ، أدرك أنه كان هناك خطأ ما . فعندما نطق بتحيته القلبية المعتادة لامه ، اجابته فقط براس محنى وبتمتمة من مقطع واحد . وعندما القى نظرة أكثر انتباها ، رأى دمعة تنزلق من انفها فى عجينة البسكويت التى كانت تعجنها . كانت أمه تبكى .

وبجزع شرع فى الاتجاه نحوها ثم تذكر ذلك اللعين تشارلى بورتر الذى استكان خلف موقد المطبخ وقد أدار عينيه ، رافضا أن تلتقى عيناه بعينى الصبى . كان هناك قانون غير مكتوب لكنه صارم يرسم بالا يظهر احد عواطفه امام الخدم . فلم يكن مناسبا لهم أن يعرفوا اية تفصيلات حميمة عن ازمات العائلة فى المقام الاول ، وثانيا لانهم قد ينهمكون فى القيل والقال فيما بينهم . وعرف فى التو أنه كان من المستحسن بالنسبة لذلك اللعين تشارلى بورتر الا يعرف حتى أن امه كانت تبكى . فلم يكن فى هذا انتهاك لهيبة أمه فحسب ، بل كانت العائلة كلها لتبدو فى وضع غير سار .

عرف انه لو اقترب من أمه فانها كان من المكن أن تنفجر باكية بصوت عال ، وكان واثقا انه فى حالة ما اذا فعلت هذا فانه أيضا كان سوف يسترخى باكيا . وبينما كان واقفا فى هذا المأزق ، تعيسا لا يستقر على قرار ، اندفع الجد الاشيب داخلا المطبخ .

قال بصوت مزارع صباحى ، « هالوا ، فيرا . اعنى أن الجو بارد

بالخارج . ان مقياس الحرارة الخاص بى يشير الى اثنتين وثلاثين درجة . هل لديك بعض القهوة جاهزة ؟ »

توقف صوته عندما بلغ منتصف المطبخ وأدرك أن زوجة ابنه لم تجبه . حدق فيها طويلا بما يكفى لان يرى دمعة متساقطة تختفى فى الدقيق الجاف فى صينية البسكويت . التفت بسرعة الى الركن الذى يقع خلف الموقد . وجأر ، « ما الذى تفعله رابضا فوق ذلك الموقد الدافىء فى حين أن هناك عملا يجب أن ينجز ؟ »

أدار ذلك اللعين تشارلى بورتر عينيه باتجاه السقف ، وقد مالت رأسه بشكل طروب جانبا ، وهو منتصب القامة مثل ديك رومى ، وعلى وجهه ايحاء طفيف بابتسامة صغيرة متسامحة .

قال الجد متحديا ، « اللعنة ، أجبنى حين أخاطبك ، ياطرفا أسود من أطراف ابليس ! » .

وبخفة لا تتمشى مع عمره وثب الى الامام ، واختطف عصا من خشب الموقد من الصندوق ، وسدد الى الرجل ضربة متينة فى أعلى رأسه . وفى ومضة البرق كان ذلك اللعين تشارلى بورتر يحبو على أطرافه الاربعة بسرعة حول الموقد ليتجنب الجد الغاضب . فتح له الصبى باب المطبخ وتبعه الى الشرفة الخلفية . وعندما نهض الزنجى ليطلق ساقيه للريح ، سد الصبى عليه الطريق وقبض على ذراعه .

« قف مكانك ، ياتشارلى ، ودعنى أرى مدى اصابتك . » كان شعره مقصوصا قصا قصيرا حتى أنه كان السهل فحص الجرح . قال مؤكدا ، « لا بأس ، ياتشارلى . انك تنزف ، لكنه ليس جرحا غائرا . ولن تحتاج الى اى غرز . اضغط عليه بهذه الخرقة ، وكف عن هذا البكاء . »

ولول الرجل الدامى ، « كيف يتأتى أن يثب السيد جيم على بذلك الشكل ، ياسامبو ؟ انه نكد بلا سبب . الآن على أن أجد مكانا آخر لاقامتى . لقد أصبحت أخشى البقاء هنا بعد ذلك . انه يتصرف كما لو كنت مسئولا عن بكاء امك . فأنا لا حيلة لى بأن السيد بورتر قضى الليلة بطولها فى البلدة ، ولم يعد حتى الآن . وليست هناك حاجة الى ضرب زنجى لمجرد أن الرئيس قضى الليلة خارج البيت . »

صاح الصبى بصوت حاد ، « أغلق فمك ! انت لا تدرى عم تتكلم !»

استدار وعاد الى المطبخ ، وقد خلا الآن الا من الام ، التى كانت تفرد قطع البسكويت باصرار وتضعها فى الوعاء الذى مسح بالدهن . طوق خصرها بكلتا ذراعيه ، ومال برأسه على ذراعها العليا .

همس وهو يحتضنها ، « آسف يا أمى . »

قالت بصوت مرتعش وعينين مغرورقتين ، « أوه ، يابنى . ماذا يمكن أن افعل بدونك ؟ أنت تعنى الكثير بالنسبة لى . »

قبلت قمة رأسه وقد احتفظت بيديها اللتين غطاهما الدقيق بعيدا عن رأسه .

قال الصبى بضراوة وهو يتراجع الى الخلف من العناق ، « اننى أشعر بالاسى من أجلك ، يا امى . لا ينبغى أن يعاملك بهذا الشكل . »

دفعت الام بكتفيها الى الخلف ورفعت رأسها ، « لاترثى لى ، يابنى . فأنا أكثر امرأة محظوظة فى العالم . ولن يعطى كثيرا ، سوف يطلب منه الكثير ، ولقد وهبنى الله الكثير . »

أصبح صوتها اقوى وأضافت قائلة ، « لا تجعل اى شىء يدفعك الى انتقاد أبيك . هناك آية فى جيرميا تقول ، « اذا جريت مع الجند واتعبوك ، فكيف تبارى الجياد ؟ فاذا كانوا يتعبونك على الارض حيث تعيش آمنا ، فما الذى يصير اليه حالك حين يفيض نهر الاردن ؟» ونحن لسنا بعائلة من الجند بادىء ذى بدء ، وعليك أن تركض مع الفرسان سواء كنت ترغب فى هذا دائما ام لا ، ولكن ماتزال هذه هى الارض التى نعيش عليها آمنين .

« انا آسفة اذا كنت قد سمحت لك ان تضبطنى وانا ابكى . املأ الصندوق الخشبى ، وتحقق من تشارلى . فقد بدأ الوقت يتأخر . »

وحين غادر المطبخ ، تقلقه الولاءات المنقسمة وبصدره غصة ، فكر الصبى باكتئاب انه لم يكن يبالى فى هذه اللحظة بالذات أن يصبح الجيل الثالث حتى يجلد ذلك اللعين تشارلى بورتر .

وفى ذلك اليوم فى المدرسة ، جاء دنتون جونز خلفه فى فترة الاستراحة ولكزه بمرفقه ، « هل تعلم مافعله ابوك ليلة البارحة ؟ هل اخبرك بشىء عنه ؟ »

تحرك الصبى بعيدا عنه خلف قناع من الانشغال واللامبالاه . « لقد آويت الى سريرى قبل أن يأتى ليلة البارحة ، ولم تتح لى فرصة الحديث معه هذا الصباح . »

تطوع دنتون بأن يقول بصوته الاجش ، « حسنا ، دعنى أخبرك عما حدث . كان ابوك واقفا أمام منضدة البيع وقد ارتدى معطفه استعدادا للذهاب لانه كان قد وعد الانسة ايفلين أن يوصلها الى بيتها بسيارته لان الوقت كان متأخرا وكان المطر قد بدأ يتساقط قليلا . على أية حال ، كانت هى تلتقط صررها من خلف آلة الكرة الزنبركية حين دخل توليسون اينمان الى الصيدلية بصحبة زنجى آخر وامرأة زنجية .

اتجه الى أبيك وقال ، « ياسيد بورتر ، هذا هو السيد فلان ، ـ لم أسمع الاسم جيدا ـ من اتلانتا . وقد أحضر احدى المشرفات على مدرساتك الى هنا لتلتقى بك . » ومد زنجى اتلانتا هذا يده وقال ، « ياسيد أوزبورن ، أنا سعيد بلقائك . أقدم لك الآنسة مارجريت رينبو من ادارة تعليم الولاية .

« وأبوك سريع مثل قطة . اختطف قفازيه وظل يصفع ذلك الزنجى الملعون قبل ان يدرك ما الذى كان يضربه . ضربه ثلاث مرات تقريبا وركله خارج الباب الامامى ثم استدار وقال ، « أين ابن العاهرة الاسود الذى يقدم لى مثل هذه الصحبة المجيدة الليلة ؟ »

صمت دنتون لالتقاط انفاسه ثم واصل حديثه قائلا باحساس بأهميته ، فى حين كان الصبى فى خزيه يصغى بقلب يدق ووجنتين ملتهبتين .

صمت قائلا : « اذا كنت تتكلم عن توليسون اينمان ، ياسيد بورتر ، فهو يعدو فى الطريق . اخرج أبوك مسدسه من جيبه وصاح ، قف ، والا أطلقت النار ، لكن هذا جعل توليسون يجرى أسرع . واصطدم بتلك البقعة الخشنة فى الرصيف أمام محل بايك وتعثر . كان يحمل لفة اطباق كان قد اشتراها لزوجته ، وعندما تعثر انزلقت وقبض عليها بين ساقيه وأمسك بها ولتنزل على اللعنة وأنا واقف هنا اذا لم يكن أبوك قد اطلق النار عليها فمزقها اربا تلك الاطباق الملعونة من بين ساقى توليسون رغم البعد ورغم الظلمة الكثيفة .

« تفجرت تلك الاطباق اللعينة فى الحال ، ولم يخطىء توليسون فى خطوة قط . اعنى انه انعطف عنـــد ذلك الركن وهو لا يلقى الى شيء . وسرت أنا وابوك الى أعلى الشارع وركلنا الزجاج فى الحفرة ، وأعطانى بعض النقود وقال : « أسرع الى متجـر بتمان واشتر له طقما آخر من الاطباق . وخذها الى بيته وقل له اننى لم اكن اقصد ان اكسر أطباقه . واعطانى دولارا لعينا كاملا لاعمل هذا . »

امتلأ الصبى بالحنق لان هذا الصبى الآخر كان يعرف عن أبيه اكثر مما كان يعرف هو ، وأحس بالخزى لان اباه قد فعل مرة أخرى شيئا سوف يجعل البلدة كلها تلغط من خلف ظهر العائلة . كان دنتون ينظر فى حلم وقتى الى افق مابعيد . وبتنهيدة طويلة التفت الى الصبى وقال ، « أتمنى لو كان لى اب كهذا . »

حافظ الصبى على ثبات صوته ، وقد أفزعته تضمينات هـــذا الكشف ، وأجاب بذلك المزيج من البراءة والغرور قائلا ، « ماهذا الذى تقوله أمك يادنتون ؟ انظر اى يد تمتلىء أولا . على أن اذهب الى الفصل . »

اسرع مبتعدا قبل أن يتمكن رفيقه ربيب الشوارع من أن يشرع فى تأمل مصير الآنسة ايفلين . شعر أن قلبه كان يمتلىء بأشـــياء لا يمكنه أن يخبر بها أحدا .

فى شهر فبراير ، عندما كانت الايام تصبح أطول وادفا وكان بالامكان سماع الضفادع الصغيرة على طول الجداول وقت العصر ، كان من آن لآخر يذهب مع سالى فيتزجيرالد الى البيت حتى يذاكرا معا . كان طريق الحافلة يمر بجوار بيت سالى ، وكان من الممتع أن ترتحل على الطرقات الريفية وانت تكاد تختنق فى أطفال من كل الاعمار من الصف الخامس حتى الحادى عشر . وعندما كانت الحافلة تتوقف عند بيت آل فيتزجيرالد ، كان أطفال كثيرون يبرزون من الباب واحدا بعد الاخر حتى تخيل الصبى خنزيرة ضخمة برتقالية اللون تلد مجموعة من الخنازير المتحمسين .

كان بيت آل فيتزجيرالد صندوقا خشبيا حقيراً من أربع غرف ، يقوم على أعمدة مصنوعة من الصخور المحلية بارتفاع قامة رجل . كان له شرفة امامية ذات سقف معدنى ودرجات خشبية شديدة الانحدار تؤدى اليها . كان قد طلى باللون الابيض منذ أمد بعيد الى حد أنه كان قد رق الآن وشحب الى لون رمادى فضى . وكان هناك ممر امامى رملى تحدده رءوس طوب أحمر مغروز بشكل مائل ، وشجرة ماجنوليا عتيقة ضخمة ترتفع فوق الممر وتكاد تظل الشرفة . كان الفناء قد كنس الى ان صار نظيفا وعاريا الى درجة ان سطحه الصارم لم تكن تقطعه حتى ورقة ماجنوليا تساقطت . وكان داخل البيت أكثر نظافة وعاريا بالمثل تقريبا .

كان الصبى وسالى يجلسان الى طاولة المطبخ ، وقد استندا بمرفقيهما على المشمع المتشقق ، ويؤديان واجبهما المدرسى . كانت ألواح الارضية العارية تثير دائما عجب الصبى . كانت تفوح بشدة برائحة صابون الليزول الذى صنع فى البيت وقد ابيض لونها بفعل الحك المتكرر الى درجة أنها كانت بيضاء تقريبا وكانت شظاياها ناعمة مرنة . لم يكن وجه سالى هنا جزئيا مثلما كان فى المدرسة ، لكنه كان مايزال حزينا بدرجة طفيفة ، وكانت تعطى التعليمات لاشقائها وشقيقاتها بصوت خافت رقيق يذكر الصبى بيمامة فى عشها .

كان يحب أن يجعلها تضحك ، وكان من الممتع أن يمتعها بحكاية غريبة تجعلها تطوح برأسها الى الخلف وتقرقر بنعومة بابتهاج محكوم .

كان كلاهما يستمتع بالمذاكرة معا فى تلك العصارى قبل أن تأتى ام الصبى لتوصله الى البيت فى الوقت المحدد للحلب . كانت سالى تتمتع بعقلية طيبة لكنها كانت مهملة فى تعلم بديهيات ونظريات هندسة السطوح المستوية وكان الصبى يشعر بأنه مهم وهو يدربها لا على فهم هذا النظام الرياضى ولكن على الاستمتاع به . وحين كانت ثقتها تتزايد كانت عيناها تبرقان عندما تتوصل الى حل مشكلة ، وكان استمتاعها بانجازها أمرا معديا . اقترح أن تأتى الى بيته لتدرس من أجل الاختبار الشهرى ، مشيرا الى أن امه كان بامكانها بكل سهولة أن توصلها الى بيتها تماما مثلما كانت تأتى لاحضاره .

وعندما وصلا الى بيت الصبى عصر ذلك اليوم ، انطلقا فى حفل عربدة مدرسية . استوليا على مائدة الطعام المستديرة وحدهما ، وكانت سالى قد توصلت قبل أن ينتهى العصر الى حل كل مسألة هندسية عالجوها خلال الاسابيع الستة الماضية . كانت مثالية فيما يتعلق بخطها ونظافة ورقتها . وكان الصبى يشاكسها .

« سالى ، بحق القديس بطرس ، انك تتصرفين كما لو كنت ستحملين تلك المسائل معك للحصول على تقدير . وقد كتبت فقط على جانب واحد من الورقة . وباعتبار تكاليف الاشياء ، هذا أمر مخز من جانبك تماما . »

« أعرف ، يابورتر الصغير . أشعر حقا أننى مبذرة ، لكنك ليست لديك أدنى فكرة كم هو ممتع أن استطيع أن أحل هذه المعضلات فى حين كنت منذ شهر مضى أكرهها مثلما أكره الشيطان . وان أجعلها تبدو نوعا من الرسم أو شيئا من هذا القبيل على صفحة واحدة من الورق يجعلنى أشعر بارتياح . »

وبعد أن مضت فى السيارة مع أمه ، لاحظ الصبى انها قد نسيت أن تحمل معها المسائل التى قضت فيها عصر اليوم كله . ادرك أنها قد عرفت الموضوع بكفاءة تامة الى درجة انها لم تكن فى حاجة الى استعراض صفحات العمل تلك ، ولكنه بفكرة متكاسلة أنها قد تحتاج الى ظهورها التى لم تستخدمها كمسودات فيما بعد ، دسها فى دفتره .

وفى اليوم التالى ، حين كتب الامتحان على السبورة ، راح الصبى

يعمل بسرعة وهدوء . كانت هناك عشر مسائل ، وعن طريق الكتابة على وجهى الورقة ، انتهى الى ورقة امتحان من ثلاث صفحات طواها، والصق عليها اسمه ، ووضعها جانبا على حافة درجه . اخرج كتاب تاريخ ليبدو منهمكا ، وقضى بقية الساعة ينظر الى رفاقه من الطلبة . كان الامتحان ذلك النوع من التدريب الذى يجده الطالب المستعد أسهل من أن يكون متحديا أو يؤدى الى الاحساس بتفوق الذات ، وكان الصبى قد شعر بالملل الى حد ما .

نظر عبر الغرفة الى سالى فيتزجيرالد . كانت تجلس وقد مالت برأسها ، وشعرها يتهدل حول وجهها ويكاد يلمس الدرج ، وهى مستغرقة فى عملها الى حد أنها بدت كما لو كانت غافلة عما حولها . وكانت بيتى لو الصغيرة تعض على قلمها اولا ثم على أظافرها لكنها كانت تبدو هادئة الى حد ما فى هذا اليوم . وفى مؤخرة الفصل كان جيكوب تيرنسبيد وسيبورن هدلستون يحاولان النظر الى أوراق أحدهما الآخر ، وهو تدريب على اللاجدوى ، حيث أن الواحد منهما كان يعرف عن الموضوع أقل القليل تماما مثل الاخر . وكانت ماتى ماى سيمبسون تعبث بشعرها ، وينونا ماكيلوانى تعبث بلادنها ، وأوليفر بتسيل ينظف انفه باصبعه .

كان فى مجمله مشهد فصل عادى مألوف فى وقت اختبار ، كل شىء فيه محكم وكل واحد مشغول بهدوء . تأمل المدرس . كان السيد هيرشيل هابارد قد تخرج فى جامعة جورجيا منذ عام واحد فقط . كان طوله ستة اقدام وبوصتين وله ردفان كان الصبى يرى انهما يبدوان مثل برميل يرتكز بالعرض على طوالتين خشبيتين . وكان شعره أسود قاحما الى درجة أن ذقنه الحليقة كانت تبدو متباينة بشكل حاد مع جلده الابيض الى درجة غير عادية . كان يستخدم دهان شعر بوفرة ويحمل فى جيب قميصه مشطا يستخدمه من آن لآخر وعلانية فى تمشيط تسريحة شعره المنحوتة . وكانت شفتاه سميكتين بشكل غير عادى بالنسبة لرجل أبيض وحمراوين بشكل غير اعتيادى بالنسبة لرجل . وكانت له أسنان صغيرة قصيرة كانها اوتاد تتخللها ثغرات ، وعندما كان يتنفس كان الهواء يصدر صوتا صفيريا من خلال الشعرات الكثيفة بأنفه .

كان يؤدى عملا مزدوجا كمدرب لكرة السلة ومدرس رياضيات . لم يكن يتقاضى أى اجر اضافى عن المجهود الاضافى بل كان يتقاضى

نفس الثمانين دولارا شهريا شأن كل المدرسين الآخرين ، وكان سعيدا للغاية بأن له وظيفة . لم يكن في ذكاء ثلث الفصل تقريبا ، لكنه كان يفوقهم هيبة واحتراما للذات . كانت الفتيات يرونه وسيما وكان يتلطف موافقا بسيماء من كان يتنازل .

كان الاولاد في فريق كرة السلة يرون فيه ابن امه ويدورون حوله في حلقات اثناء التدريب . كانوا حريصين على اخفاء آرائهم ، على اية حال ، وعلى اطاعة اوامره على الفور ، اذ كان يتمتع بمزاج نارى ويميل الى العقاب اكثر مما يميل الى الاقناع . وكان الصبى ، وهو يخشاه قليلا ، يحرص على أن يحافظ على سلوكه في درس الهندسة وأن يتظاهر باحترام لم يكن يكنه تماما .

لاحظ الآن ، باهتمام عرضى ، ان لابد أن الوقت قد حان تقريبا لدق الجرس ، لان استعراض الدمى كان قد بدأ . كان هذا تسلية خاصة لم يكن يشارك فيها احدا . فقد لاحظ أنه قبل تسليم أوراق الامتحان مباشرة كانت فتاة مترددة تنسل بخطوة جانبية من مقعدها ، وتخطر فى مشيتها الى هبارد العجوز صاحب الشفتين بلون الكبدة ، وتتمتم بسؤال فى أذنه . وكان هذا يشجع الاخريات بحيث كان هناك تيار ثابت من الضارعات . وكان الصبى يتساءل ما اذا كان السيد هبارد غبيا إلى درجة أن يظن أن هؤلاء الفتيات لم يكن قد انتهين من حل مسائل الهندسة ، أو أنه كان مغرورا الى درجة الا يلاحظ أن احدا من الصبية لم يكن يقترب ابدا من مكتبه بسؤال .

شق صوت الجرس السكون وانفجرت الحجرة بنشاط غير منظم ـ والطلبة يسلمون الأوراق ، ويختطفون الكتب ، ويجاهدون فى ارتداء ستراتهم ، ويثرثرون وهم فى طريقهم الى البهو استعدادا لدرسهم التالى . مالت سالى فيتزجيرالد واعتصرت ذراع الصبى وهو يسير .

« كنت أعرف كل واحدة من هذه المسائل ـ وقد حصلت على مائة فى ذلك الاختبار ! » وضحكت ضحكة خافتة ناعمة مبتهجة « بفضل مذاكرتك معى . كان ذلك أول امتحان فى الرياضيات أجلس فيه على الاطلاق واجدة متعة . أعنى انها كانت متعة ان اكتبه كله . عرفت عندما رأيت الاسئلة على السبورة اننى كنت أعرف كل جزء فيه . كان متعة ! »

كانت عيناها تلمعان . وقال الصبى لنفسه ، ان سالى جذابة حقا

حين تكون سعيدة ! « أعرف ماتعنيه ، ياسالى . سـوف يكون هذا شعورك من الآن فصاعدا . فأنت طالبة رياضيات جيدة ، كـان كل ماتحتاجين اليه هو قليل من الثقة بنفسك . »

« مازلت أود ان أشكرك ، يابورتر الصغير . فسوف يجلب لى هذا اول تقدير حصلت عليه فى بطاقة تقريرى فى الرياضـة منذ جئت الى بروتنتون . أراك فيما بعد . »

وحين مضت الى أسفل البهو ، قال الصبى لنفسه انه لم يشاهدها من قبل مطلقا معتدلة الكتفين ورأسها مرفوع الى أعلى .

ويوم الجمعة حين وزعت بطاقات التقرير فى نهاية اليوم ، نظـر الصبى أولا الى تقديره فى السلوك . كان قد بذل مجهودا واعيا هذا العام ليحسن سلوكه ، بعد أن قرر لتوه أن كون الواحد رعبا مقدسـا كان سلوكا صبيانيا . ولاحظ برضى أنه حصـل على تقدير « ا » طيب صلب هذا الشهر ، لم يكن هناك داع للمبالغة فى التظاهـر بالفضيلة . وبحكم العادة عد علامات + خلف صف تقديرات « ا » ، وفقد اهتمامه ببطاقة التقرير ، ووضعه داخل كتاب . كان يجب أن يوقعه أحد الابوين قبل يوم الاثنين . وفى طريقه الى خزانته فى الممر المؤدى الى البهو ، مر بسالى ، وقد تهدلت فوق حملها من الكتب على ساعدها ، محنية الكتفين مطأطئة الرأس .

« أهلا ، ياسالى . هل يروق لك تقدير « ا » ذلك ؟ » وبعـد ثلاث خطوات لاحظ عدم ردها . نظر خلفه . كانت سالى مستندة الى الحائط وقد أدارت رأسها جانبا . كانت تبكى ، وكانت تفعل هذا فى صـمت ودون أن يلاحظها أحد مثلما كانت تفعل كل شىء .

« أى شىء فى العالم دهاك ، ياسالى ؟ لا أستطيع ان اقف واتفرج عليك وأنت تبكين » .

وبصمت ، ناولته بطاقة تقريرها . قفزت عيناه الى خانة الرياضيات خارج هذه الخانة كان هناك صف متماسك من تقديرات «ب» حتى النهاية . وكان قيد هذا الشهر « ر » صارخا ، أسود واكثر جراة من كل القيود المدونة الاخرى . وبعد الصدمة الاولية راح يؤكد لها بسرعة ، « كفى عن البكاء ، ياسالى . هذا خطأ ما . لابد أنه خلط بين بطاقتك وبين بطاقة سيبورن هولستون أو شخص ما آخـر . اذهبى به الى السيد هبارد وسوف يصلحه . »

بدأت سالى تنشج ، « لقد فعلت ذلك بالفعل . هل تعرف مـاذا

قال ؟ قال — أوه ، لا استطيع ان أخبرك ، قال . . . » حشت فمها بمنديل متكور وتهالكت بشكل اكثر تراخيا على الحائط .

« تمالكى نفسك ، ياسالى . أى شيء فى العالم قاله لك ؟ » سألها الصبى .

انت سالى ، « قال اننى كنت اغش ! ذلك هو ماقاله . قال اننى غششت فى الامتحان النهائى . قال انه كان يعرف لاننى كتبت كل مسألة على صفحة مستقلة . قال اننى كنت قد قمت بحل كل تلك المسائل مسبقا وانسللت بها الى الامتحان . وقال انه لم يرنى أفعل ذلك لكنه كان يعلم أننى قد فعلت . »

« لماذا ، هذا سخف . فقد قمنا بحل كثير من المسائل معا فى عصر اليوم السابق . هل أخبرته بهذا ؟ هل اخبرته أننى كنت أشاكسك حول التبذير فى الورق ؟ هل قلت له انك كنت تعرفين هذا الامتحان عن ظهر قلب ؟ »

انشجت سالى ، « لم أخبره بأى شيء . خشيت أن أشرع فى البكاء ، ولم أكن أريده أن يرانى . أوه ، يابورتر الصغير ، مـــاذا اصنع ؟ لا أستطيع أن ارى هذا لابى . أوه ، اننى أريد فقط ان ألتف حول نفسى وأموت . يبدو أن كل شيء غير مجد . »

« أغلقى فمك ، ياسالى فيتزجيرالد . لا تتكلمى هكذا ، هـــل تسمعيننى ؟ أنت مضطربة فقط ! أعطنى بطاقة التقرير هذه . تمخطى وانتظرينى هنا بالضبط . سوف أعود فى ظرف دقيقة . سوف أذهب لمقابلة السيد هبارد . »

وعندما التقط بطاقة التقرير من بين أصابعها التى لم تقاوم ، أضافت قائلة ، « لقد أعطانى تقدير « ر » فى السلوك أيضا ، يابورتر الصغير . لم أقل أى شيء له عن هذا . وقد آلمنى هذا أسوأ من أى شيء . »

« لا تقلقى ! ليست هناك مشكلة ! سوف أعود حالا . »

كان مستثارا وغاضبا ، قد تمكن منه هدفه الى حد أنه نسى نفسه تماما . لم يخطر له مطلقا أن يكون خائفا أو حتى خجولا . وعنـــدما أسرع داخلا غرفة السيد هبارد ، كانت بيتى أو الصغيرة تغادرها ، تصحبها اثنتان من سيدات بلاطها . اصطدم بهن برفق دون أن يتكلم ودنا من المدرس ذى الشفتين الحمراوين ، الذى كان مائلا الى الخلف على الرجلين الخلفيتين لكرسى معتدل خلف مكتبه ، ويداه ممدودتان فى

تثاؤب يدل عن الرضى عن الذات .

« ياسيد هبارد ، يسعدنى أن أجدك قبل أن تتحرك الحافلات . » بدأ الصبى حديثه منفعلا . « لقد حدث شيء رهيب ! ان سالى فيتزجيرالد فى البهو وقد انخرطت فى البكاء لانك ظننت انها تغش فى اختبار الهندسة ، و ... »

قاطعه المدرس قائلا ، « انا لا اظن ذلك ، انا اعرفه . لقد نسخت كل مسألة مسبقا وقامت بتسليمها فقط على أنها اختبارها . والا فلأى سبب كتبت كل واحدة على ورقة منفصلة والايام عصيبة فى حالتها الراهنة ؟ لقد سلمت عشر صفحات لعشرة امثلة ! كم سلمت أنت فى امتحانك ؟ انها تستطيع أن تبكى من الآن فصاعدا ، اذا كانت تظن اننى ذلك المغفل الكبير ! وفوق هذا ، فقد كانت تحصل على تقديرات «ب» فى كل المواد قبل ذلك ، ثم ينتهى بها الامر الى امتحان نهائى كامل ؟ لا تقل لى انها لم تكن تغش . »

« ولكن هذا بالضبط ما أقوله لك ، ياسيد هبارد ! المسألة اننا كنا ندرس معا — واظننى اننى كنت أقوم بتدريسها قليلا — على اية حال ، فجأة تعلقت بالرياضيات وأحبتها . وأنت تعلم ان ذلك من الممكن أن يحدث لك ، أليس كذلك ؟ كانت تعرف كل مسألة فى ذلك الكتاب وعيناها مغمضتان . كانت فخورة بذلك ، كانت شخصا مختلفا .

« وفى ليلة الامتحان ، عندما كنا ندرس معا ، كانت تفعل نفس ماتقوله عن الصفحات المستقلة ، وكنت اشاكسها بهذا الخصوص ، تماما كما تقول ، مثل ، كيف يمكن أن تكونى مبذرة فى الورق ، وقالت انها كانت تشعر بارتياح لانها تعلمت الهندسة أخيرا وانه كان شيئا ممتعا أن تحلها بهذا الشكل . بل اننى احتفظت بأوراق العمل لها حتى تستخدم ظهرها فيما بعد ... »

وتملكه الهام . « انتظر دقيقة . لماذا لم افكر فى هذا من قبل ؟ لدى تلك الاوراق هنا تماما فى مكان ما . سوف أريها لك . »

فتش فى دفتره واخرج الثلاثين صفحة التى كانت تعمل عليها ، والتى كان قد احتفظ بها لسالى . كانت مجعدة شيئا ماحول الحواف لكنها كانت مع ذلك تتألق بالصحة . دفع بها فى يدى السيد هبارد .

« وعلاوة على ذلك ، ياسيد هبارد ، انت فقط لا تعرف سالى

مثلما نعرفها جميعا ، انها لايمكن أن تفعل اى شىء غير امين . انها لتموت قبل أن تغش . »

كان المدرس يتصفح رزمة الاوراق ، ويتمعن فى كل صفحة بعناية رفع رأسه ، « حسنا ، يبدو أننى قد أتيت خطأ ما هنا . » اعترف اخيرا . « فلم تمر على حالة مثل هذه قبل الآن مطلقا . اخبر سالى اننى سأرفع تقديرها ، وسوف ننسى الموضوع كله . »

« نعم ، ياسيدى . كنت اعلم انك ستفعل هذا . وقد أخبرت سالى مقدما أنك ما ان تفهم ، حتى تفعل هذا بالضبط . أنت رائع ، يا سيد هبارد ! هاك بطاقة تقريرها . » وقدم له الوثيقة المسيئة .

قال المدرس وهو لا يريد أن يورط نفسه ، « الآن ، حسنا ، سيكون على أن اغير التقدير فى دفتر سجلاتى أولا . اخبرها ان تأخذ هذه معها الى البيت وان تقابلنى يوم الاثنين . »

اعترض الصبى قائلا ، « أوه ، انها لا تستطيع أن تفعل ذلك ، ياسيد هبارد . فسوف تموت لو أن اى واحد من أهلها رآه . هيا غير التقدير الان على البطاقة واحضر دفتر سجلاتك فيما بعد . أظن أن ذلك سيكون أفضل بكثير . » كانت فكرة ملاحقة العدالة مستحوذة عليه الى درجة أن السيد هبارد كان مهتما بهذا ايضا .

قال الرجل ، « حسنا ، ناولنى اياه . سوف أغيره الى «ب» . ولن يظهر حتى فى البطاقة . ذلك هو ماتحصل عليه عادة . »

« أوه ، ياسيد هبارد ، لا يمكنك أن تفعل هذا . فقد حصلت على مائة فى ذلك الاختبار وذلك يمنحها « ا » على بطاقة التقدير تلك . وبمكنك أن تغير « ر » الى « ا » بنفس السهولة دون أن تبدو كما لو كانت قد عبث بها . »

قال المدرس بعد فترة وجيزة وهو يغير الحرف ، « حسنا ، سوف نفعل ذلك . أظنك على حق . هاك . » وأعاد التقرير الى الصبى .

« ولكن ، ياسيد هبارد عليك أن تغير تقدير السلوك أيضا . فاذا لم تكن تغش فانها لا تستحق تقديرا سيئا فى السلوك . »

وفى هذه المرة اختطف السيد هبارد البطاقة . وادرك الصبى انه كان متغاضيا عن علامات الخطر وانه كان يقف قريبا من انفجار مزاجى بشكل ينذر بالخطر .

قال مسترضيا ، « أنت رجل طيب ومراع لحقوق الآخرين حقا . فليس بامكان الكثيرين أن يكونوا مدرسين جيدين مثلك وأيضا متفهمين للطالب . »

أجابه السيد هبارد ، وقد هدأ جزئيا ، « حسنا ، اننى احاول . هاك ، لقد رفعته الى «حـ » . هل يرضيك هذا ؟ »

« أوه ، أجل ياسيدى ، ياسيد هبارد ، أجل ياسيدى . اظن أن «جـ» تقدير طيب فى السلوك ! أشكرك شكرا جزيلا . لقد كنت عظيما . » أسرع الى سالى ، التى كانت قد جففت عينيها المتفخختين لكنها كانت الآن قد أصابها الطواق .

أعلن بنبرة انتصار ، « هاك ، ياسالى . سوف تشعرين انك افضل الان . قلت لك ألا تقلقى . كان كل ماعلى أن أشرح الامر للسيد هبارد . وقد قلت لك أنه لأمر سىء أن تبذرى فى الورق على هذه التحف الفنية . »

حكت سالى منديلها المتكور المبلل تحت أنفها ، وفتحت بطاقة التقدير ، وقالت بنعومة ، « انظر الى تلك الـ « ا » فى الهندسة ! أنا لا ألومه لتعجبه من هذا . أنا نفسى لا أستطيع التغلب على هذا الشعور . »

وفجأة أطلقت صيحة جديدة .

سألها الصبى ، « ما الخبر الآن ؟ »

صاحت ، « أوه ، انظر الى تلك الـ «جـ» فى السلوك . أنا لا أستطيع أن أعود الى البيت بذلك ! »

« بحق القديس بيت ، ياسالى ، عم تتكلمين ؟ لقد حملت الى المنزل « ر » فى السلوك فى كثير من الاحيان . وذلك التقدير ليس له اعتبار على سجلك الدائم أو أى شىء آخر من هذا القبيل . انسى الموضوع . »

« لا أستطيع ! فلم احصل مطلقا على أى شىء أقل من « ا » فى السلوك ! وعلاوة على ذلك ، يابورتر الصغير ، الا ترى ؟ لقد كان السبب الوحيد لاعطائه « ر » لى فى السلوك هو أنه ظن أننى كنت اغش . حسنا ، اذا لم أكن ، فمن المؤكد أننى أستحق « ا » . ومن المؤكد والاكيد أننى لم أفعل اى شىء آخر . سوف أذهب للقائه بنفسى حول هذا الموضوع . »

قاطعها الصبى ، « انتظرى لحظة ، ياسالى . » تذكر وضع فك

السيد هبارد والنظرة التى كانت فى عينيه من دقائق مضت . « يحسن بك أن تدعينى اعود لاراه . فربما أكون قد استثرته قليلا ، واكره أن يصب مابنفسه عليك . »

تناول البطاقة عائدا الى غرفة السيد هبارد . كان من الواضح أن ذالك السيد كان يلملم حاجياته لهذا اليوم . سأله بشكل باتر ، « ماذا تريد الآن ؟ » .

قال الصبى باحترام ، « حسنا ، ياسيد هبارد ، لدينا مشكلة صغيرة هنا لم يفكر فيها أينا . فسالى لم تحصل مطلقا على أى شىء سوى « ا » فى السلوك من قبل ، وقد قالت ان السبب الوحيد الذى حصلت من أجله على « ر » هو انها جعلتك تظن انها كانت تغش ، وحيث أن الامر ليس كذلك فينبغى أن تحصل على « ا » فى السلوك الآن . أنا لم افكر فى الامر بهذا الشكل » وضحك بعصبية ، « وقد أخبرتها أننى كنت متاكد انك لم تفعل . » وأمام تحدبق المدرس الاسود الثابت ، تململ قليلا لكنه أضاف باصرار ، « لقد قلت لها اننى كنت متاكدا انك ستفهم . ولن يستغرق الامر منك سوى ثانية لتغيره . وهى على حق ، كما تعلم ، » وترك البطاقة تنزلق من فوق أعلى مكتبه .

لم ينظر المدرس حتى الى البطاقة . سأله ، « ماذا تعنى هذه الفتاة بالنسبة لك ؟ من المؤكد انك تحشر نفسك فى أمور الآخرين ! هل هى قريبتك أو صديقتك أو شىء من هذا القبيل . »

« أو ، لا ، ياسيدى ، انها مجرد صديقة ، زميلة دراسة ، وفتاة مرت بأوقات عصيبة ، تعرف . أعنى انها خجولة ولا تستطيع أن تتكلم بالنيابة عن نفسها ، اذا كنت تعرف ما أعنيه . »

قال المدرس ووجهه يحمر ، « اعرف أننى سئمت محاولتك تعليمى كيف أدير عملى » وارتجف صوته قليلا ، « هذه الـ « جـ » ستبقى ، كما هى تماما ، وليس هناك ماتستطيع انت أو هى ايضا أن تفعله لتغيبره انها تستحق «حـ» لانها استغفلتنى ، اذا لم تكن قد فعلت شيئا آخر ، ناهيك عن كل هذه الفوضى التى تقوم أنت بها حول هذا الموضوع . هاك ، أعد هذه البطاقة أليها ، ولا تذكره لى مرة أخرى . »

نحى الصبى كل الحذر جانبا . « ياسيد هبارد ، أنت لايمكنك أن تفعل ذلك ، » قال متحديا : « ليس هذا منطقيا وليس هذا عادلا ،

ولن يبقى التقدير . »

قال المدرس المحمر الوجه المرتجف بصوت مستثار ، « سـوف نرى ذلك . » وامسك الصبى من أذنه ، ورفعه عن الارض وشرع يجذبه عبر الغرفة . واعلن « سوف ندع السيد جيل يسوى هذا الامر . لقد اخبرنى عنك ، واظن أنك ستكتشف انك قد تماديت كثيرا هذه المرة . »

لم يكن بامكان الصبى أن يقرر ما اذا كان يابه بالالم او بالاهانة اكثر وقد اندفع السيد هبارد الى أسفل البهو وهو يلوى الاذن باحكام بمسكة لا هوادة فيها . كانت سالى هى الطالبة الوحيدة الباقية فى البهو ، وتمكن الصبى من القاء بطاقة التقدير عند قدميها وهما يندفعان بجوارها .

واذا كان السيد هبارد حتى رآها ، فلم يات بما يدل على ذلك واندفع كلاهما الى داخل مكتب السيد جيل بصوت جر اقدام وضجة مدوية جعلت المدير ينهض واقفا ، وقد انطبقت اسنانه باحكام فى رد فعل طارىء .

راح ينغم صوته بنبرة رضى متصاعدة ، « حسـنا ، حسـنا ، حسنا. » .

« اخبرنى عما يجرى . ياسيد هبارد . » وفرك يديه معا بصوت جلدى جاف .

وبدأ المدرس يتكلم ، وهو يتنفس بصعوبة ، « حسنا ، ياسيد جيل . هذا الذكى الصغير يحاول ان يعلمنى كيف أقوم بالتدريس فى المدرسة ، وأضع تقديرات للأوراق ، وأؤدب طالبا ، وليس أيها بأقل قدر ممكن من شأنه . فقد ظننت أننى ضبطت هذه الفتاة تغش ، فرسبتها ، وغيرت تقديرها الراسب بعد أن شفع لها هذا الصبى ، ولكن عندئذ كانت لديه الجراة أن يوبخنى لاننى أنزلت تقديرها فى السلوك وتحدأنى بالفعل حتى يخبرنى ما أستطيع ومالا أستطيع أن أفعله . ولا يمكننى أن أدعه يفلت باملاء أوامره على . »

كرر المدير قوله : « حسنا ، حسنا ، حسنا . لقد نلته اخـيرا . عصيان مكشوف . هذا يتطلب عقابا . وسوف يسعدنى ان اقـوم به نيابة عنك ، ياسيد هبارد ، حيث انك ربما ماتزال ثائرا . اغلق الباب . » .

وشرع يخلع سترته . وامره بحزم وهو يتناول لوحا خشبيا من

على الحائط ، « مل فوق هذا الكرسى . »
تطلع الصبى فيما حوله بيأس . لم يكن هناك سبيل الى الاندفاع حول السيد هبارد والجرى الى أسفل البهو الى الحرية . كان الرعب المذل الذى تجنبه عشر سنوات قد أدركه فجأة الى درجة انه لم يكن لديه وقت للتفكير فيه . كان على وشك أن ينال « علقة » فى المدرسة. واتخذ قرارا بأنه مهما حدث ، وسواء عاش أم مات ، فانه لن يبكى بصوت عال . واجه السيد جيل ، فى محاولة أخيرة للخلاص فى اللحظة الاخيرة ، قال ، « انك ترتكب خطأ خطيرا . »
قبض عليه من كتفه ، وأدير ، ودفع بخشونة الى الوضع المطلوب. وراح السيد جيل يهدر ، « انت الذى ارتكبت الخطأ ــ اخطاء كثيرة ! اقبض على ذراعي ذلك المقعد واياك ان تتحرك ، والا فسأجعل السيد هبارد يمسك بك . »
جذب اللوح الخشبى الى الخلف واطلقه . ظن الصبى أن ديناميتا قد تفجر فى سرواله . كانت صدمة الضربة هائلة الى درجة انه كان يستطيع بالكاد أن يحافظ على مواطىء قدميه وكان الالم مبرحا الى درجة انه ظن انه سيصرخ عاليا على الرغم من قراره .
فكر فى يهوه ، رب الجنود وملك المعارك . ساعدنى ، يارب ، فى ساعة حاجتى الملحة ! وحتى لو قتله أعداؤه ، ساعد أنت خادمك المتواضع على الا يبكى . وصلى ، ساعدنى يارب .
وبينما كانت الضربات تنهال ، كرر الصلاة مرة بعد مرة . لم يكن قد شعر مطلقا بهذا الالم . كان كل عصب فيه يستحثه أن يصرخ ويرفس ، أن يستدير ويحاول الجرى . ومن مكان ما استقر فى صدره غضب بارد كمصباح هاد وركز على لسان النار الخفاق . شعر بطعم حلاوة فجة فى فمه وأدرك أنه قد عض وجنتيه حتى سالتا بالدم . ورغم ذلك ، لم يصدر صوتا . واخيرا سمع السيد هبارد يقول ، « ياسيد جيل اظن انه يستحسن أن تتوقف . اعتقد أن هذا هو كل مايستطيع أن يتحمله ، من كان يظن انه صارم الى هذا الحد . »
سقط ذراع السيد جيل ببطء الى جانبه . قال للصبى من بين انفاسه العميقة المتهدجة ، « استدر واجلس ، ولكن اياك أن تتحرك لست واثقا انك نلت كفايتك . »
وعندما جلس الصبى ، أدهشه ان يجد انه لم يكن بامكانه أن يشعر بالكرسى بردفيه المخدرين ، على الرغم من أن المنطقة كلها كانت تبدو

مشتعلة . احتفظ بذقنه على صدره ، سمع السيد جيل يقول ، كما لو لم يكن هو فى الغرفة ، « والان ، ياهبارد ، أخبرنى كل شيء من البداية حتى احصل على تقرير واف . وقد نسمع من هذا فيما بعد ، كما تعلم ، نحن بحاجة الى أن نكون معا . فأنا مثلك . من كان يظن أن هذا الوغد الصغير يمكنه ان يتحمل ؟ »

اصغى الصبى باذعان الى التقرير ورأى أنه كان دقيقا فى جوهره، على الرغم من أنه كان مسهبا فى تفسير لماذا ظن السيد هبارد أن سالى كانت تغش فى المقام الاول وفظا بشكل سافر فى سرد غضب السيد هبارد للمواجهة التى تمت حول التقدير من ناحية السلوك . وعندما اشرف المدرس على النهاية ، أصبح الصوت اقل وثوقا وانتهى اخيرا بنبرة سؤال تقريبا .

كان السيد جيل قد شرع يتأرجح على قدميه ويجلجل بمفاتيحه ، وعلى الرغم من أن الصبى لم يرفع رأسه ، فانه كان واثقا من أنه كان الان يتطلع خارج النوافذ وينزلق بطقم أسنانه السفلى على لسانه. وبعد لحظة صمت طويلة ، تكلم المدير ، ونبرة صوته منهكة وحاسمة . « يا الهى ، ياهبارد ، انه على حق . فاذا كانت لديه أوراق العمل هذه كدليل ، فليس هناك شك فى أن الفتاة لم تكن تغش . واذا لم تكن تغش ، فينبغى عليك أن تغير تقدير السلوك .

« انها لاشىء ، ولكن هذا الثرثار هنا قادر على نشر الخبر فى طول البلدة وعرضها ، غير التقدير الى ا . » واستدار الى الصبى وتكلم بنبرة مصالحة قدر امكانه . « حسنا ، حسنا ، حسنا . يبدو أننا ارتكبنا خطأ صغيرا هنا . ولعلنا تسرعنا قليلا فى التصرف . واظن اننا مدينون لك باعتذار . تستطيع ان تذهب الان اذا كنت تريد . »

لم يستطع الصبى أن يصدق أنه كان يسمع بشكل صحيح . نهض ورفع عينيه . كان السيد جيل ينظر الى بقعة بعيدة على ارتفاع قدمين فوق رأسه والى اليمين قليلا . وواصل كلامه قائلا ، « أظن أنك ستبلغ اباك بهذا . ولا استطيع أن امنعك من فعل هذا . ولكن تأكد من أن تخبره اننى قدمت اعتذارى . »

شرع الصبى يتكلم ، واكتشف محرجا ان صوته كان يتهدج ، « ياسيد جيل » وصفى حنجرته ، وبلع ريقه ، وبدأ ثانية بنبرة أكثر ثباتا ، « ياسيد جيل ، انا لن أخبر أبى . فسوف ادعك أنت تخبره بذلك قبل ان تأوى الى فراشك الليلة . واذا لم يكن قد عرف

بالامر عندما استيقظ غدا ، فسوف أخبر لجنة التعليم . »
ووسط الصمت الذى تلى ذلك ، مشى الى الباب . شعر انه كان يبلغ ستة أقدام طولا وانه دنيء مثل ثعبان جائع . رفع عينيه الى المدير وانتظر حتى تتحرك عيناه الى بؤرة النظر . وبشعور بالانتصار، فح قائلا ، « أنت أيها الضراط العجوز ! » واستدار دون خوف . وفى البهو الخاوى أحنى راسه ، « أشكرك ، يا ابانا السماوى العظيم . كانت تلك منحة حقيقية غير متوقعة ، لكن خادمك المتواضع يشكرك الى أبعد حد لانك لم تدعه يبكى . لك كل التبجيل والمجد والشكر . آمين . »

كان يعرف تماما ان كومب النافد الصبر قد تركه حين لم يكن على الدرج بعد المدرسة مباشرة . شرع فى السير فى طريق البيت ، وهو يهز كتفيه باستسلام ، ويأمل أن يصل الى هناك فى الوقت المحدد لحلب الابقار قبل حلول الظلام . التقطه السيد وولتر بوفورد واوصله الى مزلقان هارب ، وكان الصبى واعيا بشكل مؤلم وهو يحاول الجلوس انه قد عوقب بوحشية . كان الشعور بالمشى افضل من الشعور بالجلوس .

تمكن من حلب الابقار لكنه كان بالكاد يستطيع أن يحتمل أن يجلس على ردفيه لاتمام هذا الاجراء . تجنب أسئلة أمه واخواته عن سبب تأخيره ، وتمتم بشكل غامض عن اجتماع لمناظرة . عانى أثناء الصلوات العائلية ثم اعلن انه كان سيقرأ فى السرير . وكانت حقيقة الامر انه كانت لديه هواجس حول اكتشاف والديه لامر الضرب .

كان يعرف انه كان على حق فى الدفاع عن سالى ، لكن غضبه واحساسه بالاستشهاد كانا يفسحان المجال للخوف من احتمال تحقق تهديد العائلة بأن اى جلد فى المدرسة سيتبعه جلد فى البيت . لم يكن واثقا الآن كيف يكون رد فعل والديه . وكان يعلم أنه لم يكن فى حال تجعله يخاطر بجلد آخر .

وبرفق انزل سرواله ، ووقف امام المرآة ، وفتح حلة الاتحاد من الخلف . وبالنظر من فوق كتفه روع بمشهد ردفيه المتورمتين السوداوتين الذى رآه . لا عجب انه كان يستطيع أن يشعر بنبضة كل دقة قلب فى مقعده . ورغم ان المنظر أرعبه ، فانه كان يشعر ايضا انه بر فى عين نفسه وانه قد ظلم فى قضية نبيلة . حاول أن يفكر فى شهيد ما قابل للمقارنة به يمكنه أن يتوحد معه ، لكن موضع

جروحه خذله . وتمتم عاليا بياس ، « انت لا تحسب ان اى شخص مات على الاطلاق لانه ضرب على مؤخرته ولا شيء سوى هذا ، اليس كذلك ؟ » ركع وعاد الى طفولته في صلاته وهو يصعدها بحرارة « الآن أرقد لانام ... »

كان مايزال مستيقظا فيما بعد حين أشعل الضوء . كان راقدا على بطنه ، أدار راسه ليرى شخصا طويل القامة واقفا فوقه . ساله أبوه بصوت منخفض ، « سامبو ، هل أنت بخير ؟ »

« أجل ، ياسيدى ، يا ابى ، انا بخير . »

وأخبره أبوه ، « جاء العجوز جيل الى الصيدلية ليرانى الليلة . وقد تحادثنا طويلا . اخبرنى بكل ماحدث عصر اليوم . وقال انه قدم لك اعتذاره عن الحادث كله وانه كان يخشى انه ضربك بشدة .

« ولاننى اعرفه ، كنت اعرف انه اذا كان قد اعتذر لاى شخص عن أى شيء فان امامنا امرا خطيرا ، لكننى كنت هادئا . وعندما انتهى من كلامه ، اخبرته أن أمامه ثلاث خطط عمل محتملة يمكننا أن نناقشها . ان بامكانه أن يستقيل كتابة الليلة ، ان بامكانى أن اثير الامر امام لجنة تعليم الولاية ، والا كان بامكانى ان اقطع رقبته اللعينة ، وقد اختار الخطة الاولى ، ولن يكون في المدرسة يوم الاثنين . دعنى القى عليك نظرة . »

جذب الاغطية الى الخلف وبرقة فصل ما بين الملابس الداخلية . وسمع الصبى فحيح الشهقة واشتم رائحة الويسكى الحلوة الحمضية وهو يمتص داخل الجسم . وعندما وضع أبوه اصبعا يكاد يكون ملاطفا على ردف متورم نابض ، حاول الصبى بصعوبة الا ينكمش . وحط صمت طويل . وأخيرا ساله الاب بنبرة تعجب ، واحترام تقريبا ، « لماذا فعلت هذا ، يابنى ؟ »

فكر الصبى لحظة طويلة ، وأجاب ، « هناك بعض الاشياء ينبغى على الرجل أن يقاتل من أجلها ، يا ابى . كان الامر ينطوى على سمعة امرأة . »

مال الاب وامسك بكتف نحيل بيد قوية . تشبث به فترة طويلة دون أن تتراخى قبضته . لم ينطق بكلمة . واخيرا اطفأ الرجل النور وانصرف . رقد الصبى ساكنا جدا وتفكر طويلا . انهمرت دموع ثقيلة من عينيه في سيل يطهره ، وبكى حتى راح في النوم .

فى ذلك الربيع ذهب الى حفل الاستقبال الذى كان يقيمه الطلبة الجدد والقدامى .. من الناحية النظرية ، كان هذا حفل وداع للطلبة القدامى يقيمه طلبة المدرسة الجدد احتفالا بهذه المناسبة ، والحقيقة أنه كان المناسبة الاجتماعية الوحيدة التى تحدث ليلا أثناء العام الدراسى كله ، وكان الجميع يشعرون بالاثارة حوله . فبادىء ذى بدء ، كان حفلا رسميا ».

كان طلبة الصف يدركون من الكلمة عدة دلالات غامضة لان الفتيات كن يترنمن بها بتأكيد واحترام خاصين ويبدو انهن كن يستخدمنها فى اجتماعات الصف أكثر مما كان ضروريا . وفى كل عام كان أحد الطلبة يرفع يده ويسأل عن المقصود بكلمة رسمى . وكان هذا يحدث دائما ضحكا مكتوما بين الفتيات وفيضا من الحديث غير متصل بالموضوع يربك كل ذكر فى الحجرة تقريبا .

وما أن كان الطلبة يتأكدون من انها كانت تعنى ملابس سهرة بالنسبة للفتيات وحلل يوم الاحد بالنسبة للفتيان ، لم يكن واحد منهم يعتقد أن هذا كان كل مافى الامر . فلم يكن أمر بهذه البساطة يثير حديثا نسائيا كثيرا بهذا الشكل .

قرر الصبى أن يحضر هذه المناسبة الاجتماعية الباهرة ، وقرر ان يحضرها بشكل مترف . ولما كان ماهرا فى نظام التشريفات العائلية فقد فاتح امه طالبا الاذن بالذهاب .

أجابته : « أطلب من ابيك . »

كانت مذكرته تلك الليلة تقول : « هل يمكننى أن أذهب الى حفل استقبال الطلبة القدامى والطلبة الجدد ؟ »

كان الرد الابوى الذى وجده فى صباح اليوم التالى : « يمكنك الذهاب بالتأكيد . »

تبع هذا على الفور ب ، « هل يمكننى ان اضرب موعدا ؟ »

كانت الاجابة على هذه المذكرة وردية نوعا ما وكان من الواضح انها كتبت بعد جرعة أكبر من الكحول . « انني أجد رغبتك في صحبه الجنس اللطيف ملائمة وفي حينها . وانا لا آذن لك فقط ، بل امنحك بركاتي . »

الح الصبي على الامر . كانت مذكرته تلك الليلة تدريبا في الخداع . كانت تقول ، « شكرا ، يا ابي ، انت رجل عظيم واكثر الاباء تفهما في العالم . لدى موعد مع جلاديس ووكر . ان لها أسنانا مضحكة ، وشعرا أشقر ، وعينين زرقاوين . وهي جميلة حقا من الجانب . أمها تحيك لها ثوبا قرنفليا . وقد طلبت لها باقة من زهور القرنفل وقد كلفني خمسين سنتا لثلاث زهرات ، لكنني قررت أن أتباهى ، هل يمكنني أن أستعير سيارتك ؟ »

كان يعلم تماما ان هذا الطلب سيرفض . كان مجرد التحرك الابتدائي . لم تحمل الاجابة التي تلقاها أية دهشة .

« ولدى العزيز ، بالطبع انا اعرف جلاديس ووكر . أبوها رئيس عمال القطاع . وهي شابة جميلة وابعث اليك بتهانئي . واختيارك للزهور يدل على ذوق طيب . اذا كنت بحاجة الى مزيد من النقود ، فعليك أن تبلغني فقط . لا استطيع ان اعيرك سيارتي ، لانني سأستعملها . ذلك المساء . تستطيع أمك ان تصطحبك في سيارتها ، لا اظن أن مهاراتك تتكافأ بعد مع متطلبات القيادة الليلية . اثق في انك تفهم . »

وبعناية تمعن في اجابته : « ابى العزيز ، لقد سبق لى أن قدت السيارة مرة في الليل ، وسار كل شيء على مايرام . لن يكون هناك صبية آخرون تحضرهم أمهاتهم الى الحفل الراقص . سوف أرى جلاديس غدا والغي الموعد لعلها لا تكون فكرة سيئة جدا عني ، ولعل الصبية الآخرين لا يضحكون طويلا . اعلم ان كون الواحد أبا مهمة صعبة ، وأنا لا اناقش رأيك . لعل السبب في انى أجد صعوبة في الفهم هو انني لم اصبح ابا بعد . وبهذا المعدل ، ربما لا اكون واحدا ابدا . مع حبي ، سامبو . »

وراجيا الا يكون قد تمادى كثيرا ، دس المذكرة تحت طبق الطعام . استيقظ مبكرا بشكل غير عادي صباح اليوم التالي . اقترب من موقد

الطبخ البارد بسرعة وهو لاهث الانفاس . كان طبق الطعام قد أكل نصفه فقط . ولم تكن هناك ورقة ظاهرة تحته . غاص قلب الصبى ، وظن أنه قد أغضب الاب بسبب وقاحته . وعندما استدار بهزة كتف ، نظر خلال الباب المفتوح . لمح ورقة كاملة على طاولة الطعام ، قد أسندت في مكانها بملاحة جدته الكبرى .

اختطفها بلهفة وقرا ، « سامبو ، اللعنة ! يمكنك أن تستعير سيارة أمك . أدرك تماما أنك قدت ذات مرة بالليل ، تحت ظروف أكثر لطفا من هذه الظروف . لا يمكنك القيادة وحدك الى هذا الحفل ، لكننى سوف أطلب من ويس أن يوصلك . هذا أفضل ما يمكننى أن أفعله . مع حبى ، أبوك المكافح . ملحوظة ، اذا كانت الابوة الوليدة مشكلة بالنسبة لك ، فسوف يسعدنى ان ارشدك الى تجنبها . ملحوظة اخرى ، اذا قررت فى أى وقت الا تكون طبيبا ، فرأيى انك يمكنك ان تكون محاميا طيبا للغاية . »

استدار الصبى مبتهجا الى القاموس الكبير الذى كان فى الركن ، وقد تذكر نصح جده له بأن نصف رغيف افضل من لا شىء . بحث عن كلمتى « لطفا » و « وليدة » ، وهو يهز رأسه استحسانا وفهما لاضافة كلمتين جديدتين الى مفرداته اللغوية . قال بصوت عال ،وهو يسرع حافى القدمين خلال صباح الربيع الباكر الى حظيرة الابقار ، « لنكن صرحاء ، يافتى ، أن لك رجلا ذكيا حقا فى شخص ابيك . »

وفى ذلك الصباح نفسه بحث عن ويس بينما كان ذلك الرجل المتين العضلات يقوم بتطقيم بغله واعلنه باحساس بالاهمية ، « ويس، اخبرنى السيد بورتر ان اقول لك انك ستقوم بتوصيلى الى حفل استقبال الطلبة القدامى والطلبة الجدد فى نهاية هذا الشهر . »

بيد خبيرة ربط ويس رقابية البغل وعدل طوقه . « وما هذا ؟ »

« هذا أضخم حفل فى العام الدراسى ، وانت لايمكنك حتى أن تذهب اليه حتى تصل الى الصف العاشر » قال الصبى مفسرا . « سوف يكون بالليل وسوف يستمر اكثر من ساعتين وربما لا نصل الى البيت قبل الحادية عشرة . وهو يقام فى بيت السيد تشارلى رينولدز فى البلدة ، والسيد بورتر لن يسمح لى بقيادة السيارة بنفسى, ولذلك قال ان بامكانك أن توصلنى . انت لا تمانع ، اليس كذلك ؟ »

« بلى ، لا مانع لدى . فى أى ليلة يكون ؟ »

« فى الخامس والعشرين من ابريل . يوم الجمعة . »

قال ويس وهو يرفع قبعته المصنوعة من القش ويهرش تحتهـا باصبعه متحققا ، « لنر سيكون هذا قبل يومين من رابع يوم أحد فى الشهر . آه ، أستطيع أن اتذكر ذلك ، ويسعدنى أن اقوم بهذا . على أن اذهب الى الحقل قبل أن يشرع السيد جيم فى الصباح . هيا ، ياورى . »

وعندما انصرف ، قال الصبى لنفسه ، آه ، وسوف يكون أول يوم جمعة بعد الاحد الثالث الذى يلى البدر الرابع أيضا ، لكنه مايزال الخامس والعشرين من ابريل . لم يكن قد استطاع أن يصل الى تفسير الاساس العقلانى للطريقة المعقدة التى كان السود الريفيون يحسبون بها التواريخ ويحافظون بها على تقويمات مواعيدهم ، لكنه كان اكثر أدبا من أن يستهجنها فى وجودهم .

وفى المدرسة كان حريصا على أن يبدو لامباليا عندما أعلن انه كان سيذهب الى الحفل في سيارة . كان متأكدا أن الخبر كان قد انتشر ، وبعد انتهاء المدرسة عصر ذلك اليوم ، أسرع الى الحقل حيث كان ويس يحدد خطوط القطن . كان البغل سعيدا لتوقفه والتقـاط انفاسه لفترة . « ويس ، حيث أنك سوف تقـود السـيارة ليلة الاستقبال ، فقد قررت ان نجعل منك سائقا حقيقيا اصيلا . اذا كنت لا تمانع ؟ »

« حسنا ،هذا يتوقف . ما الذى تتكلم عنه ؟ »

« أوه ، مايبدو عليه حقيقة . بالطبع انت تخطط مسبقا للحصول على قميص أبيض وربطة عنق سوداء مع تلك الحلة السوداء التى كنت ترتديها فى جنازة جيسى بورتر فى العام الماضى . »

أجاب ويس ، « تلك حلة أخي وهو يقيم هناك فى هامبتون الان في مزرعة السيد اسرائيل ليندلر . أظن أننى يمكننى ان آتى بها يوم القادم . »

« جميل . سوف أجد لك قبعة ترتديها معها . كنت أتمنى لو أننا كان لدينا بعض تلك الاحذية اللامعة ذات الرقبة العالية التى رأيتهـا في الصور أو بعض تلك السراويل التى تبرز من الجانبين ، ولكن هذه سوف تؤدي الغرض منها . سوف تبدو رائعا . تأكد من غسل عربة الآنسة فيرا غسلا جيداً من اجلى . »

استند ويس على المحراث وأومأ بالموافقة لكنه لم يقل شيئا .

قرر الصبى أن يتأكد من تعاونه . « ويس ، لدى قليل من مـال

البطيخ باق ، وسوف أعطيك ثلاثة دولارات تلك الليلة لانه لطف منك ان تساعدني . »

« صحيح ؟ هذا احسن خبر سمعته في هذا الخصوص حتى الان . انت لست مضطرا الى أن تفعل ذلك لان السيد بورتر اخبرني . انني سأوصلك ، لكن ثق أنني ممتن جدا . استطيع ان استخدم النقود » .

« أنا أريدك ان تفعل هذا ، ياويس ، والان ، الشيء الاخـر الذي اريدك ان تفعله هو ان تتصرف كسائق . »

سأل بقبول ، « حسنا ، ياسامبو . وكيف يفعلون ذلك ؟ »

« أوه ، انت تعرف ، في كل مرة توقف فيها السيارة ، تنزل وتفتح الباب لي وتقف هناك وتمسك الباب حتى أنزل واحضر فتاتي، ثم تغلق الباب في حين تميل حافة قبعتك باصبعك وعندما تراني عائدا الى السيارة ، افتح الباب وامسك به حتى ادخل . مثل هذه الاشياء . انت تعرف . وتستطيع أن تفعل ذلك . »

« استطيع . اشك في هذا . قد يختلط على الامر . من المؤكد انه يبدو لي كما لو كان به الكثير من القفز داخلا وخارجا . »

وعده الصبي ، « لا ، سوف تؤديه بشكل طيب . سوف ترى . وسوف نتدرب تلك الليلة ونحن في طريقنا الى البلدة . وفي كل مرة ادخل فيها في السيارة ، سوف أعطيك تعليمات عن أين تذهب . تلك هي الطريقة التي يؤدونها في الكتب التي أقرأها في تلك القصص التي كتبها ب . ج وود هاوس في مجلة « بريد مساء السبت » .

تساءل الرجل المحير ، « ماذا تقول ؟ كنت أظن هذا الشيء كـان يوم الجمعة . »

قال الصبي مسرعا ، « هو كذلك . لا تلق بالا الى ما أقول . كنت افكر بصوت عال . اظنني عصبيا بعض الشيء بشأن هذا الموضوع . تعرف ، هناك شيء واحد آخر ، رغم هذا . ربما أقرر أن أناديك باسم برادلي في تلك الليلة بدلا من ويس . أن له رنينا أفخم ، وهذه مناسبة رسمية . انت لا تمانع ، اليس كذلك ؟ لا أريدك ان تسيء الفهم . »

« لا ، انا لا أبالي ، تستطيع ان تناديني باسوأ من ذلك بكثير لقاء ثلاث دولارات . يحسن بك أن تنصرف وتدعني أجعل هذا البغـل يدور . » استدار ليقبض على مقابض المحراث ، ولف الحبلين حول

رسفيه ، وأبدى ملاحظة ، « لابد ان هذا سوف يكون حفلا يستحق المشاهدة . هيا ، ياورى . »

قضى الصبي بقية الوقت قبل حفل الاستقبال ، وهو غارق فى الحب . فبعد أن بذل شجاعة بالغة بأن تجرأ حتى على أن يطلب موعدا من فتاة ، كان عليه أن يتماسك بشكل دائم ليتجنب الذعر من توقع الموعد . أضفى على جلاديس كل الصفات النبيلة التى تتمتع بها البطلات اللاتى يسكن الكتب التى قرأها الى درجة انها كانت هى من يجب أن يفزع لو أنها امكنها ان ترى ما بداخل راسه .

ابتكر فتاة تحظى بكل الفضائل وبلا شيء من أخطاء جولييت ، وبورشيا ، وورونيا ، والملكة جوينيفير . اقنع نفسه أن هذه البنت من بنات خياله ، هذه الانثى الاسطورية ، كانت متجسمة فى جلاديس ووكر ، فقد كان لديها فى النهاية عينان زرقاوان وشعر اشقر . كان غموض هذه القصة الرومانسية وجمالها أرق من أن يعبر عنهما . وبدلا من ذلك ،راح يتنهد كثيرا .

كان يبحث عنها فى المدرسة ليتبادل معها احاديث عابرة تافهة ويحمل اليها بشكل متقطع كتذكار غصنا من أغصان الازاليا الصحراوية او شجيرة جميلة . كانت تبرز غمازتيها وتبتسم وتشكره بصوت حلو عذب ، فترسله فى شطحات خيال أكثر جموحا عن ذى قبل . وبحلول الخامس والعشرين من ابريل كان قد أقنع نفسه أن هذه كانت قصة حب حياته ، وأنه كان مفتونا بشكل غامر بهذه المخلوقة الرائعة ، وانها كانت فتاته وبالتالى تنتمى ، جسدا وروحا ونفسا ، اليه . فزع فزعا شديدا .

وعصر يوم حفل الاستقبال ، القى بكتبه فى الشرفة الخلفية واسرع الى الخارج ليفتش على سيارة أمه الشيفروليه السوداء . كانت تلمع من المبرد حتى الصندوق الخلفى ، وقد غسلت لتوها ، وبدت نظيفة بشكل مؤثر . وحين فتح الباب الخلفى ليتفحص تنجيد المقعد الخلفى بحثا عن اى ذرة غبار ، استدعى رؤيا له ولجلاديس وهما يركبان فى سعادة سيارة مترفة يقودها سائق . كان مهذبا وناعما ، يميل من آن لآخر ليتقاسم معها ملحة بارعة وتكافئه بجلجلة ضحكات فضية والوهج الرقيق على طول رقبتها .

وعندما استراحت اليه أكثر مد يده وتناول يدها ، وهو يربت

عليها بحنان حين وصلا الى حفل استقبال الطلبة القدامى والجدد .
ابتسم بتساهل حين احمر وجهها ، وأرخت عينيها . وسحبت يدها ببطء وحزم . فقد كانت فى النهاية فتاة لطيفة ، ومن المحتمل انه كان دنيويا أكثر من اللازم قليلا بالنسبة لها .

عاد الى الواقع . كانت السيارة تبدو جيدة ، لكنها لم تكن مترفة فكر لحظة وأسرع الى داخل البيت . عاد بحفنة كبيرة من دبابيس الرسم ومنشفة شاطىء ذات خطوط زاهية ، ومضى يعمل . وفى وقت قصير يثير الدهشة كان قد ثبت المنشفة عبر سـقف السـيارة الى منتصف ارتفاعها الداخلى . جذبها باحكام ، وثبت الطرف الآخر باحكام فى أعلى المقعد الامامى المنجد وتراجع الى الخلف مزهـوا ليشاهد عمل يديه .

كان المقعد الخلفى الآن ركنا منعزلا ، خاصا ومنفصلا . قطع بعض الوردات من على النبات الذى يعترش جانب المرآب ، وصنع منها مع شجر القرانيا الانجليزى باقة ، ثبتها فى خلف المقعد الامامى ، ورأى ان السيارة الان كانت أفخم واكثر شيءرومانسية رآه علىالاطلاق .
أقسم فى صمت أنه لم يكن هناك أى شىء يمكنه أن يكون عناء اكثر من اللازم بالنسبة لجلاديس . لم يكن بامكانه ، بالطبع ، أن يرى من خلال المنشفة ، ولكن بالتالى لم يكن ويس يستطيع أن يرى المقعد الخلفى . قال لنفسه من يدرى : ربما أمسكت بكلتا يديها .

عندما استحم وارتدى ملابسه ، وضع دهان شعر اضافيا ومشط شعره الى أسفل غير انه مهما حك يديه قدر الامكان لم يكن يستطيع أن يزيل رائحة الحليب والابقار منهما . وبعد التجريب ، قـرر أن يديه كانتا بلا رائحة على بعد ثمان عشرة بوصة من أنفه واكد لنفسه أن هذا لا يجب أن يشكل عائقا اجتماعيا .

وعد نفسه قائلا ، عندما أصبح طبيبا ، لن أقوم بجلب الابقار أبدا .
لقد سئمت أن تكون رائحتى هكذا . اسرع الى الطابق السفلى ليرى ان كان ويس قد وصل .

كان ويس يستند بتكاسل على حاجز الاصطدام الامامى للسيارة ، متألقا فى حلة أخيه الجنائزية ، وقميص ابيض ، وربطة عنق سوداء .
كان من الواضح أنه حك نفسه الى حد أنه كان يصر نظافة . وكان ينفث دخان سـيجارة بول ديرام لف يد ، ويرتدى قبعة صـوفية ذات مربعات على الجزء الخلفى من رأسه .

« كيف حالك ، ياسامبو . هل أوشكت على الاستعداد للذهاب ؟
هو ــ و ، انك تبدو أنيقا . وشعرك يبدو حسنا ، أيضا . استطيع أن أشمه من هنا . أى شيء تحمله في ذلك الصندوق ؟ »
« انه باقة ورد لموعدى ــ انت تعرف ، بعض زهور اشتريتها من المتجر لتثبتها على ثوبها . انت أيضا تبدو أنيقا ، ياويس . شد قامتك وادفع كتفيك الى الخلف ، ودعنى ألقى نظرة عليك . ان حلة جورج تناسبك تماما ، وانت تبدو رائعا للغاية ، لكن تلك القبعة لن تنفع . انها غير رسمية للغاية . انتظر لحظة . امسك لى هذه الباقة ، وسوف أعود حالا . »
أسرع الى غرفة المعيشة ، التى كانت منعزلة ومنفصلة عن بقية البيت . ورافضا ان يفكر فيما وراء حاجته الآنية ، تقدم من الحمالة التى كان أبوه قد صممها وثبتها على الحائط لتحمل كل تذكارات العائلة العسكرية . كان سيف الجد الاكبر الذى استخدمه فى الحرب الاهلية معلقا هناك ، ومسدس فيرى من قوات الحملة الامريكية ، وخوذة ضابط بروسى ، وعدة تذكارات أخرى من ١٩١٨ . مد يده عاليا واخذ القبعة الرسمية التى كان أبوه يرتديها بصفته نقيبا فى سلاح المشاة فى الحرب العالمية . ورأى أنها قد تكون البند المطلوب تماما لاستكمال بزة ويس ، بقمتها المنتفخة ، وأعلاها المسطح ، ومقدمتها الجلدية اللامعة ، انسل بها الى الفناء الخلفى . قال آمرا ، « هاك ، جرب هذه . »
ارتكزت القبعة على قمة أذنى ويس تماما ، وقد غطت عينيه . وكانت قمة راسه تشكل نتوءا محددا فى القمة المسطحة . قال الصبى بفزع ، « لن تصلح هذه على الاطلاق . »
أخذ بعض شرائط من ورق الجرائد ، وبطن الاثنان جانب القبعة الداخلى حتى استقرت عند المستوى المناسب على رأس السائق الجديد . قال الصبى ، « هذا بديع ، » وهو يبدى اعجابه بالنتاج النهائى . « يبدو بالطبع انك لو ادرت راسك فان القبعة ستظل ثابتة ، لهذا كن حريصا . ولونها بطبيعة الحال كاكى ، وحلتك سوداء ، لكننا لا يمكننا الحصول على كل شيء . سوف يكون ضوء النهار مايزال موجودا عندما نصل الى هناك لكن الظلام سيحل قبل أن نغادر ولن يكون اللون مهما الى ذلك الحد .
« أعتقد انك تبدو رائعا ، ياويس . والآن لا تنسى ، سوف أدعوك

برادلي . وتأكد من فتح الباب لي . وحاول أن تتذكر أن تلمس حافة قبعتك باصبعين عندما أنزل . لا بتحية حقيقية ، ولكن مجرد نوع من ايماءة احترام عرضية . هكذا . ولكن احـــرص على ألا تطيح بالقبعة . ولا تدخن ، ياويس ، في السيارة أو أمام أى من المشتركين في الحفل . سوف يكون عليك أن تنتظر وتدخن في فترة الاستراحة . وسوف أحاول أن أجلب لك بعض المرطبات . احسب أننا جاهزان للذهاب ، ولكننا سنكون مبكرين . »

قال ويس ، « انتظر لحظة ، ياسامبو . أنت على وشـــك أن تشوشني . فأنا لم أكن أعلم مطلقا ان هناك هذا الكثير فيما يتعلق بالقيادة من قبل . وسوف يكون الامر سيئا بما فيه الكفاية مع وجود هذه المنشفة تتدلى هنا وأنا لا استطيع أن ارى من النافذة ، ولاى شيء تخطط بما فعلته هنا في الخلف على أي حال ؟ ثم تقـول انني لا استطيع التدخين الا في الاستراحة وأنا لا اعرف حتى متى يكون ذلك ، لكنني اعلم ان هذه هي قبعة السيد بورتر ، وانا مرتعب من انه سيسلخ راسي اذا ضبطني بها . واعتقد انك تماديت كثيرا . »

راح الصبي يهدئه ، « أنصت ، ياويس ، لقد اخبرني أبى انه على استعداد لان يفعل اى شيء ليساعدنى فى هذا الموعد . سوف يعلم انك لم تدخل الى غرفة المعيشة وتحصل على تلك القبعة . ســوف يعلم أننى فعلت هذا . وسوف يعلم أننى طلبت منك ان ترتديها . لقد كان نقيبا ، وهو لن ينزل العقاب بعسكرى لانه فعل ما أمره ملازم أن يفعله ، لذلك كف عن القلق .

« هاك ، خذ هذه هي الدولارات الثلاثة التي وعدتك بها . والآن لقد دفعت لك مقدما . وهذا يبرم عقدا ولا تســتطيع أن تخلف وعدك لانك اذا فعلت فان القانون ينالك . والآن ، هيا بنا . »

أجاب ويس ، « آه ـ هه ، » وهو يطوى الورقات النقدية الثلاث بعناية ويضعها في جيبه . « كل ذلك ممكن هــكذا ، لكننى اغامر بالفرص المتاحة لى أمام القانون فى أى يوم قبل أن اغضب أباك . اركب ودعنا نذهب . »

« اركب ، ولا شيء . افتح الباب لى ، والمس قبعتك ، ثم دعنا نمضي . »

وحين استقر فى ركن المقعد الخلفى وادار ويس محرك السيارة ، قال آمرا من خلال المنشفة الفاصلة ، « الى القرية ، يابرادلي . »

وعند وصوله الى بيت رئيس عمال القطاع ، كاد الصبى أن ينسى ويثب من السيارة وحده . استعاد نفسه ، وذكر ويس بغطرسة ، « برادلى ، الباب . »

أجابه السائق من خلال الحاجز القماشي ، « ماذا تقول ؟ » .

تملقه الصبى صابرا ، بثقة واعتزاز ، « أو ، ويس ، تذكر . من المفروض أن تنزل وتفتح الباب لى . قف معتدل القامة وطويلا حين تفعل ذلك ، لانك تبدو أنيقا حقا الليلة . وافعل نفس الشيء عندما ترانى قادما باتجاه السيارة مع الفتاة . هذا هو الشيء الحقيقى ، والان ، ياويس . ارجوك الا تنسى ثانية . »

« آه ـ هه ، لن انسى . فقط كنت نسيت ، لن أنسى ثانيـــة ، ياسامبو ، لقد قال أبوك أن علينا أن نمر على الصيدلية في طريقنا الى هذا الحفل . ولن أنسى هذا أيضا . لم يحدث مطلقا ان كنت فى مثل هذا الحال من قبل . هل تحسب أنه يحسن بنا أن نذهب الى البلدة ونراه الان » .

أجابه الصبى ، « لا ، لقد تأخر بنا الوقت الان . وانا واثق ان آل ووكر يعرفون اننا هنا الآن . ظننت انني رايت شخصا يطل من خلال نافذة في غرفة الطعام ، وسوف يبدو الامر غريبا اذا تراجعنا من ممر السيارات الان . » واضاف وهو ينظر الى قبعة ابيه على رأس السائق ، « وعلاوة على هذا ، اعتقد أنه من الافضل أن تكون جلاديس معنا الان . وانا واثق أن ابى يريد أن يلتقى بها . استعد الان وافتح الباب . » .

وعندما نزل من السيارة واوما بتنازل لسائقه ، كان واثقا انه راى خفقة ستار فى نافذة حجرة الاستقبال . ومع هذا ، فبعد أن طرق الباب كان لديه وقت لجذب سترته الى اسفل ، وتحسس ربطة عنقه ، وتمرير يده على شعره ، وتلميع مقدمة كل حذاء على خلف رجله الاخرى . وما أن فتح الباب ، كان يقوم بفحص فتحة سرواله ليتأكد انها كانت مزررة باحكام ، واهتز فجأة انتباها الى درجة ان صندوق الباقة قفز من تحت ذراعه مثل شيء حى واندفع الى قبضة ام جلاديس . تمتمت الســـيدة ، « يا الهى ، الا تدخـــل وتجلس ؟ » .

لطف من ارتياك الصبى ارتياحه لان السيدة ووكر هى التى فتحت الباب لا زوجها . كان للسيد ووكر صوت خشن مدو وطريقة حارة

مبالغ فيها ترهب أي واحد ، لكن زوجته لم يسمعها أحد مطلقا ترفع صوتها . والحقيقة أنها كانت تتكلم بتمتمات بالغة النعومة فقط ، وأحيانا لم تكن حتى تكمل جملتها .

كانت طويلة القامة ونحيلة لكنها لم تكن شديدة النحول مطلقا . على العكس ، كانت تبدو كما لو لم يكن بها عظمة واحدة في جسمها وعندما تمشي كانت تنزلق الى الامام ، وعندما تجلس كانت تذوب في مقعدها ، وقد ضغطت ساقيها الى أحدهما الآخر وطوتهما عند الركبتين ، وهي تتداعى جانبيا مثل شريطين ملتصقين من فطائر حلوة . وكانت رقبتها تميل دائما الى الناحية المقابلة لركبتيها بما يعطى الانطباع بأن رأسها كان زهرة كبيرة للغاية متوازنة بشكل مقلق على ساق هشة جدا .

كانت أسنانها عريضة وكبيرة ، وكانت شفتاها منطبقتين بالكاد عليها حتى أنها كانت تأتي بحركات تذوق صغيرة صامتة بشفتيها ولسانها بشكل متكرر . وكانت عيناها بنفس اللون الازرق الباهت مثل عيني ابنتها لكنهما اكثر بروزا وتميلان الى أسفل عند ركنيهما الخارجيين . وكانت جفونها ثقيلة الى درجة أنها كانت نصف مرتخية، وكان هذا بالاضافة الى ميل عينيها ذاتهما الى أسفل يعطيها مظهرا ملولا متحررا من الوهم بشكل دائم وهو ماراه الصبي أمرا رشيقا . كانت تذكره في الحقيقية بالارستقراطية الانجليزية التي نزل بها الفقر ، وتخيل أنها ربما كانت النسل الامريكي لايرل انجليزى نسي من زمن طويل .

تمتمت وهي تموج صندوق الباقة باتجاه كرسي بحركة رخوة ، « جلاديس لم تنته تماما من ارتداء ملابسها . سوف تخرج في مجرد بضع .. اجلس وثرثر معي حتى تكون هي ... لن يستغرق الامر طويلا .. كيف حال ابويك ؟ » .

« بخير ، اشكرك ، ياسيدتي . » اكتشف أنه اذا جلس على حافة الكرسي المنجد ، فان قدميه تلامسان الارضية وكان هذا يبدو أفضل من أن يريح ظهره الى الخلف، وساقاه بارزتان الى الامام مباشرة . جلس صامتا لحظة وراح يراقب خلسة تذوقها لمادة ماغير معروفة . ومن تعبير وجهها قرر ان تلك المادة لم تكن لطيفة . قال لنفسه ، لابد انها متلهفة .

تجاسر وقال ، « ياسيدة ووكر ، متى تريدين أنت والسيد ووكر

أن تعود جلاديس الى البيت ؟ »
أمالت عينيها المرتخيتين باتجاهه ، وهى تبدو منفصلة ومهتمة فقط بشكل طفيف ، « لماذا ، لا أدرى ... أظن .. حينما .. متى ينتهى الحفل ؟ »
« حسنا ، الحفل ينتهى فى الساعة الحادية عشرة ، وسوف ابذل أقصى جهدى أن أوصل جلاديس ألى البيت فى الحادية عشرة وخمس دقائق . هل هذا على مايرام ؟ »
نظرت اليه بشكل أكثر مباشرة ، « نعم ، طبعا ، اظن ان هذا على مايرام . متى ينتظر أن تعود الفتيات الاخريات الى بيوتهن ؟ »
« لا أدرى ، ياسيدة ووكر ، لكننى لا أريدك أن تقلقى على جلاديس سوف اعتنى بها تماما . »
تمتمت السيدة ووكر ، « أنا واثقة انك ستفعل . »
« اعنى ، اننى اعرف أنكم جميعا ربما كنتم مدققين للغاية فيما يتعلق بها ، حيث أنها طفلة وحيدة وما الى هذا » وواصل الصبى كلامه بجدية « واريدك أن تعلمى أنها آمنة معى . »
همست السيدة ووكر تقريبا ، « أنا واثقة من ذلك ، » وتطلعت حولها بحثا عن مكان تودع فيه صندوق باقة الزهور .
« اعنى أن هذا هو أول موعد لى وما الى ذلك ، وأريدك أن تعرفى اننى احترم ابنتك والنساء جميعا فى هذا الخصوص ، اذا كنت تعرفين ما أعنيه . »
قالت السيدة ووكر ، وهى تواصل تدريباتها فى التذوق ، « انا واثقة انك ... انا لست قلقة مطلقا على جلاديس . »
فكر الصبى فى فريكلز ولادى بنتى جين ستراتون بورتر ، وقرر أن هذه كانت مادة طيبة سليمة لتهدئة قلق أم منزعجة ، « حسنا ، ما أعنيه حقا ، ياسيدة ووكر ، هو اننى أريد ان أؤكد لك وللسيد ووكر أننى طاهر كيوم ولدت ، وأنا واثق أن جلاديس هكذا ايضا ، وسوف أعود بكلينا على هذه الحال ، لذا لا تقلقى . هل تعرفين ما أعنيه ؟ »
نهضت السيدة ووكر ، « ياالهى ... أين .. دعنى اتحقق من .. جلاديس ! » نادت بأعلى صوت سمعها الصبى تستخدمه ، « تعالى الى هنا ، هل تسمعين ؟ لقد ابقيت هذا الصبى ينتظر .. ياللرحمة ، ما الذى يعطلك ؟ »

اندفعت جلاديس الى الغرفة كما لو كانت تنتظر اشارة البدء . انزلق الصبى من مقعده ونظر اليها ، وقد فغر فمه اعجابا ودهشة. كان رأسها يتواثب بلفات من الشعر الذى عقص لتوه وكانت ابتسامتها المشعة مرسومة بأشد أنواع أحمر الشفاة حمرة رآه فى حياته . بدت رموشها أطول وأدكن مما يتذكر . كان الثوب الذى حاكته لها أمها ، على أية حال ، هو ماحولها حقا الى مخلوقة من الغموض والجمال .

لم يكن قد رأى طوال حياته هذه الوفرة من شبكة قرنفلية . كانت ترتفع فى سحابة حول كتفيها تكاد تكون بارتفاع رأسها ثم تتساقط فى طبقات رقيقة خفيفة على طول المسافة حتى الارض وفى مكان ما قرب أعلى السحابة كان هناك ثقب صمم بفن يظهر بجلاء ثدييها فى بياض الحليب ، وهما يبدوان ، كما خطر له ، مثل دجاجتين بيضاوتين تستدفئان فى نفس العش . وتحت كل الشبكة كانت ترتدى شيئا يهمس ويحف فى كل مرة تتحرك فيها . أضله الصوت الى درجة أن اختفت عصبيته .

« جلاديس ، انك جميلة جدا ! هذا الثوب يليق بك كثيرا . »

تلألأت ، « أشكرك . فردت ذراعيها ودارت حول نفسها مع صخب مصاحبة قميصها الداخلى ، « هل تحبه حقا ؟ »

« اعنى اننى أحبه ! انك تبدين مثل طفل فى كرة من غزل البنات .

« هاك ، لقد أشتريت لك بعض الزهور . » وقدم لها الصندوق الكرتونى الابيض .

« أووه ــ وى . أليست جميلة ! تعال ، ثبتها على . »

تناول الصبى ، الباقة والدبوس الطويل برأسه اللؤلؤية وتحرك باتجاه الفتاة التى انحنت قليلا . وجد نفسه ينظر مباشرة الى الشق الذى يبدو من خلال عش الشبكة ألقرنفلية ولم يستطع أن يتخيل تثبيت الباقة الى اى سطح لا يتضمن اقتراب يده بشكل خطر قرب هذين الثديين الباهرين . وبرعشة خفيفة مد يده بالباقة للسيدة ووكر . « يحسن أن تفعلى أنت هذا ، » وبلع ريقه .

وبينما راحت السيدة تضغط الباقة بهمة فاترة فى الزبد القرنفلى لاحد الكتفين وتثبته بدبوس ، راح الصبى يثرثر بعصبية .

« هل ترين ما اعنيه ، ياسيدة ووكر ؟ تستطيعين أن تثقى به . وكما تقول أمى ، تجنب مظهر الشر ذاته ، أو كما يقول مدرس اللاتينية « لابد أن تكون زوجة قيصر فوق مستوى الشبهات ، تلك الزهــور تبدو جميلة حقا حيث وضعتها . »

همهمت السيدة ووكر وسط الصمت الذى تلا ذلك ، « ياللرحمة ، انتم يا اطفال ، يحسن بكما أن تسرعا . استمتعا بوقتكما . . . أعنى ليكن سلوككما طيبا . . . أعنى . . . حسنا ، يرحمنى الله ، ماذا تنتظران ؟ »

قفز ويس من السيارة ، وهو متلهف الى أثبات سيطرته على تدريبه المكثف حين وصلا ، وفتح الباب الخلفى ، ووقف معتدل القامة مثل عصا ، فى حين راح الصبى يساعد جلاديس ولفائفها المحزومة على الدخول الى المقعد الخلفى .

قال ألصبى باستعلاء ، « أحسنت ، يابرادلى . » ومال الى الخلف على الوسادات . وقال آمرا من خلال المنشفة المشدودة باحكام ، « الى الصيدلية الآن ، لو سمحت . »

وحين انعطفت السيارة حول الركن الذى يحيط بالكنيسة ، كانت جلاديس تجلس وقد مالت عليه بخليط من الشبكة القرنفلية وعقصات الشعر المتواثبة . ولما كانت أداة حفظ توازنه ثابتة فقد ألقى الصبى، بدون تفكير ، ذراعا حول كتفى الفتاة ليثبتها فى مكانها ويقيها . وبشكل لا يمكن تصديقه ، لم تتحرك حين اعتدلت السيارة على الطريق الترابى بهدير محركها المكتوم فى اتجاه البلدة . رقدت الرأس الشقراء على كتفه ، وهى تتضام اليه بالفعل ألتماسا للدفء فى عناق طبيعى . وللحظة وجد ألصبى نفسه لاهث الانفاس منتشيا .

همست جلاديس ، وهى تتجاهل وضعها تماما ، « أو - وى ، انا احب هذه السيارة وأن لديك سائقا خاصا . »

قال الصبى ، وهو لا يفكر فى شىء فى العالم سوى وضعه ، « صحيح ؟ » لم يكن مثل هذا الخيال الجميل قد توفر له فى تخطيطه لهذه الامسية ، تسلل ذراعه برقة وخلسة التماسا لمزيد من الدفء حول كتفى هذا ألطيف . التصقت به التماسا لمزيد من الراحة . حرك يده خلسة تحت زاوية الفك الناعم وربت على الذقن المخملية وحين فعل هذا ، تشمم رائحة الحلب التى لا يمكن أن يخطئها احد تنبعث من يده . وادرك بفزع ان جلاديس كانت لابد تشمها بشكل اكثر قوة منه ، حيث أنه انفها الصغير الرشيق كان بالتأكيد أقرب الى هذا العضو المسىء من انفه هو . اصابه الرعب فطوح ذراعه بعيدا عن جلاديس ودفعها على نحو مفاجىء الى وضع معتدل بيده

الاخرى ».

وصدر منه قوله بشكل عفوى ، « عفوا ، لا أدرى لماذا فعلت ذلك مطلقا ؟ من المؤكد اننى لم اكن أعنى ذلك . »

تساءلت جلاديس ببراءة ، « فعلت ماذا ؟ » سمعها الصبى بالكاد . تهالك فى ركن المقعد ، بخزى وذل ، وهو يقاوم دافعا الى الجلوس على كلتا يديه . انقذه وصولهم الى الصيدلية .

فى الشفق المبكر ، كان بامكانه أن يرى ملابس أبيه البيضاء وهو يقف مستندا الى دعامات السقيفة المعدنية التى كانت ترتفع فوق الرصيف أسفل الصيدلية تماما . كان منهمكا فى حديث مع رفيقين يرتديان حلل عمل فضفاضة . وحين راحت السيارة تنزلق ببطء الى حافة الطريق الترابى ، اعتدل أبوه ، والقى بسيجارته جانبا وحدق غير مصدق ».

وبينما كان يقترب ببطء من السيارة ، قال الصبى آمرا متجبرا ، « الباب يابرادلى » .

وفى حين وقف ويس انتباها ، نزل هو من المقعد الخلفى بعظمة ومد يده ليصافح ابيه محييا . لم يكن ذلك السيد يبدو كما لو كان يركز انتباهه الخالص على ولده الوحيد . راحت نظرته تشرد من القبعة التى كانت على رأس ويس الى منشفة الحمام الزاهية الالوان ثم تعود الى القبعة . وما أن جذب نفسا عميقا ليتكلم ، قال الصبى بستحثه ، « أبى ، اود أن أقدم لك جلاديس ووكر . فهى رفيقتى هذا المساء . »

وبينما كان ويس مايزال ممسكا بباب السيارة ، والصبى يحجل من قدم الى القدم الاخرى ، أرجأ الاب الحديث فى أمور غير جوهرية ، وهو سيد المواقف الشهم ، وارتفع الى مستوى المناسبة . قال وهو يميل داخل الباب المفتوح ، بدماثة رائعة ، وبلمسة ايحاء بالرسميات لا تخلو من اطراء ، « يسعدنى أن أتعرف عليك ثانية ، يا آنسة . واذا لم تعتبريها جراة منى ، فاننى اودك ان تعرفى انك طيف جمال حقيقى فى ذلك الرداء . »

واعتدل فى وقفته ، وعادت عيناه الى أعلى رأس ويس . « لن أؤخركم اكثر من هذا . استمتعا بوقتكما . هاك مقدم أتعابك البسيط الذى وعدتك به ، » قال هذا ، ودفع بورقة نقدية من ذات الخمسة دولارات فى كف السائق .

واضاف بسرعة ، « والآن ، هناك أشياء متنافرة معينة هنا ، بعضها مضحك وبعضها مثير للاستياء ، سوف نشغل بها أنفسنا نحن الثلاثة فيما بعد — هل نقول في الصباح ؟ طابت ليلتكم . »

وبينما كانوا يتراجعون بالسيارة الى الطريق ، لوحت جلاديس بيدها للشخص الطويل القامة بملابسه البيضاء . وهتفت ، « أو — وى ، ان أباك لطيف بكل تأكيد . انه رفيع التربية . »

همهم الصبى وهو مشغول البال ، « اجل » . كان بحاجة الى الوصول الى القاموس ليرى ما اذا كان هو أو ويس الاكثر تورطا .

كان الحفل على أشده بالفعل . كانت الشرفة الامامية تغص بالفتيات في ملابس السهرة وتنوراتهن ممتلئة للغاية الى درجة أن شاغلاتها كان عليهن أن ينحين بشكل غير رشيق الى الامام من عند خصورهن ليمنحن قبلاتهن للقادمين الجدد . كانت الصرخات النسائية والضحك العصبى تملأ الهواء ، واكدت كل فتاة لما لا يقل عن ست فتيات اخريات ، كل على حدة ، أن ثوبها كان بديعا للغاية وانها كانت أجمل ماشوهد في بروتنتون . لم يكن بالامكان سماع صوت ذكر واحد في اي مكان .

اجتذبت جلاديس ، في سحابة شبكتها القرنفلية ، وهى تتحرك مثل دمية في مسرح العرائس ، الى بؤرة هذا الهياج الانثوى ، وتركت الصبى واقفا أعلى الدرج ، وحيدا مرتبكا .

تطلع حوله ، ولاحظ أن السيدة جارفيس عبر الطريق والسيدة ماكلين في البيت المجاور لم يدعا حفل الطلبة القدامى والجدد يعوق روتينهما اليومى . فبعد أن كانتا قد فرغتا من غسل أطباق العشاء ، كانت كل سيدة منهما مستقرة بشكل مريح في مقعدها المعتاد في شرفتها الامامية ، تؤرجح ببطء وايقاع يوما ربيعيا حافلا حتى تستريح كما لو كانت تؤدى شعيرة مفعمة بالرضى . واذا كانت هناك عملية غمس مرود في قليل من السعوط تجرى وسط الشعور بالارتياح الشفقى ، فقد كان هذا يتم بشكل مهذب لا يسترعى الانظار ، ولم يكن أى واحد بحاجة الى أن يبدى اهتمامه .

داخله الارتياح من الفة هذا المنظر ، وشق الصبى طريقه حول محيط دائرة الفتيات وهن يثرثرن الى ركن الشرفة حيث لمح مجموعة من الاولاد . كان بعضهم يقفون متصلبين في أرجاء الشرفة وهم يحاولون ان يتذكروا الا ينسوا فيضعوا أيديهم في جيوبهم فتتجعد ، وآخرون

يستندون بتكاسل الى الاعمدة أو يجلسون على حواجز الشرفة الواسعة ورغم أنه كان يشعر عادة بالغربه بين هؤلاء الاولاد الاكبر سـنا والاضخم حجما ، فانه شعر فى تلك الليلة انهم كـانوا جميعا مترابطين بفعل الخوف المشترك من أن ينجـذبوا الى كتلة الانوثة الضاحكة الصارخة التى كانت تدور حولهم . وباحساس بالانتماء يبعث على الارتياح ، تسلل الى داخل مجموعة الذكور ، وداخله فى الحال شعور بأنه كان مستترا وغير واضح للعيان .

كان وصوله ، على أية حال ، قد لوحظ وأبدى كل صبى تقريبـا تعليقا ما عن سيارته . ولما كانت هذه التعليقات ، مهمـا كانت صياغتها ، تعبر عن اعجاب كامن بقدرته الاساسية على الابتـكار أو بالنتاج النهائى ، بدأ الصبى يشعر بالارتياح لتقبلهم له . والحقيقة أنه ما أن تزايدت مجموعة الصبية ، حتى أصبحوا جميعـا اكثر استرخاء ، ولم يمر وقت طويل قبل أن يتبادلوا لا النكت فقط ولكن ملاحظات مفصلة عن الفتيات وهن فى أبهى زينتهن الرسمية .

سمع دينيس روكمور يقول ، « اصطفوا ، يارفاق ، وصـل الان التوامان بيشوب . » وخلال لحظات كان كل صبى فى المجموعـة يتدلى من فوق الحاجز ليراقب موكب هاتين الفتاتين على طـول الرصيف ثم وهو يصعد الممر المؤدى الى الشرفة . كانت الفتيـات الاخريات يحاولن دائما تجاهلهما . كانت ريندابيل وليندا نلبيشوب شقيقتين متناسقتين فى نسب حجميهما بدرجة مشهية ، وكانتـا تعيشان على بعد ثلاثة أميال الى الجنوب من البلدة فى مزرعة قطن صغيرة . كانت اقتصاديات العائلة تدفعهما الى الحقل مع اخوتهمـا الاربعة . وكانت أمهما تتخيل نفسها من أسرة مرموقة وكانت تتصرف دائما كما لو كانت قد تزوجت دون مستواها . وكانت تصر على أن تعزق الفتاتان الارض وأن تجمعا القطن وهما ترتديان ثوبين بأكمـام طويلة وقبعات شمس تحمى جلدهما الذى كان فى بياض الحليب من اى تعرض للشمس يؤدى الى خشونته . وقد علمتهما فى وقت مبكر ان تحضرا وان تحملا لها الاشياء وان تعتبرا كل نزوة من نزوات أمهما واجبا مقدسا . وعلمتهما ايضا أن القدرة على ارضـاء رجل كانت معيار نجاح المراة وان تسيرا على اطراف أصابع اقدامهما كما تفعل السيدات المهذبات .

وقد أدى هذا بالتوامين الى مشية مدهشة حين تراها ، خاصة

وهما تتصنعان ارتداء أحذية ذات كعوب معدنية وثياب مبهرجة حريرية شفافة كما كانتا هذا المساء . كانت ليندا نل تخطر وريندا بل تطفر مرحا . وكانت كلتاهما تحتفظ بمرفقيها متصلبتين ويديهما بارزتين جانبا وهما تطوحان أذرعهما من الاكتاف فى لحظة دخولهما الحماسي المفعم بالحيوية الى حفل استقبال الطلبة الجدد والقدامى .

كان الصبى قد لقبهما فيما بينه وبين نفسه الفتاتين « رغم ذلك . و ــ مع هذا . » كان لدى ليندا عادة أن تشفع أداة ربط بجملة « رغم ذلك ومع هذا » أثناء الحديث ، وكانت ريندا بل تفعل نفس الشيء بـ « مع هذا ورغم ذلك . » لم تخيب التوأمتان ظنه فى هــذه الليلة .

حين كانتا ترقيان الدرج وتميلان الى الامام لتلقى وطبع قبلات التحية الزائفة ، سمع احدى الاختين تطلق صوتا حادا وتقول ، « أعلن ان هذا المكان يبدو مثل أرض الجنيات ، ومع هذا ورغم ذلك ينبغى أن يكون هكذا مع كل العمل الذى قامت به لجنة التزيين . ان الطريقة التى جدلوا بها الورود وأغصان صريمة الجدى حول كل الاعمــدة البيضاء تروق لى . »

اندفعت أختها التوام تقول فى لحن مصاحب ، « أعرف ، انظرى فقط الى طاولة الطعام تلك . انهــا أجمـل مارأيت على الاطلاق . ورغم ذلك ومع هذا فاننى أعتقد أن وعاء الشــراب ذلك مـن الكريستال . »

سمع الصبى ويل كيلى يهمس وراءه ، « يا الهى ! من المؤكـد اننى أريد أن أشق ذلك ! »

سأله الصبى ، « أية واحدة ؟ »

« ليس هناك فرق . فهما تشبهان احداها الاخرى تماما . ولكن لا احد لديه الفرصة الا انت لفصلهما . يا الهى ، انظر الى تلك النهود . » ونظر الى الصبى متأملا . قال : « اقول ، ليست هناك فتاة هنا تستطيع أن ترفض فرصة الفرجــة على البلدة فى تلك السيارة التى أعددتها . أطلب واحدة منهما لجولة وسوف أكون هناك وأطلب الاخرى . فأنا وجيمس هيرمان مالون قد ضربنا موعدا مزدوجا فى سيارة جده ، وقد اختار وينونا ماكجرو لثلاث رقصات متتالية . وهو يظن أنها على استعداد لان تخلع . انك تجعل اثنتين منهما معا

تميلان تقريبا الى فعل هذا بهذه الطريقة ويصبح الامر اسهل عما هو عليه مع فتاة واحدة فقط » .

قال الصبى هازئا ، « انت مجنون . فقد عرفنا وينونا منذ كانت فى الصف الثالث وهى لن تفعل شيئا من ذلك . فقد حصلت على دبوس مدرسة الاحد للسنة العاشرة من الكنيسة المعمدانية لمواظبتها التامة على الحضور . واما بشأن التوأمين بيشوب ، فيحسن بك أن تنسى هذا . فقد ربتهما أمهما بشكل صارم الى درجة انهما لايقتلعان القطن بدون قفازات . ان عقليهما مهوشان ، لكننى واثق انهما طاهرتان . انت مجنون . »

« دعنى انا احمل هم ذلك . بامكانهما أن يرتديا قفازات طوال الليل فى سبيل ما اريد أن افعله . ومن المؤكد اننا لن نقتلع قطنا . ونحن لا نخطط لشىء يجعل وينونا تتغيب عن مدرسة الاحد بعد غد . ساعدنى فقط على فصل التوأمتين . »

هز الصبى كتفيه ، « حسنا ، لكننى أراهن ان هذا لن يفيدك . »

قاطعتهما ويلى ماى بيرديو ، « يابورتر الصغير ، هلا ساعدتنى من فضلك على توزيع بطاقات الرقصات هذه ؟ أعط واحدة لكل واحد فى الشرفة وسوف أقوم انا بتوزيعها داخل البيت . البطاقات القرنفلية للفتيات والبطاقات الزرقاء للفتيان . فنحن على وشك أن نبدأ . »

اجابها الصبى بشهامة ، « يسرنى أن افعل هذا اذا احتفظت لى بالرقصة الثانية . »

كانت البطاقات تحمل على واجهتها باقة زهور وقد طبع على اعلاها « جدد — قدامى » بحروف ذهبية . وفى الداخل ، تحت كلمة حفل الكبيرة ، كان هناك عشرة خطوط مرقمة ، وقد ربط الى البطاقة برباط حريرى ذى أهداب ادق قلم رآه الصبى على الاطلاق . وعندما تم توزيع البطاقات كلها ، كتب الصبى اسم جلاديس فى الفراغين المعدين للجولتين اللتين تحملان رقم واحد ورقم عشرة واسم ويلى ماى للجولة الثانية ، وهو يكتشف أن ذلك القلم رغم كل مظهره الجذاب كان أصعب اداة كتابة استخدمها على الاطلاق . وعندما اقترب من التوأمين بيشوب الثرثارتين . شعر بويل كيلى يلكزه فى ضلوعه .

صاح بشكل عفوى ، « ليندانل ، مارايك فى أن تحجزى لى الجولة الثالثة ؟ »

اندفعت تقول ، « حسنا ، يا الهى ، اننى اعلن ان ذلك سوف يكون مبهجا للغاية . مع من ضربت موعدا مزدوجا ؟ فنحن بحاجة الى أن نحجز له أختى ، كما تعلم . »

اعترض قائلا ، « حسنا ، أنا لم أضرب موعدا مزدوجا مع احـد الليلة . فمعى سيارة أمى وسائق جدى . وليس هنالك مكان لاكثر من أثنين . »

قالت ليندا نل ، « أووه ، لا أدرى . أنا وأختى نحب أن نظـل معا . وقبل أن نغادر البيت بالضبط قالت ماما ، وتذكرا ، يافتاتين ، قفا معا متحدتين ، ربما يجدر بى ان انتظر . ورغم ذلك ومع هـذا فمن المؤكد أننى أود ان اركب فى سيارتك . فقد شاهدتها أنا وأختى ونحن نسير على الرصيف منذ لحظة ، ولكن رغم ذلك ومع هذا ربما يجدر بنا أن ننتظر . »

وحين هز الصبى كتفيه وهو يشعر بالراحة ، قاطعهما ويل كيلى قائلا ، « أنا ضربت موعداً مزدوجا ، يابنات . ومع جيمس هيرمـان مالون سيارة جده البويك . أنا أقول لكما مانفعله . سوف أصطحب ريندا بل معنا فى الجولة الثالثة ، ثم نخرج أنا وجيمس هيرمان فى الجولة الرابعة معكما انتما الاثنتين . ويستطيع سامبو أن يخـرج مع وينونا ماكجرو فى ذلك الوقت . مارأيكما فى ذلك ؟ ويسـتطيع جيمس هيرمان أن يصحبنا فى سيارته حول دار القضاء وتستطيعون جميعا أن تلوحوا لكل من يسير . ماقولك ، ياريندا بل ؟ » أطبق على ذراع الصبى بقبضة محكمة .

قالت التوأم الاخرى ، « لقد قالت أمى بالفعل لاختى ولى أن نظل معا ، ومع هذا ورغم ذلك فلن تكون هذه سوى جولة صغيرة واحدة . ولا يمكن أن يكون فى ذلك ضرر ، يا أختى . وعلاوة على ذلك فان أمى تعرف ام جيمس هيرمان ، وكل فرد فى العائلة يصوت دائمـا لصالح جده . »

اقتنعت ليندا نل بسهولة ، وتحرك الصبى لينتهى من ملء الفراغات على بطاقته . لم يحسد ويل . فحين تحل الجولة الرابعة سوف يكون الظلام حالكا ولن يكون بامكانك رؤية التوامين بيشوب وسوف يكون بالامكان سماعهما معا على أية حال ، وكان هـذا فى رايه أكثر

من أن يحتمل داخل نطاق سيارة واحدة همهم قائلا : « أوه ، حسنا ، استدع دكتور ريدواين ، » وصرف ويل كيني من ذهنه .

طلب جلاديس للجولة الاولى ، وانطلقا فى حالة اثارة على طول الرصيف وسط حشد من الازواج يثرثر مفعما بالحيوية . كان الفتيان الذين لم يكن معهم سيارات يتوجهون مع شريكاتهن باتجاه البلدة ، حيث أن الارصفة الوحيدة المرصوفة كانت تلك التى تقع حول دار القضاء وامام المحلات التجارية حول الميدان . كان الاخوان برلسويل ، اللذان كانا يتمتعان بأفضل تربية فى البلدة ، حريصين على السير على الجانب الخارجى من الرصيف وصديقاتهما الى الداخل . لوحا بأيديهما للسيدة ماكلين والسيدة جارفيس ، لكن كل من عداهما كان يمر بالمراتين وهما تتأرجحان كأن لم يكن لهما وجود .

وعندما جذب ويس الباب وساعد الصبى جلاديس على دخول السيارة ، لاحظ أن شعرها الرائع الرقيق قد بدأ يتحرر من الخلف من العقصات المحكمة التى كان عليها فى أول المساء ، ويشرد مهوشا حول طوق رقبة الشبكة القرنفلية المزركش .

قال آمرا ، « الى الصيدلية يابرادلى » واستدار الى جلاديس قائلا دون اهتمام ، « حسنا ، هل استمتعت بملء بطاقة جولاتك ؟ اظن ان بطاقتك امتلأت فى خمس دقائق . فقد رأيت كثيرا من الاولاد هناك بالقرب منك . »

« كان ذلك الصف يحيط بميرتل باركر لابى أنا . وقد صادفت نجاحا لا بأس به ، رغم ذلك . فقد شغلت كل جولاتى ماعدا رقم ثمانية ورقم تسعة . وانت معك رقم عشرة . هل تريد هذين الاخيرين ؟ اذا كنت تريدهما ، فبامكاننا ان نذهب فى جولة طويلة بالسيارة . »

صاح الصبى بعفوية ، « كنت اتمنى لو اننى فكرت فى ذلك فقد شغلت كل ارقامى ، ولا استطيع تغييرها الآن . ظننت انك ستشغلين كل ارقامك فى لمح البصر . واعتقد أن الاولاد ظنوا ذلك أيضا ، ولم يطلبوا . »

« ربما كان الامر كذلك . فكما تعلم هناك فتيات هنا الليلة اكثر بكثير من الاولاد ، ونحن لا يمكننا أن نذهب اليهم لنطلب ــ وعلينا

ان ننتظر حتى يأتي ولد ليطلبنا . واعتقد ان هناك ثلاث فتيات كن يقفن أثناء هذا التزاحم كله ولم يطلبهن أحد لجولة واحدة . »

شعر الصبى بعدم ارتياح . تلوى قليلا . « يا الهى ، كنت احب أن تكون كل الجولات العشر معك ، ياجلاديس . فأنت أجمل فتاة هنا . ولكن اذا كان لفتاة أكثر من جولة واحدة متتالية . مع نفس الصبى ، فان الجميع يتكلمون عنها . فهم يظنونها تقبل » واضاف بشكل غامض « أو ماهو أسوأ . لوحى بيدك للاخوين براسويل . فهما يلوحان لك . »

فكر في أن يحاول ضمها مرة اخرى لكنه تشمم يديه خلسة ودفعها بسرعة تحت ساقيه .

قاد ويس السيارة الى الصيدلية وتوقف .

قال الصبى آمرا ، « يمكنك أن تنفخ البوق ، يابرادلى ، مرة واحدة . »

وعندما ظهر عامل خزان الصودا ، وهو يحك الشعر الابيض الخشن المرقش على فكه الذى لم تكن به أسنان ويشد قبعته المشحمة ، نظر وهو لا يصدق الى السيارة وحملق فى المقعد الخلفى ، وسأله برقة ، « ما الذى استطيع أن اؤديه لك ؟ »

« كوبين من الكرز المخفوق ، من فضلك . اذا كان ذلك على مايرام بالنسبة لك . » وجه الجزء الاخير باحترام الى الفتاة . « ان السيد باما هذا يصنع افضل ماتذوقته منه على الاطلاق . »

قال العامل مؤكداً ، « سوف يأتى حالا » واستدار ليبصق سيلا وفيرا من عصير التبغ .

واضاف الصبى ، « مع مصاصات ، اذا لم يكن لديك مانع . » وحاول أن يتجاهل هزة الرأس البطيئة والرجل يرجع عائدا الى داخل الصيدلية .

عندما عاد حاملا المشروبين الحمراوين المتالقين ، قدم الصبى كوبا للفتاة ، وتناول كوبه ، ووضع على الصينية خمسة عشر سنتا .

قال السيد باما ، « عشرة سنتات فقط . وقد وضعت هنا خمسة عشر سنتا . »

قال الصبى ، « فكرت أن اترك بقشيشا . »

« عشرة سنتات فقط ــ البقشيش ممنوع . خذ سنتاتك الخمسة . »

وهز الصينية بيد مشحمة حتى راحت القطعة المعدنية تهدد بأن

تسقط مترأقصة فى حجر الصبى .

« أجل ، ياسيدى . » تعاون الصبى معه . « أشكرك ياسيدى » . شعر أنه صغير السن جدا حين استدار الرجـــل وهو يهز رأسه مرة ثانية .

قالت جلاديس ، « هذا طيب حقا . ماخطب ذلك الرجل ؟ انه يتصرف كما لو كان بأذنيه ماء . »

اعلن الصبى ، « سوف أصاب بالدهشة اذا كان قد صادف تلك المشكلة على الاطلاق . يحسن بنا أن نفرغ من مشروباتنا ، فقد حان وقت دقهم للجرس فى الحفل ، ولا نريد أن نتأخر . »

وحين كان قد صحب ويلى ماى ثم ليندا نل الى الصـيدلية من اجل الكرز المخفوق ، كان كلا من ويس والسيد باما قد اعتادا على الروتين ، ورأى الصبى أن الاثنين كانا يؤديان عملهما بسلاسة وكفاءة عندما صحب ليندانل بيشوب عائدا الى حفل الاستقبال بعد جولته معها ، راحا يجولان بأبصارهما بحثا عن ريندا بل بيشوب وويل كيلى . وسرعان ماااتضح انهما مفقودان .

قال الصبى ، « أوه ، حسنا ، ياليندا نل ، هيا بنا وسوف نتجول معامرة ثانية . لا تقلقى ، سوف تظهر . هيا بنا نذهب لنتناول كوب كرز مخفوق آخر . »

اجابت التوأم القلقة ، « أووه ، لا . يحسن بى ان انتظر هنا فى حالة اذا مارجعت . فمن المفروض أن أذهب فى هـــذه الجـولة مع ذلك المدعو ويل كيلى . اعــرف أنهمـا على مايرام ، ولكن رغم ذلك ومع هذا لا حيلة لى فى القلق . وعلاوة على ذلك ، فقد كان آخر ما قالته أمى لها ولى هو الا نخرج فى جولة مرتين متتاليتـين مع نفس الشخص اذا حدث ان افترقنا . اذهب أنت ، وسوف انتظر أنا هنا وأقلق . »

وحين شرع الصبى يهبط الدرج ، وهو مذهول من الشـــعور بالارتياح الذى أحدثه غياب ليندا نل ، لمح ثلاث فتيـــات آتيات على الرصيف ، وقد شبكن أذرعهن ورحن يغنين . استقر رأيه على أنهن كن الفتيات اللاتى قالت جلاديس أنهن لم يطلبن لجولة واحدة . كانت احداهن بدينة ، والاخرى نحيفة بشكل مؤلم ، وكان لواحـــدة منهن حب شباب أزرق . كان ثلاثتهن هادئات محتشمات فى المدرسة، يحصلن على تقديرات طيبة ، وكان الجميع يحبونهن ويحترمونهن .

كان ذلك فى المدرسة :

ومن الواضح أن أحدا من الاولاد لم يكن يحبهن أو يحترمهن بالقدر الذى يكفى لان يدعوهن الى حفل استقبال الطلبة القدامى والطلبة الجدد .

خطر للصبى أنهن يحسن استغلال وضع سيء . فبدلا من أن يتوارين حول البيت والشرفة ، ويكرهن الوصيفين على محادثة مهـــذبة ، خرجن الى دار القضاء فى مركز البلدة يتجولن معا . كان يبدو عليهن انهن مستمتعات ، على الرغم من أنه كان قد سمع « جدف ، جدف ، جدف قاربك » تغنى بشكل أكثر تناغما .

تكر فى شعوره لو أن كل فتاة رفضت دعوته لها الى التجــول ، وشعره احساس هائل بالظلم واللاجدوى . كان بامكان جيرالدين ان تفقد وزنها ، وبامكان ميفيس أن تسمن ، وسوف تتخلص فانى كلايد من تلك البثور ، ولكن كان فى هذا عزاء هزيل عن شرائهن لثياب سهرة واهمالهن الان . تقدم بعزم أمام الثلاثى ، وانحنى بعمق انحناءةمتوددة قدر استطاعته ، وقال ، « هل ترغبن أيتها الانسـات الجميـــلات الثـــلاث فى أن تضـــفين على شرف مشاركتكن صحبتـــكن فى هذه الجولة ؟ »

قالت ميفيس وهى تجارى فى الحال حيويته ، « لا يمكن أن يكون هذا شخصا شريرا أو وضيعا ولكن لابد أن يكون فارسا مليحا جـاء ليخلصنا من سجن حقير . هيا بنا ، يابنات ! »

تكوم أربعتهم فى المقعد الخلفى وهم يضحكون ، وفانى كلايد تنصحه بدلال ، « لا تحاول أن تقبلنا ، فسوف نتحول نحن الثـــلاثة الى ضفادع . »

انضمت أليها جيرالدين وهى تقول بجفاف ، « تلك هى تعويذتك الخاصة بك ، ياعزيزتى . فلو حدث لى هذا ، فلن أروح أحجل وانق او أسلب للناس نتوءات صغيرة . »

كان الصبى يضحك على سجيته الى درجة انه نسى أن يوجــه اوامره الى ويس ، فاخرج ذلك الرجل المحير رأسه من النافذة الامامية وصاح الى المقعد الخلفى ، « هل سنحمل كل هذا الحمل الى الصيدلية ياسامبو ؟ »

ضحكت ميفيس قائلة ، « تستطيع ان تحملنا الى حظيرة الابقار طالما قدت السيارة حول دار القضاء أولا ، فنحن نريد أن نلوح لكل

الناس الذين كنا نسير معهم . »
وعندما توقفوا أمام الصيدلية وطلب الصبي اربعة أكواب من الكرز المخفوق مع مصاصات ، كان أكثر استرخاء عما كان عليه طوال المساء . وعندما عاد السيد باما بالطلب ، غير مضغته من التبغ ، وجذب قبعته ، وخاطب ويس ، « هاك ، يافتى ، لقد أحضرت لك كوكاكولا . انها على حساب المحل . استمتع بها . ودعنى أخبرك بشيء . لقد كنت فى البحرية التجارية وفى شركة السلع التى تباع بالنسيئة ولم أر فى حياتى شيئا يفوق ما أنت غارق فى وسطه الليلة . وهذه هى المرة الاولى التى أقلق فيها على الاطلاق من نفاد عصير الكرز . »
جذب قبعته الى أسفل قليلا وراح يهز رأسه على طول طريق عودته الى الصيدلية .
عادت المجموعة متأخرة بضع دقائق فقط لكى يطلب الصبي رفيقة جولته الخامسة . أكد له الالم المبرح الذى كان يتدفق من ليندا نل سيلا من الكلمات ، وهى تحدق من فوق نهديها أثناء هبوطها على الدرج ، وقد امسكت بتنورتها بيد وبأحد الاخوين براسويل باليد الاخرى ، ان ريندا بل كانت ماتزال مفقودة .
سمعها تقول وهو يصعد الدرج ، « ورغم ذلك ومع هذا فلابد أن يعودوا الآن . »
قال أرتشيبالد براسويل ، « أوه ، أنا واثق أنهم على مايرام . » والتقت عيناه بعينى الصبي فغمز له بعينه فى تستر اخوى على معرفة لا يفصح عنها .
أعاد رفيقة جولته الخامسة مبكرا عن موعده ببضع دقائق . كان كل ماجرعه من شراب الكرز والمياه الغازية يتطلب أن يتبول على الفور وقد احدثت هذه الحاجة الملحة مشكلات لم يكن قد توقعها . فاذا استأذن أثناء توقفهم عند الصيدلية ليستخدم دورة المياه الكريهة فى دار القضاء ، كان عليه أن يترك رفيقته دون صحبة ، ولكنها كانت هى وكل زوجين فى الميدان سيلاحظون حاجته .
وامرا ويس بالعودة الى البيت ، دخل الى البهو الامامى وهو يسير متصلب الساقين ويتنفس بخفة ، فقط لكى يفزعه احتمال استخدامه لدورة مياه آل رينولدز . فحتى لو تمكن من اغلاق الباب والتبول فى صمت على جانب المبولة ، فسوف يضطر الى جذب

المشعب قبل أن يغادر . كانت هذه الضجة المميزة سوف تعلن عن وجوده ومهمته لكل من كان بالبيت .

اندفع فيما يشبه الذعر الى الشرفة ، وهو يسير محتقن الوجه على أطراف أصابع قدميه ويجاهد الدافع الى الامساك بنفسه ضمانا ضد الضغط الذي لا يقاوم في مثانته . راح يعدو حول الفناء الجانبي ، وهو يحول عينيه عن السائل الذى كان فى وعاء الشراب السكر ، وغطس أسفل أغصان شجرة الماجنوليا المنخفضة في ظل كثيف يخفيه عن العيون .

تحسس فتحة سرواله بارتباك حتى فتحها ، بدفقة واحدة فقط ومؤلمة داخل سرواله ، وأراح نفسه بقوة شديدة الى درجة انه شعر برأسه خفيفة وراحت أوراق الماجنوليا الذابلة تقعقع كما لو كانت عاصفة من البرد قد ضربتها .

سار الهوينى بلا مبالاة عائدا عبر المرج وصعد الى الشرفة ، ليجد نفسه وسط فوضى الاستراحة وهذرها . بحث عن جلاديس ، وهو يطمئن نفسه الى أنه فى هذا الضوء المعتم لم تكن بقعة مبتلة صغيرة على سروال داكن واضحة للعيون . سألها براحة تنبعث من بطن تحررت ، « هل آتيك بقدح من الشراب ؟ » وبينما كانا يقفان وقد امسكا بطبقيهما الورقيين ومناديل المائدة الورقية الخفيفة للامساك بالفطائر الصغيرة التى تقش على أعلاها « جدد ــ قدامي » بزواق قرنفلى ، سمع صرخة خلفه .

« أختى ! هل انت على مايرام ؟ لقد كنت فى حالة ذعر ! » .

« أوه ، يا أختى ! أنا بالطبع على مايرام . لم نستطع أن ندير محرك تلك السيارة البويك العتيقة ، ومع هذا ورغم ذلك فقد جعلت ولدين ينتظراني للخروج معهما فى جولتين . ساعدينى حتى أجدهما واعتذر لهما . » هكذا أعلنت ريندا بل السخية .

وما أن تمكن من أن يترك جلاديس حتى دنا الصبى من مجموعة الذكور الذين كانوا يقفون عند نهاية الشرفة . بحث عن ويل كيلى ، ولكزه بمرفقه ، « حسنا ؟ »

وحين تراجع الصبى ، جثمانيا وعقليا ، تكلم وارين ليتلجون ، « حسنا ، أنا أقول لكما ، كلاكما يارفاق اقترب أكثر بكثير مما فعل مو ــ كاو هذا . ينبغى علينا أن تكلمه عن الوسيلة . فلست ابن أبى ان لم يكن قد دفع رفيقته فى الجولة الاخيرة الى الهرب ، كنا نسير

حول ميدان دار القضاء ، وكان يصطحب ميتريس ويتماير ، وانتم جميعا تعلمون أنه ليست هناك فتاة الطف وأحلى من ميتريس فى كل الفصل ، وكانت هي ورفيقتي تتكلمان عن الملابس والاشـياء التى تتكلم عنها الفتيات ولم يكن مو ـ كاو حتى ممسكا بيدها وعلى حين غرة ومن حيث لا يحتسب قال بصوت عال يمكن أن يسمعه كل واحد، « ميتريس ، هل تريدين ممارسة الجنس ؟ » لم تقل ميتريس المسكينة كلمة . تصرفت كما لو كانت لم تسمعه ، وحين انعطفنا حول الركن ، ظلت تسير الى الامام مباشرة وعادت الى الحفل وحدها . وكانت تبكي. ولم يكن لدى مو ـ كاو من الادراك أكثر ممـــا يجعـــله يقف هناك ويصيح ، « ماذا دهاك ، ياميتريس ؟ ماذا حدث . حتى يجعلك تبكين ؟ » .

قال ويل كيلي معاتبا ، « ياموكاو ، ان ذلك أسوأ ما سمعت على الاطلاق . » وصمت . « حسنا ، فى المرتبة الثانيـــة بعد أســوأ ماسمعت ، » قال معدلا قوله الاول . « ذلك كفيل بأن يصيب اية فتاة بالتجمد فى مسارها . كل ماتحتاج الى فعله هو أن تغلق فمك فقط . ابدأ بالتدريج . امسك باليدين ، ثم عانق ، ثم قبل قليلا ، ثم حاول ان ترى الى أى حد سوف تسمح لك بتحسسها ، ولكن اياك مطلقا ، مطلقا ، مطلقا ان تذكر ذلك لفتاة . تحدث عن شيء آخر وتصـرف كانك لا تدرى ماتفعله يداك . فلن تصل الى مرادك وانت تتكلم بهذا الشكل . »

قال موكاو ، « آو ، انكم تصيبوننى بالغثيان . اننى اصـل الى مايصل اليه اى واحد فيكم جميعا ، ومازالت لدى كرزة براءتى . »

ثم اختفى الصبى فى اتجاه آخر . عثر على جلاديس وقضى بقيـة فترة الاستراحة معها فى حديث متكلف عن أشياءتافهة . وعلى الرغم من انه كان واثقا انه كان مايزال يحبها ، الا أنه حاول الا ينظـر الى شعرها الذى كان قد فقد كل عقصاته وكان يتدلى فى لفيفات مقلقلة على اهداب ياقتها الشبكية القرنفلية . حاول أيضا الا يفكر فى المحادثة المروعة التى كان يصغى اليها لتوه . وكان يأمل أن يغفـــر الله له لاهتمامه بان يصغى ولكنه احجم عن مواجهته مباشرة بضراعة . حمل الى ويس بعض الفطائر والمشروب وحرص على ان يعيد القدح الى المطبخ حيث ان الجميع كانوا يعلمون ان الملونين ، مهما كانت درجة نظافتهم ، كانوا يحملون امراضا رهيبة وانه لا يجب أن يشرب أحـــد بعدهم

ابدا . شعر أنه كان فاضلا بشكل استثنائي .
كان التجول بعد فترة الاستراحة هبوطا مفاجئا . كان يرافق الفتيات الى السيارة تأدية للواجب ، ويوجه برادلي الى الصيدلية بكل مايمكنه من تعاظم ، ويطلب « اكواب الكرز المخفوق من عامل خزان الصودا، الذي أصابه الآن الانهاك . كانت جدة المغامرة الجديدة قد ولت ، على اية حال ، وحوالى الساعة العاشرة كان فى انتظار نهاية اللهو بسرور .
وحين باشر جولته الثامنة ، رأى محبوبته جلاديس تقف وحيدة بجوار وعاء المشروب ، وهى تثرثر بفتور مع واحد من الوصيفين ، ولوح لها بيده بمزيج من الاحساس بالذنب والارتباك . وعندما خرج فى جولته التاسعة كانت قد اختفت عن الانظار ، وخمن باستحسان انها من الممكن أن تكون قد انضمت الى الثلاثى الذى لم يدع الى جولات وخرجت معهن فى نزهة على الاقدام . وحين عاد من أجل الجولة العاشرة والاخيرة فى تلك الامسية ، على أية حال ، لم يكن بالامكان العثور عليها فى أى مكان . أثبتت التساؤلات الحريصة عدم جدواها، واخيرا وجد نفسه مدفوعا مرة أخرى الى أن ينشد مخبأ شجرة الماجنوليا فى الفناء الخلفى . لم يسمع خشخشة أوراق الماجنوليا الجافة ، وهو يطلق رشاشه بكل القوة التى استطاع ان يستجمعها . وبدلا من ذلك صرخ صوت ذكر ، « ماذا بحق الجحيم ! »
أفزعه هذا الى درجة انه دار على عقبيه وكاد يبلل نفسه مرة اخرى حين رفع عجيزته الى الخلف ، وهو يحاول يائسا ان يسد انسياب البول . اظهرت له نظرة فاحصة داخل الظلال بشكل لا يقبل الخطأ يد ذكر تنسحب من اسفل ثوب قرنفلى شبكى . رد الصبى على الصرخة بمثلها ، وقد استبد به عدم التصديق والغضب ، « ماذا بحق الجحيم انت ! » .
نهض مو — كاو واقفا وبنبرات جريحة قال موجها اتهاما ، « لقد بلت على مباشرة ، اللعنة ! » .
اجابه الصبى المروع .
« أنا مسرور لاننى فعلت ذلك ، وآسف أن ذلك هو كل ماكان على ان افعله . ويحسن بك ان تعود الى البيت . »
وحين اختفى مو — كاو مولينز حول الركن ، وهو مدرك لموقفه الذى لا يمكن الدفاع عنه ، مد الصبى يده الى جلاديس التى كانت

الآن جالسة ، « هيا . سوف أصحبك الى ألبيت الان قبل أن ينتهي الحفل وبهذا لا تكوني مضطرة الى رؤية احد . »

انتحبت الفتاة بصوت مجروح وهو يقودها عبر الفناء الجانبي الى سيارته ، « ان مقدمة ثوبي مبتلة كلها . »

قال الصبي والسائق الذي وصل الان الى حد الكمال يمسك بالباب مفتوحا ، « أخبري أمك انك سكبت الشراب عليه . »

قال الصبي باعتزاز ، « الى بيت رئيس عمال المقاطعة ، يابرادلي» وأضاف قائلا بعد لحظة ، « وبأقصى سرعة » . ثم استقر صامتا في مقعده .

وحين اصطحب جلاديس الخجلة الى أعلى الممر ، استدارت عند عتبة البيت ، « أنا آسفة لما حدث . وارجو ألا تكون غاضبا مني جدا . »

تشبث بالكلمة بشعور بالارتياح ، وهو يمسك بها كأنها صديق مألوف . واستغلها في الحال لصالحه .

قال : « غاضب ؟ غاضب ؟ » وعدل نبرة صوته الى نبرة متغطرسة جريحة ، « لست غاضبا ! أنا متألم فقط ! »

استدار على عقبيه ودخل الى جوصلة المقعد الخلفي التي كانت بانتظاره .

وقبل أن يصلا الى حدود المدينة ، كان قد فك كل دبابيس الرسم ، وطوى منشفة الحمام ، وزحف الى المقعد الامامي . قال متفاخرا ، « لقد اديت عملا عظيما ، باويس . ولكن اوقف السيارة في البقعة المسطحة هناك قبل ان اغرق نفسي بولا . »

« أعرف ماتعنيه . انا على وشك أن انفجر ، وانا لم أدانيك في الشراب مثلما فعلت انت . »

وحين وقفا ظهرا لظهر على حافة الحفرة الجانبية ، تكلم ويس من فوق كتفه ، « ماهو شراب الكرز المخفوق على أية حال ، يا سامبو ؟ »

شرع الصبي فجاة في الضحك . عادا الى ركوب السيارة وواصلا الرحلة على طول الطريق الترابي .

« سوف يكلفك اكتشاف ذلك خمسة سنتات ، اثناء حياتك . واذا لم أكن أعرفك جيدا بحيث اعرف انك ستاخذني بالعقد الذي بيننا ، لجعلتك ترد الى دولاراتي الثلاث . فقد كنت تعرف طيلة

الوقت أن السيد بورتر كان يحتفظ لك بتلك الدولارات الخمسة وقد كسبت الليلة اكثر مما كسبت في اسبوع كامل من الحرث للسيد ويتاكر . أنت وغد ماكر لئيم ، هكذا أنت . »

نظر الى ويس وانطلق فى الضحك .

ابتسم ويس ابتسامة عريضة . قال ، « أجل ، من المؤكد اننى كنت اعرف ، وقد تناولت فطائر ومشروبا وكوكاكولا . وعلاوة على هذا دخنت مرتين ولم يكن ذلك حتى فى فترة الاستراحة . وقد تعلمت أشياء كثيرة الليلة ، ياسامبو . »

طوح براسه الى الخلف وشارك في المرح . وبعد ميل هدا فى صمت أنيس . وحين صعدا الى قمة التل الذى يدغدغ البطن بجوار كنيسة القداسة ، جذب الصبى نفسا طويلا مرتعدا .

قال بنبر مشدوهة ، « وقد تعلمت أشياء كثيرة الليلة ، انا أيضا . واظن أننى أعلم الكثير بالنسبة لفتى فى الرابعة عشرة من عمره . واحيانا يخيل الى أننى أعرف اكثر ممـــا اريد . وقد أخبرك به يوما ما . »

انغمس الصبى فى ذلك الصيف فى حياة المزرعة ولم يبذل اية محاولة على الاطلاق لرؤية اصدقائه القدامى الذين كانوا يعيشون فى البلدة . فقد اكتشف من جديد أن ستة أميال من الطريق الترابى كانت تصنع حاجزا فعالا ضد الاتصال الاجتماعى ، وشـــعر بأنه منفصل بحكم الاختلافات فى القيم والاهتمامات . عانق الوحـدة وشعر بارتياح وأمان فى عزلته .

وكان يتساءل من آن لآخر ما اذا كانت جلاديس قد واعدت موـكاو على الاطلاق أو اذا كان ويل ويندا بل احبة ، لكن هذه الافكار كانت تثير ذكريات مؤلمة الى حد أنه كان يتجنبها . وفى الحقيقة ، كـــان الجزء الوحيد من حفل استقبال الطلبة الجدد والطلبة القدامى الذى كان يستعيده بسرور هو تلك الجولة التى قام بها مع فانى كـلايد وميفيس وجيرالدين ، بعد أن جعلته وينونا ينتظر . كان يفكر فى أولئك الفتيات الثلاث كثيرا وقرر انهن كن من طبيعة واحدة فى عديد من الوجوه . وكان يتذكرهن بحزن وغضب وحب ، ويتخيل نفسه يقوم بحلول خيالية لمشكلاتهن .

كان « دستور اتلانتا » حافلا بقصص عن روزفلت . وعن شخص ما المانى أسمه هتلر . كان الجد يتمتم بشكل غامض عن كل من هذين الرجلين ، ويتنبأ ان الشمالى صاحب الكرش الازرق والذى يعانى من شلل الاطفال سوف يخرب البلد وأن ذلك المبوال الصغير صـاحب الشارب كان يتجه نحو حرب اخرى . كان الصبى يقلب هذه القصص ليبحث عن القصص المضحكة .

وقد سمحت له أخته الكبرى ، حين عادت الى البيت من الكلية أن يقرأ « تونى المناوىء » ، وهو كتاب وجده جنسيا بدرجة مروعة . وجد صعوبة فى فهم كيف امكن لفتاة لطيفة مثل أخته أن تقر علانية انها كانت حتى قد قرأت مثل هذا الكتاب ، ناهيك عن التباهى به كأدب تسلية . واخيرا أكد لنفسه انها ربما لم تفهمه كله وأن مشهد ممارسة العادة الجنسية كان اعلى من مستوى أدراكها . ولم يخطر

له مطلقا ان يناقشه معها .
كانت الشقيقتان الصغيرتان تكبران نوعا ما . وكان التعجيل باحداث جلبة بينهما يتطلب مجهودا اكبر من جانبه ، لكن كان الامر مايزال من الممكن احداثه حينما يصبح عصر يوم مطير مملا بالنسبة له . كان يقوم باقتلاع العشب طواعية من جاشية زهور جدته في عصر ايام الآحاد ، يدفعه الحب لا الاضطرار الى فعل هذا كعقاب . وكان مايزال يستمتع بأوقات الصباح الباكر مع أمه ، وهو يجد أن من الاسهل عليه أن يسترخى مع أعلانها المنطوق عن حبها ومع محاولاتها المقنعة بشكل واه نحو توجيهه عندما كان يتأكد تماما انه لم يكن هناك شهود . كانت بقرة أخرى قد اشتد عودها ، وكانت عجلة أعطيت له عندما كانت عجلة صغيرة . وقد وصل هذا بعدد الابقار التى كان يقوم بحلبها الى ثلاث واحدث هذا فائضا من الحليب والزبد فى خزانة طعام العائلة . وحصلت الخنازير على الكثير من اللبن المخضوض فى ذلك الصيف ، لكن امه كانت تبيع الزبد الاضافى وتعطى النقود للصبى .
كان يرى اباه فى اغلب الاحيان في أيام الاحد فقط لكنه ظل محافظا على التراسل معه بشكل متقطع عن المحاصيل والمهمات المتغيرة التى كانت توكل اليه فى المزرعة . وقد سرب فى تبغ الامير البرت الخاص بفريمان سحلية حقل مخططة ، وعندما دفع ذلك الرجل باصبعه فى عمق العلبة ليفكك التبغ وليعد سيجارة ، تفضلت السحلية بالجرى أعلى رسغه وذراعه لتختفي فى الفجوة التى تقع بين الكتفين السوداوين وراح فريمان يحاول باهتياج ، وهو يخور بذعر لا يمكن التحكم فيه ، ان يخلع ملابسه وهو يدور ويدور ويضرب ظهره ، والصبى وابناء دارنل يضحكون بصخب .
كان الصبى يبتهج بخوف كل واحد فى المزرعة من الثعابين ويكبت تقززه هو منها بالقدر الذى يكفى لان يأسر واحدا منها من آن لآخر بعصا تسطح رأسه ــ كان يمسك بالزاحف المتلوى من خلف فكيه بقبضة محكمة ، ويجد ان مما يبعث على السرور أن يمشى بخطوات واسعة خلال افنية بيوت المستأجرين وأن يجعل . كل واحد ، بغض النظر عن عمره أو جنسه ، يعدو هاربا الى الامان الذى يجده فى الشرفات المرتفعة . وقد كان هذا تعويضا ، الى حد ما ، عن قلة خبرته فى مباريات البيسبول التى كانت تقام فى مسرعى الابقار ،

ويضاعف من مكانته بين أصدقائه الزنوج . كانت التعليقات التي يسمعها تتراوح مابين « أنه مجنون » الي « أن الشيطان يسكنه » الي « انه لا يخاف من شيء » وكان يستمتع بها جميعا .

وفي عصر أحد الايام خلال موسم الراحة ، بينما كان الصبي ممددا أسفل النافذة التي تطل على الشرفة الامامية ، استرق السمع الى حديث بين خالاته اللاتي كن في زيارة لهم . كان ثلاثتهن اخوات امه وقد جئن من بلدات مختلفة في شمال جورجيا لقضاء أسبوع في الريف مع فيرا . وفي حين كن يجلسن محشورات في مقاعد على الشرفة وقد غطين بدانتهن بالمساحيق ، كن يتارجحن ويهوين على انفسهن . وبحب متساهل ، راح الصبي يصغي نصف اصغاء ، وهن يجترون النميمة العائلية والاخبار اللاتي كن قد هضمنها في أوائل الاسبوع . وفجأة سمع الاخت الكبرى ، التي كان زوجها قد هجرها منذ عشر سنوات الى امرأة أخرى ، تقول ، « يالفيرا المسكينة ! سمعت أن سيارته وصلت قبل الثالثة صباحا بقليل . » وواصل المقعد صريره وأرجحته .

اجابت الاخت الصغرى ، التي كانت تعيش في ذلك الوقت مع زوجها الثالث في شقة من حجرة واحدة ، « أعلم ، وكنت أظن انه لن يتمكن من الوصول الى الطابق العلوي . ولابد أنه أرتد عن حاجز الدرج ثلاث مرات . يالفيرا المسكينة . »

واستمر حفيف مراوح البيت الجنائزي بين صرير المقاعد وارجحتها

اضافت الاخت الصغرى ، التي كانت ماتزال قادرة على البكاء في أية لحظة لان والد ابنائها السبعة قد هجرها ثلاث مرات من ثلاث سنوات مضت « عندما ركبت الحافلة منذ أيام ، كان لدى واحدة من أولئك النساء الجرأة على أن تأتي الى أعلى الرصيف وتتحدث الى بالفعل . يالفيرا المسكينة . »

كانت الولاءات المتضاربة تغلي في غضب معاصر ، فنهض الصبي ودفع جذعه النحيف خلال النافذة المفتوحة . وقال بصوت حازم ، ونظارته الصغيرة ذات الاطار الذهبي ملتوية على وجهه ، « انها الوحيدة من بينكن أيتها الاخوات التي ماتزال تعيش مع نفس الرجل الذي بدأت معه . ولعلها تعرف شيئا لاتعرفنه أنتن جميعا . ويبدو لي كما لو كان يحسن بكن أن تفضضن نادي « فيرا المسكينة » ، هذا وأن تقضين وقتكن تشعرن بالاسى لاحداكن الاخرى . »

وحين تراجع الى وحدة مخزن ألتبن ، تعجب لبجاحته وعدم احترامه وفكر في متعة تلطيف الالم في نفسه عن طريق انزال الالم بالاخرين .

كان الصيف في مجمله صيفا غير حافل ، وعندما وصل الى نهايته دخل بلهفة مبني المدرسة ليبدأ سنة التخرج . كانت كل آثار عدم الثقة في السنين السابقة قد تبخرت . كان التسعة والثلاثون طالبا في الصف الحادي عشر معروفين بالنسبة له مثل اشقاء ، وكانوا يؤلفون الصف النهائي . كان من الواضح أن تلك المجموعة تدير المدرسة . كان المرء يستطيع أن يدرك هذا من خلال الطريقة التي كانوا يسيرون بها في البهو ، ضاحكين واثقين من انفسهم ولما كانوا سعداء بأنهم قد توصلوا الى هذه الذروة في مسيرة الحياة فقد كانوا غافلين بشكل لطيف عن طلبة الصفوف الادنى الذين كانوا يبتعدون عن طريقهم باحترام . كان طلبة الصف النهائي هم صفوة المجتمع المدرسي ، وزبدته ، وارستقراطيته . كان هذا عامهم .

وكان ألصبي في وسطهم تماما . وقد نجح في أن يقنع نفسه انه كان شابا ناضجا ، وهو ينتظر عيد ميلاده الخامس عشر في نهاية الشهر ، ويزن تسعين رطلا ويبلغ طوله ثمان وخمسين بوصة بحكم الثلمة التي كان قد اقتطعها على باب المطبخ . لم يكن النمو الجثماني والوسامة بالتأكيد في أهمية القدرة العقلية والحنكة الاجتماعية . بل انه من هذه القمة انضم الى نادي غداء شجرة الارز بقدر معين من الثقة .

كان ينصت وهو يتسلى بتساهل حين كان طلبة الصف قبل النهائي يمتعون طلبة الصف الاول وطلبة الصف الثاني بأوصاف جنسية تصويرية ، وهم ينشرون نفس الخرافات التي ورثوها الى الابد . كان يتظاهر بلا مبالاته بالوابل المتكرر من الكلمات البذيئة التي يتكلفها بعض الاولاد الخشنين .

كان قد رتب بسهولة خمس مواد هذا العام بأن حدد دراسة الزراعة المهنية . كان هذا مقررا جديدا تماما يقوم بتدريسه المدير الجديد تماما . كان الرجل الجديد مختلفا عن السيد جيل الى أبعد حد . كان اشقر الشعر ، وله فك بارز وحاجبان بيضتهما الشمس ، وكان نابضا بالحيوية مثل فولاذ زنبركي . ومنذ اليوم المدرسي الاول تماما ، سادت حالة اثارة في وسط مجموعة الطلبة والادارة لم تكن موجودة

من قبل ، شعور بالهدف والالتزام ، يكاد يكون احساسا كهربائيـا بالاتجاه . كان بامكان هذا الرجل ان يجعل أقل طالب يشعر بأهميته وأن يثير في أشد مدرس احساسا باللامبالاة اهتماما بالتفوق . وأمام اصراره العاتي ان ينال كل طالب تعليما الى أقصى مدة لقدرته ، تحول التكاسل الى داب واللامبالاة الى بهجة وامل .

ومنذ البداية ، أعطى الصبي المدير انطباعا بقدرته الاكاديميـة وفي المقابل أفهم ذلك الرجل الصبي أن أيا من نزواته او مناوراته لم تكن تمر دون أن تلحظ وانه لم يكن ينسب البراءة آليا الى صبي لمجرد أنه كان ضئيل الحجم ، ويضع نظارات مستديرة ، وله وجه شـبه بائس ، وعينان واسعتان متوسلتان . كان الصبي يراه من أحكم وأطيب الاشخاص الذين عرفهم على الاطلاق وكان على استعداد أن يعمل حتى يصيبه الاعياء من أجل خاطره .

كان مجيء المدير كفيلا بأن يجعل السنة الاخيرة للصبي الطف سنة ، ولكن كان هناك أيضا مدرسان أثرا في حياته خلال سنته النهـائية الخرافية . وقد واجه الاثنان تحدي المدير بالتفوق بسهولة أظهرت كياستهما . كان أحدهما الآنسة بيري ، خريجة حديثة من بيسي تيفت ، وهي ذات الكلية التي كانت الاخت الكبرى مقيدة فيها . ومن النشرة السنوية الخاصة بأخته . كان الصبي قد تعلم شعار الكلية : « حتى تكون بناتنا أحجار الزاوية ، مصقولات على غرار شـبه قصر . » وقد أضفى هذا الادراك هالة غريبة مهذبة حول الآنسـة بيري في نفس اللحظة التي التقى فيها بها .

كان لها أنف معقد الى درجة أنه كان يبدو منحوتا مكسوا بصفائح . كانت أرنبته رقيقة نحيلة مثل بسكويتة هشة أشبه بعظمة صـدر عصفور . وكان حاجز الانف عند نهايته مقوسا للغاية يجتذب معـه شفتها العليا لتبدو قصيرة نوعا ما . وكانت فتحتا الانف مقوستين الى أعلى وبعمق ، تضفيان على العضو كله مظهرا مضغوطا ،ارستقراطيا . كان الصبي يرى انها كانت تجعل بازيل راثبـون في « قصـة مدينتين » يبدو أشبه بعامل محراث .

كانت الجبهة عريضة ، تبرز الى الامام أسفل شعرها الاشقر الرائع بما يكفي لان يدل على ذكاء مبهج . وكانت العينان زرقاوين ، ونظرتها هادئة ، توحي بأن وعيها بذاتها وثقتها بنفسها كانا متناغمين بشـكل هادىء . كانت تلك العينان تستطيعان ان تلمعا اعترافا بطالب ثم تتدفقا بضحكة قبل ان تتحرك الشفتان والصوت .

لم تكن مكتئبة ابدا ، غاضبة ابداً ، وكانت حصصها واحات من البهجة . كان النظام حاذقا ، حيث انها كانت قادرة على ان تحقق عن طريق رفع حاجب أكثر مما تستطيعه معظم النساء انجازه من خلال الصراخ والتوبيخ . كان سوء السلوك في حجرة الآنسة بيرى غريبا الى حد أن اشد الطلبة فجاجة كان يتجنبه . كانت تدرس اللغة الانجليزية بابتهاج ، وكأنهــا بيئتها . هنا كانت تتالق وتلمع . كانت تجعل من القواعد والانشاء أشياء مثيرة ، وتتناول الادب بحيــوية ونشاط الى درجة أن اشد الطلبة لا مبالاة كانوا يجتذبون الى داخل بؤرة حماستها . وكانت الآنسة بيرى تقوم بتدريس اللغة الفرنســية بشعور بالواجب فقط ، ولما لم يكن احد يستطيع أن يتخرج دون ان ينجح فيهما ، كان الطلبة يدرسونها بشــعور بالواجب ولكنهم يعتبرونه واجبا مرهقا ، وهو موقف نقلوه فيما بعد الى مقاطعة باسرها .

وسرعان ما أدرك الصبي أنه كان يقع مرة اخرى في الحب بشكل يتعذر التحكم فيه . استعاد ذكرى ماريثيا مارسيتجيل وجلاديس ووكر والآنسة دتكان واكد لنفسه انه كان هذه المرة يخضع لعاطفة انبل وأكثر نضجا بكثير من أي حب خبره فيما قبل . تقبل باستسلام مبتهج وباحساس بالامان معرفته أنه كان حبا يائسا . اقســم أن يقدم لها موضوعات مكتملة ، وأن يستظهر القصائد الشعرية ، بل حتي من الافعال الفرنسية الشاذة بنيات غير معلنة عن اخلاصه .

كان استحسانها له بأية طريقة مكافاة سامية . ابتسم بلطف حين أقر واحد من اكثر اعضاء قبيلة ويتمور وضاعة ، « لقد أخبرت أمي ان الآنسة بيرى هي أفضل مدرس للغة الانجليزية رأيتها في حياتي . فانك اذا لم تفعل شيئا سوى الجلوس في حصتها ، فانها ســوف تعلمك شيئا . »

كان السيد دورسي هو المدرس الآخر الذى كان لذكائه وقــدرته اثر دائم على الصبي . كان عمره تسعة عشر عندما وقع عقد التدريس في مدرسة بروتنتون وأرسله بالبريد ، لكنه كان يتمتع بثقــة في الذات لرجل في ضعف عمره . ومنه بدأ الصبي يتعلم لاول مرة فكرة أن بلدته كانت متميزة وليست مجرد نسخة أخرى من كل البلدات عبر امريكا .

وقد قص السيد دورسي بمرح قصة وصوله الى بروتنتون في قطار

المساء لاستلام اول وظيفة له . كان قد افترض ان الحشد من المواطنين المحليين الذين كانوا متجمعين على طول خط السكة الحديدية كانوا لجنة ترحيب بالمدرسين الجدد في البلدة . وقد تعلم فيما بعد ، وهو يضحك من نفسه ، ان هذه الهجرة اليومية الى مخزن القطارات كانت شعيرة اجتماعية تاتي في المرتبة الثانية فقط بعد الذهاب الى الكنيسة في صباح الاحد . ومنذ ذلك اليوم كانت هناك قصة غرامية متبادلة بين السيد دورسي والمجتمع . كان كلاهما يجد متعة في اكتشاف السمات الشخصية لاحدهما الاخر ، وكل منهما ينمي طيلة الوقت ولاء لا يتزعزع واعجابا لا يحتمل اى تقييم دنيء أو حقير للآخر . كان بامكان الرجل ان يفعل أى شيء . كان كل ماحوله سريعا — حركاته كلامه ، ادراكه ، وفوق كل شيء ذكاؤه . وكان يتمتع بعدم احترام وقح لما كان الناس يفترضون انه قدرهم . وكانت عيناه الخضراوان المائلتان تتألقان بخبث وهو يهتف بفزع ساخر ، « هل تظن حقا انك لا تستطيع أن تفعل ذلك ؟ حسنا ، مع موقفك هذا ، أعتقد انك لن تستطيع . وهذا مؤسف ، ايضا — فقد كان بامكانك أن تكون جيدا فيه . »

كان يلهم عددا أكبر من صبية المزارع أن يصلوا الى تحقيق انجازات اكثر من أي واحد قبله أو بعده . وكان ينبه الاعتزاز بالذات مما دفع بالاكتاف المتهدلة الى الخلف ورفع الرءوس المتدلية . وكانت طاقته غير المحدودة واستمتاعه بكل ماكان يفعله معديا بقدر ما كانت ضحكته . كانت حصته في التاريخ الامريكي أكثر الحصص شعبية . كان يعرض الآباء المؤسسين كأنهم أصدقاء شخصيون والدستور كانه وثيقة حية ، أو المستودع المبجل لكل ماهو رائع ونبيل في الحضارة الغربية .

اعلن السيد دورسي ذات يوم ، « ان مانحتاجه هو انتخاب حقيقي في الصف . أنتم ياشباب تتعاملون مع أنصار الاصلاح وأنصار المحافظة على انهم شيء ميت وجاف . انهم لم يكونوا كذلك فقد كانوا يؤثرون في حياة الناخبين . وأنتم ياطلبة السنة النهائية بحاجة الى تكوين حزبين سياسيين وترشيح مرشحين لهم برامج حقيقية تؤيدونها وسوف التقي بالمدير والانسة بيري بهذا الخصوص . ان معظم انتخابات الفصول المدرسية ليست سوى مباراة في الشعبية ، لكنها يجب ان تقوم على اساس ما يستطيع المرشح ان يسهم به لا على أساس

كم تحبونه . »

رفع الصبي يده ، وهو يخفي اثارته الفورية . « هل تعني اننا يجب ان يكون لنا حملة سياسية ؟ » .

تدفقت افكار دورسي ، « من المؤكد انني اعني هذا . حددوا تاريخ الانتخاب ، رشحوا قوائم المسئولين ، اعقدوا مناظرات والقوا خطبا حول قضايا ، وأثيروا اهتماما حقيقيا بالسياسة والعملية الديموقراطية » .

ارخى الصبي عينيه ليخفي الاثارة التي كانت تبدو فيهما . وتجاسر فقال : « ان هذا يبدو كما لو كان يتضمن عملا كثيرا ، أعني اذا عمل بالطريقة الصحيحة . ويبدو انه ينبغي منح نقط اضافية خارج المنهج الدراسي لكل مسئولية . »

« اوه ! انا متفق معك ! سوف أتكلم مع المدير بهذا الشأن ، أيضا . ابق بعد الحصة بضع دقائق ودعنا نتحدث في هذا . »

« والآن ، اذن » بدأ بعد قليل ، « ما الذي يهمك في هذا ؟ انني اقدر رأيك وأريد أن أتعلم ماتفكر فيه . »

قال الصبي ، « اعتقد انها فكرة جيدة ، واعتقد انك على حق في اثارة الاهتمام بميكانيكيات الديموقراطية ، واعتقد أن هناك قضية جاهزة يستطيع شخص ما ان يتبناها وأن ينتخب . » نظر في العينين الخضراوين النفاذتين وللمراة الاولى منذ سنوات أسلم نفسه لصراحة كاملة . واندفع يقول بعفوية ، « وعلاوة على ذلك ، فانني اود ان أكون رئيس الصف . فانا لم انتخب قط لاي شيء . والشيء الاساسي ، رغم هذا ، ياسيد دورسي ، هو انني أريد أن اتخرج بامتياز ، وأنا محتاج الى كل النقط الاضافية التي أستطيع الحصول عليها . هل تظن أن هذا انانية مبالغ فيها أو غرور ؟ »ارتجف قليلا كما لو كان عريانا . شعر بهذا .

تألقت العينان الخضراوان لكنهما لم تسخرا . « أوه ، كلا . أظن ان ما أنت مبتلى به هو الطموح ، واعتقد أن هذا رائع . وما كانت هذه البلد لتبقى على قيد الحياة بدونه . ما القضية التي كنت تقول انك سترشح نفسك لها ؟ »

ومدعما باستحسانه ، شد الصبي قامته وشرع يتكلم بصوت مرتجف ، « حسنا ، الامر هو أن هناك مجرد حفنة من ابناء البلدة بالمقارنة الى عدد الصبية الذين يجيئون من الريف ، ومع ذلك فان

ابناء البلدة قد اداروا الاشياء دائما بالطريقة التى يريدون . والامر السيء للغاية في هذا هو انهم يتصرفون كما لو كانوا افضل من اى واحد آخر وأن حقهم المقدس أن يترأسوا كل شيء فى الصف . وهم يعطون الانطباع أنه اذا كان شخص ما من الريف ، فانه مجرد شخص جاهل لا يستحق الالتفات اليه . وبعض أولاد البلدة يتسمون بالصلف تماما ، وخاصة تجاه الفتيات الريفيات . »

وبدون حذر ، أخبر السيد دورسى حتى عن الحظ من قدر وينونا ماكجرو على يدى جيمس هيرمان فى العام السابق . واخيرا قال ، « ولذا ، الا ترى ، هناك على الاكثر لا اكثر من اربعة عشر صوتا يمكن لبطاقة المدينة ان تحصل عليها ، ولو أن شخصا ما وجد كل أبناء الريف معا فهناك كتلة متماسكة من خمسة وعشرين صوتا هناك . وانا اعتقد أن بامكانى أن افعل ذلك . »

« أوه ، وانا أيضا اعتقد ذلك . لكننى أرى أين يمكن أن تكون هذه حملة ممزقة . سوف اتحدث مع المدير بهذا الشأن . لقد كنت امينا معى ، وفيما بيننا ، وساكون نفس الشيء معك . » وصمت . « على الرغم من اننى بالتأكيد لن اكون فى وضع يسمح لى بالانحياز الى جانب الا اننى اعتقد أن هذا يجب عمله . أتمنى لك حظا وفيرا . »

مد يده وصافحه . كان الصبى مبتهجا الى درجة أنه سار الى البيت دون أدنى احساس بالظلم لان السيارة فاتته . فقد اخبر السيد دورسى بما كان يشعر به بالضبط وماذا كانت دوافعه بالضبط بدون أن يحاول أن يبدو نبيلا ، ولم يبد على ذلك الرجل أنه يحبه فحسب لكنه قد وافق على انشطته بالفعل . تحير لحظة فى تفسير الفرق بين الطموح والجشع ، واخيرا هز كتفيه ، وخاطب نفسه بصوت عال على الطريق الزراعى المهجور ، « من تظن نفسك ؟ اذا كنت تبدو على مايرام بالنسبة للسيد دورسى ، فانك سخيف جدا فى قلقك بشأن ماسوف يقوله يسوع ؟ »

كان قد نما فى نفسه حالة هائلة من عبادة البطولة . وفى اليوم التالى بحث عنه معبوده الذى عثر عليه حديثا .

قال يطلع الصبى ، « لقد تكلمت مع المدير عصر الامس . وقد وافق على مشروع الانتخاب ، وسوف تعلنه مدرسة قاعة الدرس هذا الصباح . وقد القيت نظرة ايضا على السجلات ، ولم يكن لدى وقت أن اجمع كل شيء بدقة ، لكننى اعتقد انك فى طليعة المرشحين لالقاء

خطبة الوداع . وانا اعلم ، بالطبع ، انك تريد ان تحصل على اكبر عدد ممكن من النقط ، لكنني اعتقد أن هذا في متناول يدك . »
اعتصر كتف الصبي ومضى بسرعة الى أسفل البهو .
وفي قاعة الدرس اطلعت الآنسة بيري الجميلة الصف على أنها قابلت المدير ومدرس التاريخ . وحددت خطوط عملية الترشيح ، واعلنت عن اسبوع واحد للحملة الانتخابية يصل الى ذروته باقتراع سرى ، ثم اختتمت قولها ، « وقد قرر المدير ، نظرا للاهمية الجديدة والمسئوليات المتزامنة مع مسئوليات الصف النهائى هذه ، ان تمنح نقط خارج المقرر الدراسى ، عشر للرئيس ، وخمس لنائب الرئيس ، وثلاثة لامين السر ، ونقطتان لامين الصندوق .
لم يستطع الصبي أن يصدق اذنيه . كان رئيس الصف يستحق نفس العدد من النقط التى يمنحها الفوز فى مناسبة ادبية فى المقاطعة . ملأه هذا باصرار قوى على الفوز الى درجة ان اصبحت حملته أمرا لا يقاوم . ومستفيدا من ثلاث سنوات من الحكم المتعالى والمشاعر الجريحة ، راح يبرر قوة الوحدة السياسية وبذل وعودا بليغة عن تعيينات اللجنة والسياسات الرئاسية .
كسبت بطاقته الانتخاب بفوز ساحق بنسبة اثنين الى واحد ، باشتراك مائة فى المائة من الناخبين . وفى الحال القى خطاب قبول متواضع وتلا أسماء اللجان ، التى كانت كل واحدة منها تتالف من طالب واحد من البلدة وأربعة طلاب من الارياف احسن اختيارهم .
وقد نصح معظمهم بصورة شخصية بأن رئيس اللجنة كان لا يستطيع أن يصوت الا فى حالة وجود تعادل فى الاصوات . ونتيجة لهذا انتهت كل لجنة بطالب من البلدة رئيسا واتفاق أجماعى قياسى لمدة عام كامل . لم يحدث أن كان هناك صف يتمتع بروح تماسك أعظم ولم يحدث أن وضحت دروس الديموقراطية والسياسة العملية بشكل اكثر حدة .
وبعد بضعة أيام من الانتخاب ، استدعته الآنسة بيرى جانبا .
« بورتر ، نحن بحاجة الى متهجى جيد ليمثل مدرستنا فى معرض الولاية . سوف تكون هناك مسابقة محلية فى خلال أسبوعين ، واريدك أن تشترك . »
اعترض قائلا ، « أوه ، يا ألهى ، يا آنسة بيرى ، تعلمين انتى مثقل بالاعباء . ان وظيفة الرئيس هذه اكثر مما كنت اظنها ستكون ، وانا

ادرس خمس مواد . ولا ادري ان كان ينبغي ان اضيف اى شيء آخر أم لا . »

هزت كتفيها ، « حسنا ، كما ترى . فكرت في ان اذكر الامر لك فقط . انك تحصل على تقديرات ا في كل المواد ، لكنك تعرف ماتريد أن تفعله . لقد تكلم المدير معى بهذا الشأن وقال انه سيمنح خمس نقط خارج المقرر لهذا العام . »

عمل بدأب لمدة اسبوعين وحمل لواء الفوز في تلك المسابقة .

أوقفه المدير ذات يوم بعد حصة زراعة كانت قد كرست لفكرة جديدة بشكل مذهل عن زراعة البرسيم القرمزى كمحصول يصون الارض ليعيد الخصوبة الى الارض الزراعية التى حصدت خطوط محصولها بحيث أصبحت نحيلة مثل الاوراق الذابلة .

قال ، « بورتر ، أريد أن أراك دقيقة . نحن بحاجة الى تنظيم ناد لزراع امريكا في المستقبل ، واريدك أن تدرس هذه المادة وان تعرضها على صف الزراعة . سوف يكون نادى خدمة حقيقى له مشروعات عمل طيلة العام . وقد رأيت أن من يصل الى الرئاســة يجب أن يحصل على خمس نقط خارج المقرر . هل تود أن تفعل ذلك من أجلى ؟ »

« أوه ، أجل ، ياسيدى ! يسرنى أن أفعل أى شيء أستطيعه لاساعدك . لقد كان صف الزراعة اضافة عظيمة لمدرستنا ــ فخسارج أساليب الزراعة الحديثة التى نتعلمها ، قد قام حقا بتوحيد كل الطلبة الريفيين معا . ويسرنى أن أتكلم اليهم بشأن النادى . »

وبعد يومين من المناقشة المفعمة بالنشاط تحت شجرة الارز وعرض الامر على الصف عرضا رسميا واحدا ، تكون أول فصل محلى من زراع امريكا في المستقبل . انتخب الصبى رئيسا له بتصفيق اجماعى وتقبل الشرف الجديد بكياسة انكار الذات التى كانت تتكامل لديه من خلال التكرار .

بادره السيد دورسى بالكلام في اليوم التالى ، « تهانىء على نادى زراع امريكا في المستقبل . ان المدير يشعر حقا بالاثارة حول هــذا الموضوع . وقد كلمنى لفترة بالامس ، وكان متأثرا بالطريقة التى عرضته بها والتى نظمته بها . وهو يقول ان لديك قدرة حقيقية . وقد اخبرته اننى كنت أعرف طيلة الوقت . ومن المؤكد اننى فخور بك . »

ومنتشيا بهذا الوسام من مثل هذا الشخص الاستثنائى ، ارتبك الصبى واحمر وجهه خجلا..

قال السيد دورسى « هل تعرف ما أتمنى أن تفعله ؟ أتمنى لو أنك انضممت الى فريق كرة السلة . انهم يقدمون الطلبات له اليــوم ويشرعون فى التدريب فى الاسبوع المقبل . »

عوى الصبى ، « هه ؟ كرة السلة ؟ لا استطيع أن العب كـرة سلة ! »

« لا أحد يستطيع قبل أن يتعلم الان . لهذا يتدربون . كان لدى الاغريق مثل أعلى فى أن من يجمع بين البحاثة والرياضى يكون الرجل الكامل . وانت لديك العقل ، لكننى اشعر كما لو كانت كل محاولاتك تميل باتجاه الجانب الاكاديمى ، وسوف تستمتع حقا بالاشتراك فى رياضة . وعلاوة على ذلك ، فانك تحصل على خمس نقط لمجـرد اشتراكك فى كرة السلة ، طالما انك لا يفوتك التدريب بالقدر الذى يكفى لطردك . هل لديك سبب لعدم المحاولة ؟ »

قال الصبى مدافعا ، « ياالهى ، ياسيد دورسى . اننى بالفعـل اكثر انشغالا عما كنت . وعلاوة على ذلك ، لدى ثلاث بقرات أحلبهـا وعلى أن أذهب الى البيت فى سيارة عمى وهم يتدربون بعد المدرسة . لن يكون لدى الوقت . »

اعترض البطل ، « لا ، سوف يغير المدير ذلك هذا العام . سوف يبدأون فى التدريب فى الحصة الاخيرة وينتهون بحيث يلحقــون بالحافلة على الاقل . واذا فاتك عمك من آن لآخر ، فبامكانك أن تركب الحافلة الى مسافة ميلين من بيتك وتسير بقية الطريق وقد حلبت الكثير من الابقار بعد حلول الظلام . ليس ذلك عائقا حقيقيا . »

ومتخليا عن الاعذار ، واجه الصبى السيد دورسى بصراحة . قال بشكل عفوى ، « السبب الحقيقى هو أننى صغير جداً . وكل أولئك الاولاد ضعفى فى الحجم . » حول عينيه وحاول أن يبعد الارتجاف عن صوته وهو يسر اليه ، « أخشى أن يسخروا منى . »

طوح السيد دورسى رأسه الى الخلف وانطلق يضحك تلقائيا وهو يضرب مابين كتفى الصبى . قال ، « طبعا سوف يسخرون منـك . وسوف يشاكسونك عندما ترتكب اخطاء غبية فى الملعب ، ولكن ذلك لا يعنى أنهم لا يحبونك ، وكل صبى فى المجموعة الاولى صديق لك بالفعل .

« أعرف شعورك بشأن حجمك . فقد كنت قزما حقيقيا عندما كنت في المدرسة الثانوية ، وكان هذا يزعجنى . ولكن ، صدقنى ، سوف تكبر ، وذات يوم سوف تضحك لانك كنت قلقـا بهـذا الخصوص » . صمت ، وهو يبدو مثل بك ، ثم أضاف بمرح ، « مهم أن تتعلم التنسيق فى رياضة ما فى وقت مبكر ، وعندئذ تكون أحسن عندما يصبح حجمك ملائما لها . لقـد اعتاد جـدى أن يقول ، « ليس المهم الكلب فى القتـال ، ولكن المهم روح القتال فى الكلب . »

« يا الهى ، ياسيد دورسى . لا استطيع ان أصدق انك تقول لى ذلك ، فقد سمعت جدى نفسه يقول بالضبط نفس الشيء . اراهن انه قالها مائة مرة ، لكننى كنت أظن أنه كـان الوحيد الذى قالهـا على الإطلاق . أجل ، سوف انضم الى كرة السلة ! » وتردد لحظة ، وسأله « كم كان وزنك حين كنت فى الصف النهـائى فى المدرسة الثانوية ؟ » .

أصاب السيد دورسى قليل من الغموض ، « أوه ، لقد نسيت . ربما كنت قد كبرت قبل ذلك بقليل ، لكن من المؤكد أننى أذكر أننى كنت أشعر بالضبط بنفس شعورك . أنا بالتأكيد فاهم ، وانا اقول الك لا تقلق . »

ولشعوره بعدم الارتياح لانه سأل مثل هذا السؤال الشخصى ، غادر الصبى بسرعة حتى يتمكن من التطوع فى فريق كرة السـلة . وحين استعاد الحديث ، فيما بعد قال لنفسه ، وددت لو كـانت لدى الجراة أن أسأله كم استغرق عضوه حتى يكبر . ثم احمـر وجهه لطيشه .

لم يكن التعود على روتين التدريب على كرة السلة أمرا سهلا ، لكن عمل به باصرار . كان ارتداء اللبس مذلا . فقد كانت ساقاه اللتان لم يكن بهما شعر تبرزان من سرواله القصير كأنهما عصاتا مكنستين ، وقد أبدى أحد طلبة الصف قبل النهائى كبير الحجم بدرجة ملحوظة بأن ركبتيه كانتا تبدوان مثل بصلتين فى جوارب بيضاء . كان بامكانه أن يقذف كرة السلة على امتداد نصف مسافة الملعب فقط ، وهـو يستجمع كل قوته ، فى حين كان الصبية الاكبر حجما يستطيعون ان يقذفوها مثل طلقة مدفع من طرف الى الطرف الآخر . وقد تدخـل بجراة ليمسك بواحدة من تلك التمريرات المندفعة ودفع عشرين ياردة

الى الخلف ، بينما انفجر مبنى الالعاب الرياضية في الضحك . وبعد هذا ، كان يتحاشى التمريرات الطويلة السريعة ويركز على تعلم توجيه الكرة بترتيبات وان يحصل على الكرات المرتدة .

اما وقد صمم على لعب كرة السلة ، فقد تحمل عذاب عدم كفاءته وكلمات الاستهزاء التي كان الاولاد الآخرون يتفضلون عليه بها . وفي أثناء هذه العملية حظى اخيرا لا باحتمالهم له فقط ولكن بتعاطفهم ايضا . كانوا يشيحون بوجوههم بلطف حين كان يخلع ملابسه، ولم يعلق احد قط على الحقيقة المهينة وهى انه لم يكن حتى تفوح منه رائحة حين يعرق . اما وقد التزم وعقد عزمه ، فانه لم يكن ليقر انه كان يكرهها . فاذا كان السيد دورسي يريده أن يفعل شيئا ، فقد كان من دواعي سروره انه لم يطلب منه اكثر من هذا .

وعندما قامت الآنسة بيرى بتوزيع بطاقات التقارير ، فانها احتفظت ببطاقته حتى اللحظة الاخيرة . « بورتر ، اريد ان اهنئك . فهذا هو الشهر الثاني الذى تحصل فيه على تقدير ا فى كل المواد .»وصمتت. « بما فى ذلك السلوك . فقد القيت نظرة على سجلك ، وهذه هى المرة الاولى فى تدرجك فى المدرسة الثانوية التى تحقق ذلك فيها . وانا فخورة بك . »

اجاب الصبى ، « اجل ياسيدتى ، أشكرك . لقد كنت اعمل بجد . »

كان يشعر بالخزى لانها علمت بتقديرات « ر » التى كان قد حصل عليها عندما كان صغيرا وغير ناضج . وقد لاحظ انه عن طريق امالة راسه كان يستطيع ان يرى الضوء يتالق من خلال انفها . ومن المؤكد انه لم يكن فى التاريخ شخص اكثر ابهارا .

واصلت قولها ، « اردت ان اخبرك عن تغيير فى قواعد اجتماع المنطقة هذا العام ، فبدلا من جعل المتسابقين يقومون بكتابة موضوعاتهم فورا ، سيقوم المسئولون بارسال قائمة بالموضوعات الى كل مدرسة . وسوف توزع هذه الموضوعات قبل الموعد باسبوعين على الطلبة الذين يعنيهم هذا ، ثم يطلب منهم ان يكتبوا مقالا فى حضور راعى البرنامج المحلى والمقال الذى يفوز على المستوى المحلى سوف يرسل الى اجتماع المنطقة ويقيم هناك ، بدلا من استقدام الطلبة ليكتبوا مقالا مختلفا تماما . وقد رايت ان اخبرك بهذا لاننى أعلم انك قد حصلت على خمس عشرة نقطة كل عام عن طريق فوزك باجتماع

المنطقة للعامين الاخيرين . انت لا تعلم كم انه فخورة بك . »
أجاب ، « أجل ياسيدتى ، أشكرك . سوف أبذل قصارى جهدى . » ونظر اليها برقة واقسم الا يفعل شيئا قط يخيب أملها .

وبعد ذلك ببضعة أيام استدعاه المدير جانبا واخبره أن نادى زراع أمريكا فى المستقبل كان سيرعى مسابقة فى الخطابة يقوم على أساس خطب مبتكرة حول جانب مامن الزراعة . وتطوع بابلاغه أنه كان قد قرر أن يمنح نقطا خارج المقرر لهذه المناسبة على نفس الاساس الذى يقوم عليه الاجتماع الادبى .

واكد للصبى أنه كان فخورا به وانه كان متأكدا أنه سيؤدى عملا طيبا . وعده الصبى أن يحاول واقسم فى سره أن يكون جديرا باعجاب هذا الرجل . وفى تلك الليلة بينما كان فى الحظيرة ، ورأسه مضغوطة الى جنب بقرة متعاونة فى ضوء مصباح ، تفكر فى قدره .

قال للبقرة ، « حسنا ، كنت اظن أن هذه السنة النهائية ستكون من المؤكد نسيما ، وانني سأمر بها متسكعا ، ومبارك انا اذا لم أكن أعمل بجد أكبر مما فعلت فى حياتى . فمن المؤكد أن لدى ثلاثة مدرسين جيدين ، وأنت لا تستطيعين فى حياتى أن تخذلى مدرسا جيدا . »

انتقل الى البقرة الثالثة وشرع يغسل ضرعها . قال لها ، « هل تعلمين ، لقد مررت خلال المدرسة الثانوية كلها ولم يذكر لى أحد قط من قبل نقطا خارج المقرر ، والآن ، فجأة ، كلما التفت أجد مدرسا ما يخبرنى كم نقطة تستطيعين الحصول عليها من أجل هذا وكم نقطة تستطيعين الحصول عليها من أجل ذلك . والطريقة التى أرى الامر بها هو أنهم يمرغون انفى فى خمس واربعين نقطة اضافية ، رغم أن عيد الميلاد لم يحن موعده بعد . هذا أكثر ماسمعت قط ان شخصا فاز به فى عام واحد ، وانا واثق انني سأكمل عدد فريق المناظرات مرة اخرى ، ايضا . أسكبى هناك الآن ، فان ضرعيك يجذبهما ملقى خطبة وداع نارى حقا . ادفعى رجلك الى الخلف . »

في المزرعة كان القطن قد جمع مرتين ، وكانت هناك فقط نتف بيضاء متناثرة تنقط السيقان الميتة . كان هذا يسمى نفاية القطن وكان سيجمع على مهل بواسطة النساء والاطفال في وقت ما قبل عيد الميلاد . كان معظم القطن الجيد قد سبق سحبه الى المحلج على عربات ذات أجسام عالية ، امتدادات صنعت منزليا كانت ترفع المرء الى ارتفاع يصيبه بالدوار اذا ركب أعلى الحمولة . كانت تلك المركبات وقد حشيت بشكل ملائم بواسطة دوسها بقوة باقدام الشبان والصبية تضم مابين ألف وثلاثمائة الى الف وخمسمائة رطل من القطن ببذوره، كان سيحلج بدوره ويعبأ في بالة تزن ستمائة رطل من نسالة القطن . واذا كانت هناك بالة قطن تزن فقط أربعمائة رطل ، كان هناك شعور غير منطوق بأن شخصا ما قد تكاسل في التعبئة .

وخلال الطقس الجاف اللطيف في اغسطس وسبتمبر واوائل اكتوبر كان كل من في المزرعة يخضع اي نشاط آخر لجمع القطن . كان من المهم جمع المحصول قبل أن يخفض المطر قيمة النسالة . وفي وقت مبكر من الموسم كانت كل السقائف والحظائر تملأ بقطن مفكك . وما أن كانت المباني الاضافية تمتليء ، حتى كانت المساكن ذاتها تستخدم . كانت وصلات الخشب تدق حول شرفات بيوت المستأجرين غير المطلية ، وكان القطن يحشر حتى السقف ، مع ترك ممر صغير فقط يؤدي الى الباب الامامي .

كان لدارنل العجوز جون توم أطفال كثيرون للغاية الى درجة أنهم كانوا يجمعون قطنا أكثر من أي واحد آخر في المكان . وقد أصبح التخزين حتى وقت الحلج يشكل لهم مشكلة . وقد حلوا هذه المشكلة بشكل ملائم عن طريق تفكيك هياكل الاسرة ونقل كل الاثاث من الحجرتين الاماميتين في منزلهما . ثم كانوا يحشون هاتين الغرفتين حتى السقف تقريبا بالمندوف الابيض الثمين الذي عملوا من أجله طيلة الصيف . واذا كانت النساء تتذمر من قلة الراحة هذه ، فان الصبي لم يسمعهن قط . كن يضاعفن فقط من حرصهن بشأن نيران الطبخ ويوبخن الرجال على التدخين .

وكان لاطفال الاسرة من هذا الترتيب موقف مهرجانى . فى الاسابيع القليلة التى كان هذا يتضمنها ، اذ كان كل واحد منهم يتسلق داخلا الى الحجرات المحشوة وقت النوم وينام أعلى القطن . وكانت النتف المزغبة التى تلتصق بشعرهم وثيابهم معظم اليوم التالى تشهد على ذلك . كان للقطن المجنى رائحة مميزة ، تذكر فى نفس الوقت بعصارة النمو الحيوية ووهن النضوج فى نقع الشمس . كانت تجعل الصبى حزينا بشأن المشاركة فى تجهيزات النوم الجماعية فى بيت العجوز جون توم ، لكنه كان أحصف من أن يفصح عن هذا سواء لآل ويستمورلاند او العائلة ، أو لنفسه .

كانت العربة تحمل القطن فى وقدة الشفق استعدادا للرحيل فى ضوء النهار . واذا بكر مزارع مجد بما يكفى لان يكون قرب أول الصف عندما يبدأ المحلج فى العمل ، فانه كان يمكنه أن يحلج حمولتين من القطن فى نفس اليوم . كانت العائلة تحصل على بريدها من بروتنتون لكنها كانت تحمل قطنها الى بيبودى . كانت هذه تقع على بعد ميلين ونصف من المزرعة ، ولكن كانت الرحلة رغم ذلك طويلة بعربة محملة ، حيث أن فريق البغال المثقل ببالة قطن حشيت بسخاء ولم يتم حلجها لم يكن بامكانه أن يسير بسرعة رجل نشيط . وقد اكتشف الصبى منذ وقت مبكر أن الذهاب للمحلج كان شأن كثير من التجارب فى الحياة . كان الوصول الى هناك متعة اكبر من أن يكون الواحد هناك .

عندما كان الصبى صغيرا جدا ، كان الجو مايزال نشيطا وممتلئا بالطاقة . ولحرصه على الكفاءة ، فانه كان يتطوع بالذهاب للحلج بنفسه ، بحيث يسمح لزنجى واحد ناضج على الاقل بأن يستمر فى الجنى والجو مايزال صحوا . وقد اصطحب الصبى مرارا فى هذه المهمات . وكان الجد يصطحب أيضا الاخوات الى المحلج ، لكنه لم يكن يصطحب اكثر من طفل واحد فى المرة الواحدة . لم يكن جليس أطفال . كان جدا .

كان الصبى يستطيع أن يتذكر ذهابه وهو صغير جدا الى درجة أن العجوز لم يكن ليسمح له بالجلوس الى جواره فى مقدمة العربة ورجلاه تتدليان فوق . كان عليه أن يجلس الى الخلف كثيرا وسط الحمولة لئلا تلقى به رجة مفاجئة الى عرض الطريق . كانت العربة محملة بكثافة الى درجة أن ضجيج قعقعة العجلات كان يحتجب ،

كما كانت الارتطامات بصريرها ورجها للعظام تصبح أنعم . وبالتالى ، كان حرا فى أن يستلقي على ظهره لمدة ساعة فى القطن الذى يسنده بنعومة ويتطلع ملء عينيه فى السماء . كانت السماء اذا شوهدت من هذا الوضع عميقة وخيرة وتبدو كما لو كانت تعانق بضوء أزرق فضى الصقر الحوام وهو يجوب الآفاق وينزلق متوتر الجناحين على الهواء الذى يحمله خلال ارتفاعات صامتة .

وعلى ارتفاع بضعة أقدام فوق طفل الطريق الاحمر الذى حمصته الشمس ، كانت جرادة عرضية تتدلى معلقة فى الهواء الدافىء الذكى الرائحة وهى تصر اغنيتها الصيفية الهندية . وعندما كانت العربة تقترب من جدول بيبودي، كانت نفحات آلعنب المسكى الناضج المشهية ورائحة النهر الرطبة التى تفوح من نباتات المستنقعات تمتزج فى فتحتى أنف الصبى مع رائحة القطن الخصبة . حتى خيالاته كانت تلين بفعل التأكيد المذهل بأن الطبيعة قد حققت ذاتها مرة أخرى فى الحصاد ، وكان هو قانعا تماما .

قطع وصوله الى المحلج حلم الرحلة الخفيف الوزن . كان المحلج ذو الطابقين مركبا على كتل خشب كبيرة ، ومغطى تماما بصفائح متموجة من معدن مجلفن . وكان يغص بآلات معقدة بدرجة مرعبة تدور وتقعقع خلف أغطية مكسوة بالزجاج فى لفات تصيب بالدوار ، تفصل البذور عن القطن . كان مستوى الضجيج يمزق الانفاس ، وكان لابد للحديث أن يدور صراخا بأقصى حجم على مسافة لاتزيد عن اربع بوصات . واذا تناقص طابور العربات ، كان العامل يطلق صفارة بخارية ليعلن لكل المزارعين داخل محيط خمسة أميال ان المحلج كان متلهفا الى العمل . أما وقد كانت المسافة تكتم صوتها ، فان الصفارة لم تكن جزءا غير سار من المنظر الريفى ، لكنها كانت اضافة الى تنافر أصوات الالات المتذبذبة ، أذ كانت نعيبا غير متوقع كلية يؤذى الآذان ويجعل صبيا صغيرا يتشبث بجده .

كان المحلج يرتفع بشكل فجائى أفقيا مبالغا فيه فوق القرية ، بعد أن يظل مهجورا للعشب السام ونجمة الصباح لمدة تسعة أشهر كل عام . كان يبدو للصبى مثل معبود مصنوع من معدن المدافع وله لون الصدأ ، شرير وقوى ، يعرف تماما مايريده من قربان رهيب . كان يرى أنه لم يكن هناك مبنى فى العالم كله أكثر قبحا من محلج القطن .

كانت اكثر اجزاء الكتلة المختلطة ابهارا هو انبوب التحميل . كان هذا اسطوانة معدنية طويلة ذات قطاعات تليسكوبية تتدلى معلقة من سقف السقيفة العالية في الجانب الشرقى من المحلج . ومن خلال نوع ما من الكيمياء كان مولد الجازولين القصير الغليظ الذى كان يدير كل الالات بشكل مسعور فى المبنى يحدث فى هذا الانبوب المرن أشد تفريغ هواء رآه الصبى فى حياته . فعندما كان الانبوب غير مستخدم ، كان الواحد يستطيع أن يسمع فقط صوت الريح الرقيق يهب من خلال حدودها الانبوبية . وعندما كان يجذب الى أسفل ويؤرجح الى الامام والخلف فوق عربة محملة ، على أية حال ، كان يصبح قوة عاتية ، تمتص القطن بحشوات كبيرة داخل معدته الهائلة بنهم ضار .

ومن آن لآخر كان عميل مهمل يصل برأسه اقرب من اللازم للأنبوب ، وكانت قبعته تمتص وتختفى فى يوم الحساب الذى يرتفع فوقه . وفى حين كان الضحية يدور بسرعة ويحاول الا يبدو مغموما واحمق ، كان الجميع يتصايحون ، والصفارة تصرخ ، والعامل يسقط السير الاساسى ويوقف المحلج .

فى أول الامر كان الصبى يظن أن هذا كان من اجل استعادة القبعة بدماثة ، لكنه سرعان ماعلم أن هذا كان بهدف حماية تركيب الآلة الدقيق من التلف . وقد شرح له الجد أن القبعة اذا وصلت الى الشفرات ، فانه كان يتحتم ازالة أجزاء من الالات وارسالها بعيدا الى مكان ما لاصلاحها ، وان هذا كان يعنى أن الآلة سوف تتعطل لمدة يومين او ثلاثة على الاقل . ولحسن الحظ ، كان من الممكن استعادة قبعة عن طريق فتح الصندوق فى الطابق العلوى واخراجها بعصا طويلة .

وعندما حدث أن قبعة العجوز باسكال بيرديو امتصت داخل الانبوب ، كان هناك شاب بلون الشيكولاتة فى سن المراهقة يدعى توم جوينور اتاواى يعمل بأجر فى المحلج . وبعد أن فتح الباب الثقيل المؤدى الى الصندوق واستعاد القبعة ، قاموا بتشغيل الآلة مرة ثانية بأسرع مايمكن وسقط توم جونيور بداخلها . اوقفوها فى الحال مرة أخرى ، ولكن ليس قبل أن يكون قد اجتذب الى داخل الشفرات ومثل بجسده بشكل سيء الى درجة انه كان من الضرورى أن ينقل على طول المسافة الى أتلانتا لمستشفى جراديس .

استبقوه لمدة شهرين وتمكنوا من انقاذ عضوه التناسلي وخصية واحدة ، لكن شيئا يقال له الحبل كان قد تلف ، حتى في الجانب الطيب ، وعاد مرقعا بتطعيمات جلدية وركبتاه متصلبتان . وقد سمع الصبي صدفة الجد يناقش الحالة مع احد الجيران ، وصدر القرار بانه ، « سوف يكون بامكانه أن يقوم ببعض العمل بطريقة جيدة ، لكنه سيكون عقيما على الدوام . » لم يستفسر الصبي عن تفصيلات ، لكنه احتار .

وفيما بعد ، تزوج توم جونيور أتاواى فتاة سوداء بدينة حقا ذات ملامح قروية وانجبا سبعة أطفال ، بما في ذلك مجموعتين من التوائم . ويوم ولدت المجموعة الثانية ، هجر توم جونيور أتاواى زوجته وانتقل الى سنسناتي ليقيم مع عمته حتى يجد عملا . وكان الصبي قد سمع سنترال يخبر فريمان انه رآه قبل أن يركب القطار مباشرة وأن توم جونيور كان يبكي مثل طفل . وقد أجابه فريمان بقوله ، « لا أحد يلومه . انه أمر محرج أكثر مما يمكن أن تطالب رجلا أن يحتمله . »

وعلى امتداد السنين العديدة التالية رزقت امرأته بثلاثة أطفال آخرين ، لكن توم جونيور لم يعد ابدا من سنسناتي .

اثناء هذا الوقت اشترت العائلة شاحنة يمكنها أن تحمل اربع او خمس بالات من القطن في المرة الواحدة وان تقطع الرحلة الى ييبودي في عشر دقائق . فقد الصبي كل اهتمام بالحلج ولم يكن يستطيع أن ينظر الى المبنى دون ان يفكر كيف أن توم جونيور أتاواى كاد يذهب قربانا للمعبود . كان مسرورا حين احترق حتى سوى بالأرض .

ما أن كانت عملية الحلج قد انتهت بوقت طويل بحيث أصبح بالامكان تحرير ثلاثة أو اربعة رجال ناضجين لفترة من عبوديتهم للقطن الملك ، حتى شرع الجد يصنع عصيرا . فمن بين كل الانشطة التي كانت تجري في المزرعة ، كان هذا النشاط بالتحديد يقع تحت اشرافه ففي كل خريف كان يختار بنفسه السيقان التي دفنها في الحقل على عمق كاف تحت التربة حتى لا تتجمد وتكون متاحة بصفتها بذورا للقصب في الربيع . وقد وجه انتباه الصبي الى الفقاعات المثلثة الصغيرة عند نهاية كل عقلة ، وتسمى « عيونا » ،

التى كانت ستكبر بحلول العـــام التالى الى أعواد قصب لها شكل الشرائط .

كان هو من اختار البقعة التى يزرع فيها القصب . كان مـن الضرورى أن تكون هذه ارضا واطئة بها من الرطوبة اكثر مما بالمساحات الاخرى حتى تدعم النمو الوفير . كان القصب يتطلب حرثا أقـل من القطن او الذرة أو الفلفل الحلو . وكان ينمو بسرعة فائقة وكانت اوراقه وافرة الى درجة ان الارض سرعان ماكانت تحجب ضـــوء الشمس ، وكانت المنتصفات خالية من الاعشاب مثل اى ممر تدوسه الاقدام .

وحين كان يطول بالقدر الذى يكفى لان يتشابك سعفه ، كان من الممكن لصبى أن يختفى نفسه فى رقعة مزروعة بقصب السكر طوال فترة عصر يوم حار ، يطارد الدببة ، أو الذئاب ، أو الشـــماليين جيئة وذهابا فى الممرات المرقشة أو ينفذ من بين السيقان التى تنمو متلاصقة ألى الصف التالى ليتجنب ملاحقة اكلة لحوم البشر له أوكين القاتل .

وفى وقت الحصاد كانت كل ساق يقطعها رجـــال يستخدمون سكاكين ثقيلة . وكانت الغابة الريشية الطويلة تتحـــول فى أقل من يوم الى مسلخ من الجذوع المتساقطـــة . فليس هناك شيء يبدو اكثر عـريا وخرابا على الفور من رقعة من قصب السكر اجتثت حديثا .

وشأن معظم الاشياء الاخرى فى الزراعة ، كان الوقت عاملا ملحا . فاذا رقد القصب على الارض بعد حصاده مدة أطول من اللازم او سقط عليه المطر أو اذا اشتدت الحرارة ، فانه كان يفسد ، وعندئذ لا يصلح لشيء ويتبدد . وكان التبديد فى اية مزرعة فى بيدمونت بين فترة اعادة البناء والحرب العالمية الثانية امرا لا يقبل التفكير فيه شأن القتل أو السرقة . وكتابع للجد عرف الصبى بكل تأكيد أن هذا كان حالا يؤدى فقط الى السقوط فى الفقر ، والالم ، واحتمال أن يفقد المالك الذى اختاره الله مكانته .

وكان بامكان الجد ان يحصل من العمال المستؤجرين على عمـل اكثر من اى واحد آخر فى العـــالم . كانت لغتــه أكثر لغة تعبيرا فى المقاطعة ، وكان بامكانه أن يبين حالته المزاجية من خلال الطريقة التى كان يقتطع بها مضغة من التبغ من قرص تبغه المضغوط ويعيد

بها سكينة الى جيبه . كان الصبي يرتعد وشعره يقف عند سماعه وهو يصرخ ، « انت ، يابومب ، هناك ! عجل ! انك تؤدي عملك كما لو كان القمل الميت يتساقط منك ؛ فانت بطيء الى درجة ان على ان اراقبك لاتأكد من انك تتحرك . بامكانك ان تؤدي عملك بشكل افضل من ذلك ! »

وكان الصبي يحبس أنفاسه وينكمش عندما يقترف أحد ذنبا سيئا بحيث يستحق ، « أنت ياطرفا جهنميا أسود من اطراف ابليس ، أنت ! أن هناك فكرة تراودني أن أجلدك حتى أكاد أزهق روحك . »

لم يكن لديه سوط طويل قوي مما يستعمل في سوق المواشي ولم يكن يذكر البتة بيع أي واحد اسفل النهر ، لكن المعنى الضمني لكل من هذين كان هناك . وعندما كبر الصبي بالقدر الذي يكفي لمراقبة العمال بدلا من الجد السريع الانفعال ، اكتشف أنهم كانوا يتبادلون نظرات ضاحكة خلسة تشهد بوضوح على التسامح والحب . استرخى الصبي وبذل مافي وسعه حتى يفهم .

كان الجد يعمل بجدية أكثر من اي واحد آخر . فبعد قطع القصب ، كان لابد من تقشيره ثم نقله في العربات الى معمل العصير . كان الناتج هائلا . كانت رقعة مساحتها فدانان من القصب يمكنها أن تنتج جبلا من الاعواد .

وكانت المعصرة مكانا سحريا . كانت تقع على حرف يرتفع فوق المستنقع بعد بيت المستأجر الرئيسي على الارض الحمراء مباشرة . كانت معصرة القصب التي كانت تزود المعمل بالعصير الخام تتألف من بكرتين هائلتين من حديد الزهر ، زنتهما كبيرة الى درجة أن تركيبهما على عمود كان يستلزم رجلين من الاشداء . وكانت شجرة صمغ طويلة قد اقتطعت وشذبت ثم ركبت أعلى هاتين البكرتين وثبتت اليهما بمسامير ملولبة . وكان توازنها يحافظ عليه أرومة قصيرة ثقيلة من طرف وطرف آخر اطول قليلا يعمل عمل عمود التوجيه . ثم كان هناك بغل يشد الى الطرف المستدق من الكتلة ويدور في دائرة طوال اليوم ، بحيث يدير البكرتين في اتجاهين معاكسين .

كان قصب السكر يدفع في أحمال ملء الذراعين بين البكرتين ، فينبثق العصير في تيار متدفق غائم ، ويوجهه ميزاب قصديري طرق باليد الى داخل برميل خشبي له كيس من الخيش فوق فتحته . وكاد الجد يغترف قدحا من العصير الحلو للواحد حتى يشربه ، لكنه

لم يكن له نفس المذاق الطيب المتألق بهذه الطريقة مثلما كان حين كان يقشر ويقسم قطاعا من القصب بمطواته الملطخه بالتبغ ويعطيه للواحد ليمضغه ويمصه .

كان الخيش يصفي ألياف العصير وكان من المفروض فيه ايضا ان يستبعد الزنابير . كان هؤلاء الضيوف يأتون بالآلاف الى حلاوة عصير القصب التى كانت تجتذبها وكانوا جانبا مزعجا على الدوام من مشهد عمل العصير . كانت أقدام اى طفل او مراهق يأتى الى معمل العصير حافيا تتورم طيلة اليـــوم من الدوس على الحشرات اللاذعة وكان يتذكر دائما أن يرتدى حذاءه فى اليوم التالى . وعندما كان الكبار تلدغهم الزنابير كانوا يضربون بأكفهم ويتمتمون دون أن يقطعوا اطراد عملهم ، لكن جرح الطفل كان خطيرا بالقدر الذى يبرر صرخـاته ويستحق معالجته بتبغ مضغ حديثا على الاوضع مع طقطقة مريحة من الجد .

كان طحن القصب عملية عالية التنظيم . كان رجل على قدر من قوة الاحتمال يتم اختياره ليدفع بالقصب الى داخل المعصرة . وكان على عامل آخر أن ينقل الاعواد من الكومة الاساسية الى كومة أخرى أصغر تحت قدمى من يقوم بتغذية المعصرة . وعندئذ كان يبدأ النسق الذى يجرى عليه العمل . كان عامل التغذية ينحنى ويجمع ملء ذراع من الاعواد ، ويقف معتدل القامة ويدفع بها بين البكرتين ، اللتين كانتا تقبضان عليها وتتجذبها فيما بينهما وتتركانها تسقط بخفة ريشـية فى شكل « مصاصة » . وكان على عامل التغذية أن يمسك بالاعواد حتى تكون فى منتصفها خلال البكرتين ، وكان هذا يعنى أن عمود شجرة الصمغ سوف يقوم بدورة أو دورتين بمستوى كتفيه ، وهو ما كان يتطلب منه أن يغطس براسه ليتجنب قطعها . وبكل ما كان يفعله من انحناء ووقوف ورفع يديه والغطس براسه ، كان الطحـان أكثر شخصية نشاطا بشكل دائم فى هذا المشهد فيما عدا البغل الدائم الدوران . كان من المتع أن يمسك الواحد بنهاية العمود الدوار وأن يتعلق به لدورة أو دورتين ، ولكن كان على الواحد ان يكون حريصا على الا يثير زئير الجد الكالح . كان يكره أن يلعب احد فى وقت العمل .

كانت العصارة تكوم المصاصة المتزايدة بشكل مستمر وبغلها اللاهث المندفع الى الامام على بعد بضعة أقدام فقط من أجمة شجر الصمغ الاسود وأوراقها القرمزية الناحلة التى كانت تحيط بمعمـل

العصير . وكان المعمل نفسه فرنا صنع من الصخور المحلية والطفل الاحمر بمدخنته من الاحجار المكدسة فى ناحيته الجنوبية ، قرب الجدول ، وقاعدته التى يبلغ ارتفاعها خصر رجل وتتجه شمالا والى اسفل التل بدرجة طفيفه على امتداد يبلغ اثنى عشر قدما . واعلى قاعدة الفرن كان وعاء العصير . كان هذا مفخرة عائلية تختزن بحرص فى اعلى صندوق خزن الذرة حين لا يستخدم . وقد أشرف الجد شخصيا على صنعه ، وكان يعمل بكفاءة .

كان مصنوعا من لوح من النحاس الاحمر مثبت باحكام فوق اطار من قطع الخشب وبه ثقوب رتبت ببراعة يمكن فتحها واغلاقها حسب الحاجة من أجل توالى مراحل العصير . وفى كل عام كانت تركب فوق الفرن وتسد الشقوق بعناية بالطين الطفلى حتى لايتلوى الدخان من حول الحواف الى عيون العمال .

وكان خشب الصنوبر يقطع فى شكل أحبال بطول اعمدة السور وتخزن فى جانبه . كانت تغذية النار فنا فى حد ذاتها ، اذ كان ينبغى أن تكون النار حارة بالقدر الذى يكفى لغلى العصير والا تكون حارة بالقدر الذى يحرق الوعاء . وفوق الوعاء قرب المدفاة كان يركب نصف برميل مع شريحة من قصب مقشر كسدادة للثقب الذى كان يقع قرب القاع . كان العصير يحمل من العصارة الى هذا الخزان ويصب خلال الكيس الذى يغطيه ، والذى كان يصفيه اكثر ، وهو مايزال يستبعد الزنابير . وكان العصير عندئذ يطلق فى القسم الاول من الوعاء ، وتحمى النار ، ويبدأ صنع العصير .

وحين كان عصير القصب الطازج يغلى ، كان زبد أخضر كثيف يرتفع من السائل غير الشفاف ويزال بواسطة القشادين . كان هؤلاء الرجال مزودين بمصاف قصديرية مربعة فى نهايات أعمدة بطول مقبض المعزقة . حين كان العصير يغلى ، كانوا يقشدون الزبد من على السطح ويضعونه فى برميل آخر الى جانب الفرن تماما ، واعمدة المصافى تحدث صوتا من ضربة مدوية على شفة البرميل .

وحين كان العصير الذى يغلى يطلق بشكل متوال وهو يزداد كثافة وصفاء من قسم الى آخر ، كانت طبيعة القشد تختلف من زبد ليمونى أخضر الى أحبال بيضاء سميكة . وكان القشد يستمر حتى ينساب السائل الذى يغلى أخيرا الى القسم الاخير كانه جدول يصل الى بحيرة . عند هذا الحد كان يصبح شفافا متلألئا فى لون كمان

جيد ، ويصفى من خلال قماش أبيض رقيق فى دلاء قصديرية يحكم اغلاقها . كان الواحد يحمل معه الى المعمل بسكويتات باردة دهنت بالزبد ويأكلها مع الشراب الساخن الجديد .

كان برميل القشدات يبهر الصبى . كان له مظهر شرير مثـــل مسطحات طينية تغلى تكسو جوانبه قطرات دهنية خضراء خشـــنة ، تسيل على السطح الخارجى وتتجمد قشورا قبل أن تستطيع بلوغ الارض . كان السائل داخل البرميل مغطى تماما بطبقة سمكها أربع بوصات من الزبد الذى كان يجتذب حشودا من الزنابير ، تســـقط نسبة كبيرة منها فى الفخ القاتل وتغوص فى النهاية الى السائل الذى يقع أسفلها . وقد سمع الصبى أن حيوان أوبوسوم اذا جاء غازيا بالصدفة كان ليفقد توازنه ويهلك فى برميل القشد . لم يكن قــد شاهد هذا قط ، لكنه لم يشك فيه مطلقا . ولو أن تنينا شريرا ، أحمر العينين ، كريه الانفاس خرج من ذلك البرميل ، لاصابه الذعر لا الدهشة .

لم يكن خزان الغسالة المتبقية من صنع الشراب يفرغ . وحين كان ألوعاء قد أزيل ، ونظف ، وخزن ، وحملت البراميل الاخـرى على العربة الى حظيرة واقية ، كان معمل الشراب يبـدو مهجورا موحشا . ورغم ذلك كان برميل القشد يظل . وحين كبر الصـبى عرف السبب .

كانت القشدات تتخمر بدون اضافة شىء آخر اليها . كانت أيام أكتوبر الدافئة تحدث غليانا وهديرا فى أعماق السائل المتبقى فى ذلك البرميل ، وتتصاعد فقاعات كثيفة كبيرة محدثة أصوات غطس فى الماء خلال غطاء الزبد . وبعد أن تنتهى أصوات البقبقة ويصبح البرميل هادئا مرة أخرى ، فانه كان ممتلئا بالجعة ، أو « ظبى قصب السكر » كان الجد يترك هذا للزنوج الذين يعيشون فى المزرعة ، مع الفهـم الضمنى الا يتكلم أحد عن ذلك . وذات مرة سمع الصبى الجد يقول لفريمان ، « لا تقرب تلك المادة قبل أن تفرغ من عملها ، والا فانهـا سوف تجعلك تتقيأ ككلب . انتظر أسبوعين . »

لم يسمع الصبى قط عن شخص أبيض يشرب ظبى قصب السكر ، وبالفعل لم يكن كثير من الزنوج ينغمسون فيه . وحين كان الصبى عائدا من حظيرة الابقار وهو يحمل دلوين ممتلئين بالحليب يوم السبت بعد انتخابه فى المدرسة ، رأى فريمان ينحدر على طول الحارة .

وطالما كان دمثا بشكل لا يخيب وناعم الحديث ، فان فريمان كان يتمتع بحلاوة طبيعة فطرية جعلت الجميع يحبونه . كان من الممكن أن يكون أثيرا لدى الصبى حتى ولو لم يكن وآلد بدى .

منذ عدة أعوام مضت كانت بعض البغال قد جمحت به وآذت كتفه ، ولم يشف تماما . ونتيجة لهذا كانت ذراعه اليمنى تتدلى مثل مذراة متراخية . كان بامكانه أن يقبض على الاشياء بها وان يجذبها ، لكن كانت أية حركة من الكتف مستحيلة ، وكان من الضرورى أن يرفع الذراع الى مكانه باليد اليسرى . عندما كان فريمان يمشى كانت له خطوة متراخية متثاقلة على أية حال ، وكان تأثير الذراع المتدلى ان جعله يبدو مثل دمية من خرق ترف على طول الطريق .

حين كان الآن يقترب ، بعد طلوع شمس نوفمبر الباردة بساعة ، لم يلاحظ الصبى أول الامر اى شىء غير عادى وصاح به بتحية خلوية ، فى صباح باكر ، مبتهجة . صاح قائلا ، « صباح الخير ، يافرى . »

لم يجب فريمان لكنه راح يجرر قدميه على طول الطريق بدون دلالة على الادراك . كانت عيناه منتفختين وحوافها حمراء وبأركانها ترسبات صمغية لزجة . وكان فمه فاغرا ، والشفة السفلى تتأرجح باسترخاء يسيل منه لعابه . كان يتنفس بتنهدات هائلة منتحبة ويتمتم لنفسه بشكل غير متماسك بأداء رتيب منتحب خفيض . كان على الصبى أن يخطو جانبا ليدعه يمر ، ورغم ذلك لم يره فريمان . تشمم الصبى نفحة من انفاسه وتقيأ . لم يحاول أن يتكلم ثانية لكنه راح يراقب الرجل يتخبط فى طريقه بين مخزن الذرة ومخزن التبن ويعاود السير فى الممر المؤدى الى بيته .

وعندما استأنف رحلته الى البيت الكبير حاملا الحليب ، هز الصبى راسه . قال لنفسه ، يالبدى المسكين . اعرف شعوره . على الاقل لم يكن ابى تفوح منه رائحته بهذا الشكل السىء .

وفيما بعد فى ذلك الصباح خرج الصبى فى جولة على الطريق المؤدى الى البيت الذى انتقل اليه ويس عندما توفى جيسى آرنولد . كان ويس الآن اكثر الجيران التصاقا بفريمان ، حيث أن ممر العربات المؤدى الى بيت فريمان كان يمر مباشرة بفنائه الجانبى . وجد ويس يفلق ويخزن زادا شتويا من خشب الوقود لماى ، وسر الرجل لتوقفه ، ولف سيجارة ، وللزيارة . وبعد تبادل بعض الملاحظات

اللطيفة ، ساله الصبى ، « ويس ، ماذا دهى فريمان ؟ »
أجابه ويس ، « ماذا تعنى ، ماخطب فريمـــان ؟ متى رايت فريمان ؟ » .
« رأيته فى الصباح الباكر . لا أعرف أين كان ، لكننى أظن انه كان عائدا الى البيت بعد قضاء الليل فى الخارج . اقترب الى مسافة ثلاث ياردات منى ولم يعرف أننى كنت هناك ، حتى حين خاطبته ، كان يبدو فى حال شنيعة . » وصمت وآضاف ، « وكانت رائحتـه شنيعة . »
ألقى ويس نظرة باتجاه بيت فريمان ثم قال سرا ، « لقد ظل على هذا الحال أكثر من أسبوعين الآن . وهو يقع ويتعثر معظم الوقت فى الطريق الى بيته عبر فنائى ، لانه لايريد أحدا من البيت أن يراه ، وخاصة السيد بورتر . » وألقى ويس بنظرة ماكرة وأضاف بأسلوب متعال ، « سوف يستاء فرى بشدة عندما يكتشف أنك ضبطته على هذا الحال . لم يكن ليأتى مطلقا من خلال فناء البيت الكبير لو أنه كان فى وعيه بما يكفى لان يفكر أن يراه أى واحد . »
« ان حالته تبدو سيئة ، ياويس . أنا قلق عليه . كان جلده يبـدو رماديا ، وقد سمعت دائما أن الشخص الملون لا يكون بصحة جيدة ، مالم يكن جلده لامعا . »
« أظنك على حق ، ياسامبو . اذا لم تنته هذه القشدات سريعا ، فان فريمان عرضة لان يقتل نفسه . أن كل واحد آخر يتناول شربة منها ويدعها ، لكن فريمان يرقد مع ظبى السكر العجوز ذاك كل صباح ، وعصر ، ومساء . لقد جعله يتمكن منه حتى شعره القصير ، وسوف يقتله بالتأكيد اذا لم يكف عنه . »
قال الصبى بحدة ، بمسحة غطرسة طفيفة ، « حسنا ، أعتقد اننى استطيع ان اعتنى بهذه المشكلة . »
لم يقل شيئا لاحد فى العائلة ، لكنه خرج بعد الفداء فى رحلةعبر الحقول . كان هدفه معمل الشراب . كانت الشمس ساطعة متألقة، وكان يشعر بالدفء بالقدر الذى يكفى لان يجعله يسير بخطوة عادية . كانت فضلات حصاد الغابات قد جمعت للشتاء ، وكانت كل الاشجار عارية فيما عدا شجرة بلوط عرضية كانت تحتفظ بأوراقها البنيةكل عام بعناد حتى كان صراخ رياح مارس يسقطها على طول الطـريق الى النهر . وكانت هناك شجرة حور بأطراف الغابة ترتفع الى أعلى

مباشرة ، وقد حملت قرنة تحمل البذور فى نهاية كل فرع ، تلمع مثل شمعدان هائل فى شمس نوفمبر . كـان الصبي يخطـو باستمتاع خلال هذا العالم . كان قد خرج فى حملة صليبية مقدسة .

هنا نفسه ، « انك تكبر حقا . ترى مشكلة ،تجدالسبب،وتصلحها. هذه مسئولية حقيقية ، ولم تكن مضطرا الى التماس النصح من أى واحد آخر . بل انك ستكون رئيس فصل جيد . » كان يشعر انه فاضل جدا .

قال لنفسه « عندما أكبر وينتقل المكان الى ، سوف اديره بطريقة مختلفة . أول ماسأفعله هو أن أشترى كل مزرعة متصلة بنا وانتهى بأكبر مزرعة فى كل ولاية جورجيا . سوف أهدم كل بيوت المؤاجرين هذه وابنى بيوتا من الطوب الاحمر الصلب بأضواء كهربائية ومياه جارية . وسوف يكون هذا المكان لطيفا الى درجة أن كل واحد سوف يستجدى العيش فى مزرعة سامبو . وسوف أرعاهم واكون طيبا حقا معهم ، ولكن سيكون عليهم ان يحسنوا السلوك .

لن يكون هناك أى شرب مطلقا فى مزرعتى ، وسوف يستحم كل واحد يوميا ويرتدى ملابس نظيفة . وسوف أقوم بتفتيش البيوت كل اسبوع ، ولا يستطيع اى واحد أن يحرق جزءا من البيت لمجرد أنهم اكسل من أن يحصلوا على خشب وقود . وسوف يكون على الاطفال والصغار أن يرتدوا حفاظات ويكفوا عن الجرى فى أرجاء المكان عرايا حتى لا تفوح البيوت برائحة البول . ولن أجلد أحدا أو العنه . واذا لم يعيشوا عيشة صحيحة فسوف اجعلهم يرحلون ؛ وسوف يحب الجميع السيد سامبو .

ظل غارقا فى أفكاره حتى بلغ معمل الشراب . بدون صخب ونشاط وظيفى ، كان المكان يبدو بلا مغزى . كانت عصارة القصب بعمود التوجيه المتدلي تقف مهجورة وسط دائرة كومة الصاصة ، التى كانت قد تعفنت بالفعل الى نصف ارتفاعها الاصلى . وبدا الفرن بدون نار وبدون الوعاء النحاسي اللامع مثل مدخنة كوخ هجر منذ زمن بعيد .

كان برميل القشد يقف فى وحدة موحشة . دنا الصبى منه بهدف . وقف على أطراف اصابع قدميه ليلقى نظرة بداخله . كان مايزال ممتلئا الى اكثر من نصفه . وحين مال على البرميل دفعه بمنكبه ، تحرك السائل مرسلا رائحة كريهة اصابت الصبى بالغثيان

فابتعد ستة أقدام الى الخلف . تذكر حظيرة الخنازير عندما كانت الحيوانات المتخمة قد بلغت حدا من السمنة تجعلها قانعة بالرقود فى هدوء فى المزيج الكريه من الذرة الحامضة والروث الذى كان يغلف الحظيرة . تمتم بصوت عال ، « كيف يمكن على الاطلاق لاى واحد ان يقف ليشرب تلك المادة ؟ » ثم أضاف صامتا ، لا عجب أن يبدو جلد فريمان مثل الرماد .

عاد الى البرميل وامسك بحافته بكلتا يديه ، وهو يبذل مافى وسعه حتى لا يستنشق بعمق . دفعه ، لكن البرميل ، وقد غاص بحكم ثقله فى التربة الحمراء الناعمة أسفله ، تحرك بضع بوصات فقط ولم ينقلب . ارتج السائل بداخله بقوة اكبر ، على أية حال ، وكان على الصبى أن يتراجع ثانية . ظل يدفع حتى دمعت عيناه ، وفى هذه اللحظة سمع صوتا .

« هيه ، سامبو . »

ورافعا عينيه ، رأى فريمان قادما أسفل التل من بيت دوليفر باتجاه الجرف الذى كان يقع فوق المستنقع . لم يعرف قط ما اذا كان ظهور الرجل فى هذا الوقت بالذات صدفة أم اذا كان قد تلقى تحذيرا من ويس بأن الصبى كان يعبث فى أرجاء معمل العصير . لم يهتم بأن يكتشف . كان الشخص الذى جاء يمشى متثاقلا يترنح بسرعة أسفل التل . أقترب الصبى من البرميل مرة أخرى .

صرخ فريمان ، « ياالهى يارب ، لا تحركه ! أرجوك لا تحركه ، ياطفلى العزيز ! سوف يفسد اذا فعلت . »

امسك الصبى البرميل باحكام وأسند ظهره الى جانبه ، فمال .

وجاءه الخوار المهتاج ، « أيها الكابتن الصغير » رفع الصبى عينيه مرة أخرى حين سمع اللقب العاطفى الدمث . كان الشخص قد دخل مندفعا فى عدو يجرر فيه أقدامه . كانت الذراع اليسرى مرفوعة وممتدة تلوح باهتياج من الكتف . وكانت الذراع اليمنى تهتز وتتساقط مفككة مفكك الاوصال من عند المرفق . كان منظرا مضحكا ويثير الاشفاق فى آن واحد . ضحك الصبى .

جذب البرميل اليه بحركة ارجحة ودفعه مرة ثانية . مال اكثر لكنه لم ينقلب . وخطر للصبى أن مرة اخرى واحدة كفيلة بقلبه .

وجاءه التوسل المهتاج من الرجل الذى كان يقترب بسرعة ، « انصت الى ، ايها الرئيس الصغير . انت صديقى الطيب وانا احبك كاولادى . ارجوك الا تريقه ! واذا لم تفعل فسافعل اى شيء فى العالم تطلبه منى ، ولكن باسم يسوع اللطيف ، ارجوك الا تريقه . »

كان من الاجدر به أن يوفر انفاسه . فمع ارجحة البرميل وجذبه استجمع الصبى اقصى قوته ، وانقلب البرميل الثقيل،مرسلا النفاية التي به فى سيل كريه الرائحة فوق اقدام فريمان الذى لا يصدق . ومختطفا القبعة من على رأسه ، ركع فريمان على ركبتيه. وحاول ان يمسك بآخر السائل الكريه الذى كان يسيل من البرميل المقلوب . ولاحظ الصبى الجناح المزوى المضحك لما كان يفترض انه كان ذات يوم عصفورا انجليزيا . واعلن ، « لا نستطيع ان نشرب هذا ، يافريمان ! » .

رفع الرجل عينيه اليه ، وعيناه الحمراوان تبكيان وتبدوان ماساويتين . ساله ، « كيف فعلت هذا ؟ افضل لو انك قضيت على كيف فعلت هذا ؟ كان هناك الكثير فى الداخل هنا ، يكفينى حتى عيد الميلاد تقريبا . اننى اهب كل شيء لو انك لم تفعل هذا . »

« لقد فعلت هذا لصالحك ، يافريمان . انت على وشك ان تقتل نفسك بذلك الصنف العتيق ، وقد جئت الى هنا لاننى لا اريد ان يحدث اى شيء سيء لك . فعلته لصالحك وفعلته عن عمد . »

تمتم فريمان وهو لايصدق ، « صالحى انا ؟ » وارتفع صوته ، « صالحى انا ؟ تظن اننى اشرب هذه الغسالة ، هل اقدر على شراء مشروب مثل ابيك ؟ كيف تدرى ما الذى يجعل رجلا مثلى يحتاج الى مشروب فى المقام الاول ؟ كيف تعرف مايجرى بداخلى ومالا اتحدث عنه ابدا ؟ من نصبك حيث تعرف ماهو فى صالحى ومالبس كذلك ؟ ماالذى تعرفه عن الاستغراق فى النوم والنسيان ؟ لقد ذهبت وعبثت فى امور زنجية ، ياصبى ، فى حين كان يجب ان تبقى فى بيتك . »

وحدق فى جزع محير فى الريش المبلل الذى كان فى قبعته التى يتسرب منها المشروب . وببطء افرغها واسقطها بين ركبتيه .

قال الطفل المبتلى ، « آسف اذا كنت قد ازعجتك ، يافريمان . كنت احاول ان اساعدك . »

رفع الرجل عينيه الى الصبى وحدق مباشرة فى عينيه ثم صرخ ، بعواء مكروب ، « لعن الله روحك ، ياسامبو ! »

أجيال من الغريزة جعلت الصبى يسحب يده لا اراديا . كـان البروتوكول واضحا ، وقد كانت هذه اساءة لا تغتفر تتطلب ثأرا فوريا . ارخى فريمان عينيه وانتظر الضربة . وببطء اسقط الصبى ذراعه واستدار خارجا .

كانت سحابات رمادية قد غطت الشمس ، وكانت فروع شمعدان شجرة الحور فى النهاية كئيبة ، قنات بها بذور ميتة . وكانت ريح نوفمبر نحيلة ودنيئة . كانت اغصان شجرة البلوط الاحمر الكثيفة الداكنة فى فناء هنرى دوليفر تنتشر على سماء كئيبة كأنها اطـلال درويدية قديمة .

حين استدار الصبى غارقا فى افكاره ، لم يكن يشعر بأنه فاضل . شعر بغير ارتياح أنه كان صغيرا وضئيلا للغاية .

شعر بغثيان طفيف تلك الليلة ولم يستطع أن يتناول أى عشاء . انهى أعماله والم يقرض فى منتصف بطنه عزاه الى الجوع ، لـكن فكرة الطعام كانت تثير فيه التقزز . وطبع على وجنة أمه قبلة النوم بعد صلوات المساء مباشرة وصعد الدرج الى غـرفة نومه . أصبح الالم أسوأ ، ولم يتمكن من النوم . سمع كل من بالبيت يأوى الى فراشه ، وزاد الالم حدة . نهض وتقيأ وظن أنه سيشعر بتحسن . وبدلا من ذلك راح الالم يترى فى موجات ذات حدة أكبر . وعنـد منتصف الليل كان يئن ويبكى . كان الالم شـديداً حتى شعر أنه لا يمـكنه تحمله . سـمع سيارة أبيه فى الفناء الخلفى . وفى يأس هبط من سريره وقابله فى غـرفة الطعـام بدموع تسيل على خديه .

سأله الاب ، « اى شىء فى العالم أصابك ، يابنى ؟ هل دخلت معركة اليوم ؟ »

ومائلا الى جانبه الايسر ومترنحا بكى الصبى ، « أوه ، يا أبى ، ان معدتى توجعنى بشدة لدرجة أننى لا استطيع احتمالها . وقد كنت أتقيأ ، وأنا أعرف أنه ليس شيئا أكلته لاننى لم أتنـاول أى شىء منذ الغداء . »

قال الاب ، « دعنى أرى . ليس من شيمتك البكاء . هـل هنا مايؤلمك ؟ » .

وبعد محاولة سبر قصيرة وبضعة أسئلة اخرى ، ايقظ الاب الام . « فيرا اخرجي للصبي بعض الملابس . سوف آخذه الى البلدة واجد طبيبا . انه يشكو من الم حاد في جانبه الايمن . يا للجحيم ؛ لا ؛ لا اظن انه يحتاج مسهلا ؛ اعتقد انه يحتاج الى طبيب . لا تحاولي أن تشبتي ذلك الزرار العلوي . الا ترين انه يؤلمه ؟ — لا ، لا احتاج الى احد ليقود ، اللعنة ! سوف أبلغك حالما استطيع . »

حمل الصبي بين ذراعيه وحمله الى الخارج الى السيارة ، وهو يضعه برقة كطفل على المقعد الخلفي . كان الركوب على الطرقات بحفرها الى البلدة مباراة في التحمل . حاول الصبي أن يكبت أناته عندما ارتطمت السيارة بنتوء لان اباه كان يقسود أسرع ويضرب النتوءات بشكل اقوى في كل مرة كان يئن فيها . ورغم الالم كان الصبي مبتهجا بالاهتمام والقلق اللذين يبديهما أبوه . انه يحبني حقا ، هكذا خطر له وهو يتقيأ في صمت في المنشفة التي كانت أمه قد أعطتها له . لم يعد هناك شيء يخرج ، لكنه ظل يتقيأ ويلهث .

قاد أبوه السيارة ألى بيت الطبيب وأيقظه ، ثم ذهب الى الصيدلية لينتظر وصوله . راح يؤكد للصبي أن كلَ شيء كان على مايرام واشعل سيجارة من الاخرى في هذه الاثناء . وعندما قام الطبيب بفحصه ، اعتدل وقال ، « أن بطنه جامدة ولديه الارتداد حقا . ليس هناك شك على الاطلاق في أن هذا التهاب الزائدة الدودية ، وعليك أن تأخذه الى أتلانتا لجراح ، بسرعة . سوف أحصل لك على أفضل واحد أعرفه ، الآن حالاً . »

ادار ذراع التليفون ، وخاطب العامل ، وبعد حديث بدا انه لاينتهي أصدر تعليماته للاب ، « أحمله الى مستشفى كروفوردلونج في شارع ليندن المتفرع من شارع بيتش ، التي كانت يوما ما مصحة ديفيس — فيشر . لدى جراح جيد سوف يستقبله . »

وأجاب على طلب الاب الاجش قائلا ، « حسنا ، ليس هناك أي جدوى من ركوبي معك الى هناك — ليس هناك شيء آخر يمكنني أن أقوم به للصبي ، ولكن ، » وبنبرة لطيفة لينة ، « اذا كان هذا يريحك، فسوف أذهب معك . هيا نتحرك . »

كانت الرحلة الى أتلانتا غبشة من الالم وانطباعات مشوشة . كان

الأب يميل على عجلة القيادة ، ورأسه في سحابة من دخان السجائر ، وكان يقود كما لو كان شيطان قد تلبسه ، تشبث الطبيب بذراع المقعد وراح يدخن مثل أبيه تماما ، ويتحدث كما لو كان يحاول ان يهدىء من ثائرة شيطان . رقد الصبي في المقعد الخلفي وتساءل عما اذا كان سيموت .

كانت هناك انفساحة ضخمة وممرات ترجع الصدى واضواء باهرة في المستشفى مع حشد من الناس في ثياب بيضاء يندفعون في ارجاء المكان في تلك الساعة المبكرة من الصباح . وفي لمح البصر وجد الصبي نفسه ، في ثوب قصير ، يرقد على عربة ذات عجلات مطاطية والطبيب ينحني فوقه بطريقة مطمئنة .

« أبوك لا يمكنه أن يذهب الى ابعد من هذا ، وسوف أبقى معك . لا تقلق ، لان دكتور ستانسيل العجوز هو افضل طبيب في البلدة ، وسوف يشق بطنك ويخرج هذا المصران الاعور العفن ، وعندما تستيقظ سنكون هناك ولن تشعر بالالم وسوف يكون كل شيء على مايرام . »

رقد الصبي في رعب . كانت بطنه توجع اكثر من اى شيء كان قد تخيله . فكر في جون مارك كوان . فكر في كل نقطة خارج القبر والسيد دورسي ، وبنات القاطعة المتحدات واحتياطي الفرقة الامريكية وجمعية النساء المشرات المتحدة والطريق المختصر المقدس الى الجائزة . عرف عندئذ انه كان سيموت . عرف انه كان يستحق الموت . حاول ان يصلي ليسوع لكنه ظل يفكر كم كانت امه ستنزعج .

وعندما دفعوه على عجلات العربة الى غرفة العمليات وصلصلة الدم لا يصدأ وهي تتألق مثل الثلج في شمس الضوء الباهر العالق في منتصف الهواء ، كف عن محاولاته الصلاة وقرر ان يموت كرجل . عض على شفتيه وكبت قبح الالم عندما نقل الى طاولة العمليات وسدت ممرضة رأسه بين ذراعيها كأنهما مهد وارته شيئا بدا مثل مصفاة شاي وقد ربط حولها قماش مما يصنع فيه الجبن . «سوف أضع هذا على انفك واريدك ان تتنفس بعمق . سوف تجد الرائحة غريبة ، ولكن لا تخف . »

نظر في وجهها وبعينين جافتين وشفتين ثابتتين أعلن اكبر كذبة في حياته ، « لست خائفا . افعلي ماتريدين ان تفعليه . انا على

استعداد للذهاب ... »

وعندما بدات رائحة الاثير الكثيفة الحلوة تخنق أنفاسه ، كـان مايزال لديه اصرار واع أن يقاوم العراك والصراخ . تنفس بعمق . كان على اسطوانة فونوغراف يدور ، يدور أسرع وأسرع ، وكـانت الاضواء تومض اكثر واكثر تألقا . وسمع صوت الممرضة . « انه افضل صبى رأيته على الاطلاق . لكنه الطف من أن يعيش . » دار بسرعة اكبر واكبر . وذابت اسطوانة الفونوغراف من منتصـــفها واصبحت دوامة . وراحت الكلمات تتواتر أسرع وأسرع ، « الطف من أن يعيش ، الطف من أن يعيش ، الطف من ان يعيش ، الطف من ان يعيش يعيش يعيش يعيش ، » واصبح كل شيء مظلمــــا وساكنا وهو يسقط . بلا نهاية والى الابد ـ الى أسفل .

استيقظ ، وهو يتقيأ ويئن ، على ادراك أنه كان مازال حيـــا . وما أن اصبح أكثر قليلا تكيفا مع الواقع ، أدرك انه كان فى حجرة عادية وان ممرضة كانت تمسك بقلم صغير تحت خده وهو يتقيـــأ . فتح عينيه . كان أبوه والطبيب عند النافذة ، يدخنان سجائر ويتفرجان على الشمس وهى تطلع . كان ألمه قد زال . مرر يدا فوق بطنه . كان الجانب الايمن مغطى بضمادة ثابتة محكمة مثل مشد . كان هنـــاك بعض الالم تحته . انزلقت يده وضربت عضوه التناسلى ، وانكمش ألما . وناظرا تحت الغطاء ، رأى عضوه مغطى بضمادة لزجة بدم أحمر قان . وكان الشىء الوحيد الذى أمكنه ان يفكر فيه هو ان افضل من بالبلدة الطبيب العجوز الدكتور ستانسيل قد ترك سكينه تنزلق .

صرخ ، « أبى »

ومندفعا فى الحال الى جانب السرير ، أجابه أبوه ، « يالله العلى القدير ، يابنى ، ما المسألة ؟ »

ارتجف الصبى ، « أوه ، يا ابى ، لقد خربونى . لقد قطع ولن أستطيع مطلقا ان اواصل حمل الاسم . »

سأله أبوه ، « ماهو الذى قطع . لم يحدث شىء سوى انك قــد اجريت لك عملية ختان . فبعد أن نمت ، ارسل الى دكتور ستانسيل انك كنت بحاجة الى عملية اخرى صغيرة وانه كان على اســـتعداد ان يقوم بها لقاء عشرة دولارات اضافية ، واخبرته أن يمضى فيها . انت على مايرام . وقد أخرج الطبيب الزائدة الدودية قبل ان تنفجر مباشرة ، وسوف تكون بخير . »

مال طبيب العائلة فوق السرير . قال يهدئه ، « انت بخير . علينا أن نعود الى البيت . ولكن دعني اقول لك شيئا عن الختان . هناك غرز حول رأس ذلك الشيء تماما مثل كرة بيسبول . ويحسن بك الا تنتصب والا فجرت كل غرزة فيه لتنفتح على آخرها » .

وبجملة تبعث الارتياح ، مضى الرجلان . وعندما أصبح الصبى ناعسا ومسترخيا ، فكر لحظة فى معنى جديد للطريق المختصر المقدس الى الجائزة . كان مسرورا لانه لم يخبر أى واحد عنه على الاطلاق .

همس ، « اشكرك ، يا آلهى ، لاننى مازلت صبيا ممن يذهبون بعيدا . »

عندما عاد الصبي الى المدرسة ، شعر أنه كان نوعا من البطلَ بالنسبة لاقرانه . كان التدريب على كرة السلة قد منع لمدة ثلاثة أسـابيع ، وقد اكد له ابوه انه كان سيستمر فى القيام بحلب الابقار طوال تلك الفترة ، كان المدرسون قلقون على رفاهيته ، وكان يستمتع بغـرور بكل الاهتمام الاضافي . وقد تبنى نظرة محتشمة باجفان مرتخية حين كان الناس يسألونه اذا كان يشعر انه بخير ، حتى أنه شرع فى التفكير فى مزايا اعتلال الصحة المزمن .

فى وقت متأخر من العصر كانت الآنسة هانكوك تشرف على قاعة درسه الوحيدة وكانت تعقد فى قاعة الاحتفالات . كانت انضباطية ذات ضمير حى ولم تكن تسمح بأى تهامس او تزاور بين الطلبة . وكانت تصر على أن يكون هناك على الاقل مقعدان بين كل شخص ، وكانت تقوم بخفارة الغرفة كما لو كان هناك امتحان يجرى . كانت ممتلئة الجسم وعالية الصوت ، ترتدى سترات صوفية أضيق من معظم المدرسات وقد شارفت بشكل ينذر بالخطر على استحقاق تسميتها « مبتذلة » .

كانت مدرسة قاعة الدرس للصف الثامن ولم تكن تقوم بتـدريس مواد لطلبة الصف النهائي . كانت هذه هى سنتها الثانية بين أعضاء هيئة التدريس ، وقد كانت معجبة مخلصة بالسيد جيل فى العـام السابق . كانت تكره الصبى . كان قد استخدم معها كل حيلة وجاذبيته بلا جدوى . كانت ترفض كل عرض للتفاهم يأتى من جانبه بعـداوة صريحة ، وعندما كان يقوم بحملته من أجل انتخابه رئيسا للفصل كانت تؤيد صراحة بطاقة البلدة . وعندما فاز تطوعت بأن تقول له انها كانت آسفة ، واحس بالغل فيها الى درجة انه كان يحاول أن يتجنبها بدقة .

كان جيدا جدا فى قاعة درسها . فقد كان يستغل الوقت فى عمل واجبه المدرسي،ولكن حتى اجتهاده بدا كما لو كان يضايقها . كانت عاجزة عن تجاهله . وفى فترات غير منتظمة كانت تنسل خلف

ظهره على حذاء ذى نعل صمغى وتطلق تعليقا ساخرا او تسأل سؤالا آثما . كان قد اقام جدارا يقى به نفسه من أسلاكها الشائكة له درع سميك الى درجة انه حتى لم ينكمش حين ابدت ملحوظة بصوت عال بالقدر الذى يكفى لان يسمعه جيرانه ، « كل الفتيات يقلن لى أن منظرك يستحق الفرجة وانت فى رداء كرة السلة . وانا اشعر بالاسف من اجلك ، » او ، « لقد اخبرنى شخص ما أن والدك يمتلك نصف حصة الصيدلية . هل هذا صحيح ؟ »

تظاهر بأنه لا يتعرف على أى سخرية فى تعليقاتها وادعى وداعة لم تفهمها . لم تكن قادرة على أن تتركه فى حاله . بعد ثلاثة أيام من عودته الى المدرسة تسللت فى صمت خلسة ، وعندما شعر بوجودها ورفع اليها عينيه ، قالت ، « ارى انك عدت . »

أجاب ، « أجل ياسيدتى . أشكرك ، يا آنسة هانكوك . »

واصلت قولها ، « لم أكن واثقة انهم أجروا لك عملية ، حتى سمعت السيد دورسى يسأل المدير اذا كان بامكاننا أن نعطيك نقطا خارج المقرر لازالة الزائدة الدودية . »

ومضت مميتة مثل ميديوزا . وبموضوعية باردة لاحظ الصبى ترجرج عجيزتها الوقح واقسم فى صمت ، بمجرد أن أقرر أننى لا اريد نقطا أخرى فى السلوك ، سوف أجعلك تتمنين لو أنك لم تسمعى بى — لا أدرى حتى الان كيف سأفعلها ، لكننى سوف أسوى حسابى معك على هذا ولو كان هذا آخر شىء افعله . دفن راسه فى كتابه وقرر أنه لن يخبر السيد دورسى بهذه المواجهة . ومع ذلك ..

واصل تفوقه فى دراسته . كتب خطبة لنادى المزارعين الامريكيين فى المستقبل تحت عنوان ، « أثر مشروع قانون الاجور وساعات العمل المقترحة على الزراعة فى أمريكا . فاز بمسابقة الخطابة الفرعية فى المنطقة معها وادخل السرور على المدير الى درجة انه منح خمس نقط أخرى لصالح الصبى . وجه المدير الدعوة الى الاب لمرافقتهم الى مسابقة المنطقة ، لكن الدعوة رفضت بأدب . وعندما فاز الصبى بالمسابقة ايضا ، منحه المدير خمس نقط أخرى . ومن حالة الاثارة التى تملكته قام بعمل مكالمة خارجية للاب لينقل اليه الاخبار الرائعة . وعندما وضع السماعة بدأ مستغرقا فى التفكير ومنعزلا للحظة ثم قال للصبى ، « ان لابيك بالتاكيد رأيا رائعا فيك هل تعرف ماذا قال لى ؟ قال « لست مندهشا مطلقا . لقد قال لى انه سيفوز ، وهو لم يكذب على قط حتى الان . ليس هناك كثير من الاولاد لهم مثل تلك العلاقة مع آبائهم . انت محظوظ . »

تمتم الصبى بشىء مهذب مستنكرا لكنه ركب السيارة عائدا الى البيت بقلب جياش . لم يكن فقط قد أرضى أباه ، لكنه كان أيضا قد ناقش صف الزراعة وربح عشرين نقطة لم يكن فى وسع أى واحد أن يدنو منها .

وفى الاسبوع التالى وزعت الآنسة بيرى قائمة بالموضوعات العامة للمقال الفورى . وتمكن الصبى من أن يقلص واحدا منها الى « المزارع الجنوبى والتشريع القومى المنتظر . » وبتغيير طفيف فى خطبته عن الزراعة ، فاز فالمرتبة الاولى على المستوى المحلى بالمقال ثم فاز على مستوى المنطقة . ولما كان رئيس فريق المناظرات فى هذه السنة النهائية فى المدرسة الثانوية ، فانه فاز هو وزميله من الصف قبل النهائى بالمرتبة الاولى فى تلك المناسبة فى اجتماع المنطقة . وقد شكل هذا مجموعا كليا من خمس عشرة نقطة فى المناظرة لهذا العام . وخمس عشرة فى المقال الفورى . وعندما وصل الربيع الى قمة ازدهاره كان استنتاجا مسبقا أنه سيكون من يقول خطبة الوداع من الصف .

وتصادف انه سمع الآنسة هانكوك في عصر أحد الايام توجه تعليمات حازمة الى فتاة في قاعة الدرس بشأن النحل الطنان الذى كان يتدلى من تحت الافريز خارج قاعة الاحتفالات وهو يطن مستقرا في مكانه . وكان ينقض من آن لآخر على نحلة أخرى متطفلة ، ليعود الى التحليق محدثا طنينا منوما في نفس البقعة بالضبط .

« يا ماريس ، هذا أسخف ماسمعت به على الاطلاق . ان كل النحل يلدغ . ولن تجلسي هناك وتقنعيني بأن هناك نحلة لا تلدغ لمجرد أن رأسها أبيض . وعلاوة على ذلك ، من ذا الذى سيقوم بفحص رءوسه مطلقا ؟ ان ذيوله هى مايسبب المشاكل . على أى حال ، أنا أخشى كل النحل لدرجة الموت ، ولا يهمنى كم تشعرون جميعا بالحرارة فلن نفتح أيا من هذه النوافذ . انت لن تختنقي ، وأنا لا أستطيع تحمل فكرة أن تدخل واحدة من تلك المخلوقات الى هنا . »

ومتظاهرا بالاستغراق فى واجبه المدرسى ، انتفض الصبى حين واتته فكرة . كان يعلم أن هناك أناسا نشأوا فى البلدة يعيشون غير مدركين للنحلة الطنانة ذات الراس الابيض . كانت مماثلة لنظيرتها التى تخشى فيما عدا انها كانت لها بقعة بيضاء بين عينيها الخضراوين اللامعتين المتعددتى الاوجه ، ولم يكن لها حمة فى ذيلها . كان قد سمع رجلا عليما يقول ان هذه كانت أنثى النوع ، وسمع فى مناسبة اخرى رجلا عليما مماثلا يقسم أن النحلة ذات الراس البيضاء كانت الذكر .

كانت النحلة الطنانة ذات الراس الابيض اضافة باهرة الى أيام دغدغة باطن الاقدام الحافية فى بواكير الربيع . وكانت رياضة تستحوذ على الانتباه ان يطوح الواحد باتجاهها يد مكنسة وهى تحلق حول أفاريز مبنى تدخين اللحوم أو مبانى المزرعة الاضافية الاخرى ، وعندما كانت واحدة تصاب بضربة قوية بعد عديد من التطويحات غير المجدية ، كان من السهل تخيل واحدة على أنها الطفل روث والواحد يتفحص النحلة المرتعشة الصامتة على الارض .

وكانت متعة اكبر ، على أية حال ، قبل أن يكبر ، ان يمسك بواحدة لامعة طنانة فى كامل نشاطها وان يسقطها فى ظهر طفل أتى زائرا من المدينة . كانت ذكرى زائرين يصعب ارضاؤهم يصرخون وهم يتوقعون لسعة لافحة تستطيع أن تثير ضحكات الصبى المكتومة . كانت لديه معلومة ضئيلة عن النحل ذى الراس الابيض وكان لديه

سبيل للوصول الى كم غير محدد منه . كانت أمه في السنين السابقة قد زرعت شجرتي ارجوان من الغابات الموجوده على تل جونز ، واحدة في الفناء الامامي ، وواحدة في الفناء الخلفي . كانت شجرتا الارجوان هاتان ، وهما تتمددان في لحن قرنفلي مصاحب لشجر القرانيا وهي في حالتها الطبيعية مستغلتين كل حرارة الشمس والوحدة التي لا ينافسهما فيها أحد ، قد نمتا بحيث اصبحتا شجرتين صغيرتين تمتد قممهما ثلاثين قدما وتمسح فروعهما الارض .

وفي كل ابريل كانتا رابيتين كثيفتين بلون أرجواني شاحب تعمران بآلاف من الحشرات الجائعة . وكان النحل الطنان ذو الرأس الابيض، على وجه الخصوص ، يعشق شجرتي الارجوان .

في عصر ذلك اليوم بعد انتهاء المدرسة استغرق الحصول على جرة فاكهة تسع ربع جالون ، ونخس ثقوب في غطائها ، وملئها بالنحل الصاخب المفعم بالحياة ، وقتا قصيرا بدون جهد كبير . ساعدته بحماسة اختيه الصغيرتين اللتين كانتا على استعداد لان تفعلا أي شيء حتى تهربا من التدرب على دروس البيانو في يوم ربيعي يغني . حتى الصبي نفسه كان متأثرا حين امتلأت الجرة عن آخرها ، وشاغلوها محشورون في صمت يتلوون بدون طنين . تعجب وهو يغلق الغطاء باحكام ، « لابد أن هناك على الاقل ستمائة نحلة بالداخل » .

سرق بكرة خيط جديدة من درج آلة الخياطة الخاصة بأمه وقضى عدة دقائق ينقعها في ماء موحل ليغير لونها . وفي الصباح التالي كان أمرا سهلا أن يقوم بتهريب جرة النحل في كيس غدائه الى داخل مبنى المدرسة وأن يختزنه في خزانته . وأثناء درس التاريخ في ذلك الصباح ، استأذن وقام بزيارة قاعة الاحتفالات الخاوية . وعند منتصف الممر تقريبا ، وخلف صف من المقاعد ، قام بربط طرف من بكرة الخيط الى رجل مقعد . ثم جررها على طول الارضية الى نهاية الغرفة واخفى البكرة خلف المقعد الذي يقع في الركن على المنصة الخلفية المرتفعة . وعند الظهر حينما كان الجميع ، بما فيهم هيئة التدريس ، يتدفأون مثل السحالي في الشمس الدافئة في الخارج ، تسلل عائدا الى قاعة الاحتفالات ، وهو يحمل هذه المرة جرة الحشرات . حملها اسفل الممر الى المقعد الذي ربط فيه الخيط . ربط الخيط الى عنق جرة الفاكهة ، وفتح الغطاء بحيث توازن بشكل

مفكك فوق النحل المحتشد الغاضب ، ووضعها معتدلة بعناية . كان من الضروري أن يجري عددا من الاشـــياء بشكل دقيق لتنجح الخطة ، ولكن كان ينبغي على الاقل الا يكون هناك شيء يورطه .

وبعد الغداء مباشرة ، عقدت الآنسة هانكوك قاعة درس لطلبـة الصف الثامن والصف التاسع في قاعة الاحتفالات . وبعد مـرور خمس دقائق من درس الرياضيات ، استأذن الصبي للقيام بزيارة الي خزانته ليأتي بالواجب المدرسي المكلف به . خف الى حافة الحائط الفاصل بين قاعة الاحتفالات والممر ، ومد يده الى أعلاها ، ووجـد البكرة . كانت الآنسة هانكوك في الطرف الاخر من قاعة الاحتفالات ، وقد عقــدت ذراعيها علي صدرها ، وهي تجوس خــلال الممرات متسللة علي نعلي حذائها الصمغيين . وكان الطلبة هادئين كالفئران

استدارت الآنسة هانكوك وبايقاع بطيء راحت تسـير عائدة الى اسفل الممر . وحين اقتربت من البقعة التي كان النحل مخبأ فيها ، امسك الصبي انفاسه وجذب الخيط . سمع صلصلة مدوية ورج الخيط ، شعر انه انقطع في مكان ما على بعد ، وبسرعة جذب الطرف المحلول وحشره في جيبه في حين سمع الآنسة هانكوك تقول ، « سالى كيت ، ما الذي اسقطته ؟ »

تحركت بين صفوف المقاعد ومالت في اللحظة نفسـها التي انطلق فيها النحل حولها من كل جانب وهو يطن . صرخت . اشتبكت نحلة في شعرها . صرخت مرة اخرى ، وشقت طريقها الى الممر الرئيسي ، وصرخت ثانية . وعندما مالت وراحت تعارك شعرها ذاته ، انطلق النحل صاعدا خلال قاعة الاحتفالات الى النـــوافذ . صرخت كل الفتيات في قاعة الدرس . طارت نحلة داخلة الى اعلى تنورة الانسة هانكوك . اطلقت شعرها وراحت تصرخ باهتياج أكبر . راح النحل يطن بصوت عال ، ويرتطم بزجاج النوافذ ، وانطلق صـاعدا الى النوافذ في الجانب المقابل . صرخ الصبية . ظلت الآنسة هانكوك تصرخ . وتصرخ . وتصرخ . جاء المدير عدوا الى داخــل قاعــة الاحتفالات .

سأل آمرا ، « أي شيء في العالم دهاكم ؟ »

ترنحت الآنسة هانكوك باتجاهه . وتشبثت بعنقه ، وبهســـتيريا مبهمة أشارت بشكل مسعور الى زجاج النوافذ الذي كان النحل يغطيه نظر الصبي الى وجهها الملتوي القسمات برضى ، وهو يلاحظ ان عينيها

تدوران مثل عيني عجلة منفعلة .
قال لنفسه ، حتى لعابها يسيل ، وهو عائد الى الفصل .
سأله مدرسه ، « ماكل هذا الصخب الذى يجرى هناك ؟ »
أجابه الصبى وهو يغلق الباب ، « لست أدرى على وجه التاكيد اظن ان الآنسة هانكوك تعانى من مشكلة مع شيء ما »
وحين كان يسير بجوار المكتب بعد نهاية اليوم الدراسى ، سمع السيد دورسى يخاطب المدير ، « مستحيل . فقد كان لديه درس رياضيات فى تلك الفترة . »
وأجابه المدير ، « حسنا ، ويستحيل أن تكون سالى كيث جاكسون الصغيرة . » وقهقه ، « كنت أتمنى لو انك رأيت المنظر ، يادورسى . لقد أمضيت خمس عشرة سنة فى العمل المدرسي ، وكان ذلك أشد منظر أثارة للضحك رأيته على الاطلاق . »
ويبدو أن الحادث كان له أثر طيب على الآنسة هانكوك . فأولا أصبحت تميل الى قضاء معظم وقت قاعة الدرس فى آخر قاعة الاحتفالات وتوقفت عن القيام برحلات منتظمة صعودا وهبوطا فى الممر وثانيا اصبحت تبدى ملاحظات ساخرة اقل للصبى ، وكانت هناك فترات كاملة تهمله فيها تماما .
وفى عصر يوم جمعة جاءت الى مقعده وخاطبته بنبرة عذبة ناعمة الى درجة أن الصبى تلوى منزعجا .
سألته ، « هل تسدى لى معروفا كبيرا ؟ »
« أجل ياسيدتى ، اذا استطعت . »
« لقد تسلمنا مرتباتنا عصر اليوم ، وانا ذاهبة الى بيتنا فى كارولينا الشمالية لقضاء عطلة نهاية الاسبوع . ومشكلتى أن البنك سوف يغلق أبوابه بعد عشرين دقيقة . وحافلتى تغادر بعد المدرسة ، ولن يكون لدى وقت لصرف الشيك الخاص بى قبل أن اركب الحافلة . وهذه هى النقود الوحيدة لدى لدفع اجرة الحافلة ، وأخشى أن السائق لن يكون لديه صرافة . »
صمتت ، بل انها افتعلت ابتسامة على الرغم من انها لم يكن لديها التمالك الذى يمكنها من مواجهة تحديقة الصبى المباشرة . « والشيء الذى اتساءل عنه هو ما اذا كان لديك مانع فى أن تذهب الى البنك قبل أن يغلق أبوابه وان تصرف لى الشيك ؟ فانت تحصل على تقديرات جيدة بحيث يمكنك بالتأكيد ان تفوتك قاعة الدرس ، وسوف يكون

هذا حقا معروفا كبيرا تسديه لى ؟ »
« يا آنسة هانكوك ، انت تعلمين ان المدير صارم جدا بشأن وجود الطلبة فى الشوارع . ولديه قاعدة تقول أنك اذا ضبطت فى البلدة بدون مبرر مكتوب ، فانك تجلدين آليا . هل ستكتبين لى مبررا ؟ »
« أوه بالتأكيد . » وشرعت المدرسة تكتب على عجل على قطعة من الورق . اخرجت الصك الازرق وصدقت عليه . نظرت الى ساعة معصمها ، وهى تدفع بكلتا الورقتين فى يد الصبى ، « ولكن يحسن بك أن تسرع . فلم يبق الا خمس عشرة دقيقـــة على اغـــلاق البنك . »
وسعيدا بمبرر لان يكون فى الخارج فى هذا الطقس الجميل ، قبل الصبى المهمة من هذا العدو الرئيسى بل انه تظاهر بالود . « سوف يسعدنى أن أقوم بهذه المهمة ، يا آنسة هانكوك . كيف تريدين نقودك ؟ » .
اجابته المدرسة ، « أوه ، لا يهم . لا ابالى . لا اريد اى اوراق نقدية كبيرة وسوف احتاج الى بعض الصرافة بسبب سائق الحافلة ، ولكننى لا ابالى حقا . انك لطيف للغاية ان تفعل هذا من أجلى ، ولكن يحسن بك أن تسرع ! »
وحين كان يمر من تحت أشجار البلوط التى تقع أمام بيت آل كليبر ، وهى مشرقة متمايلة بخضرة اوراق الربيع المتفتحة الجديدة ، انتابه الغضب . تمتم ، « الخنزيرة العجوز ! تقضى العام كله تعاملنى ككلب ثم حين تريد شيئا تتملقنى كما لو كنت أبله . انها تظن أننى قد نسيت كل الاشياء التى قالتها ؟ تراودنى فكرة أن أخبرها بأن البنك أغلق ابوابه قبل أن أصل الى هناك وان اعيد اليهـــا صـــكها القديم . »
مضى الى أن وصل الى سور الآنسة روكسى الذى صنع من أوتاد وكان يضم شبكة ممرات البقس المشذبة فى الفناء الامامى الضـــيق الانيق . كان مايزال هناك مايكفى من الياسمين الاصفر مزدهرا فوق الشرفة الامامية ليعطر الرصيف . ومضت فى ذهنه فكرة ، معتمـــة ، ثم توهجت بوضوح ملهم . قال بصوت عال ، « يالله ، ذلك رائع . سوف أريها للمرة الاولى والاخيرة بمن كانت تبعث . »
حين دخل البنك ، وجد السيد بانيستر ، طويلا ونحيلا فى ثياب بيضاء ، يجلس الى مكتب فى الركن مع السيد تشارلى رينولدز ،

الذى كان ممسكا بسيجار في فمه وقبعته مدفوعة الى خلف راسه .
كان الرجلان مستلقيين فى مقاعدهما واقدامهما مرفوعة على المكتب .
كان ابهاما السيد تشارلى مدسوسين فى حمالتي سرواله .

قال الصبى ، وهو يتذكر القاعدة الاجتماعية ان السيد الاصغر سنا كان دائما يخاطب اولا السيد الاكبر سنا ويتذكر ايضا ان يتكلم بصوت عال بالقدر الذى يسمعه به السيد بانيستر الاصم ، « كيف حالك ، ياسيد رينولدز . كيف حالك ، ياسيد بانيستر . » وعندما تحرك باتجاه صندوق الصراف ، سمع السيد رينولدز يقول : « من ذلك الفتى اللطيف ، ياويس ؟ انه فتى رائع . »

« لماذا ، ياتشارلي ، ذلك ابن بورتر أوزبورن . انت تعرفه . »

وبعد فترة صمت ، سمع اجابة السيد رينولدز ، « بالطبع أعرفه . انه يحذو حذو امه ، اليس كذلك ؟ »

وعندما مال السيد كرانفورد سيمز ، الصراف ، فوق القاعدة الرخامية التى كانت تتغلغل فى قضبان نافذة الصراف ، تظاهر هو والصبى بأنهما لايسمعان .

ساله بغنة انفية ، وهو يمسك بمبسم سجائر عنبرى فى أحد طرفيه سيجارة كاميل تشتعل بجنون ، « ما الذى استطيع أن أؤديه لك ، يابورتر الصغير ؟ » كان الجميع فى البلدة يحبون سيمز ، ولم يكن الصبى استثناء .

شرح له الصبى وهو يدفع الصك عبر الرخام ، « الآنسة هانكوك تريد صرف صك مرتبها ، ياسيد كرانفورد . سوف تلحق بالحافلة المتجهة من هنا الى كارولينا الشمالية ولم يكن لديها وقت لتحضر بنفسها قبل انصراف المدرسة . »

« حاضر . انه مصدق عليه وكل شيء . » استدار الى درج النقود .
« هل تعرف كيف تريده ؟ »

« أوه ، نعم ياسيدى . انا مسرور لانك سالتنى . لقد شددت على ذلك . انها تريده كله فى شكل بنسات . »

اختنق السيد سيمز فى دخان سيجارته ونظر الى الصبى .
« لا يمكن بأى حال ان تريد كل هذا فى بنسات . فهذا الصك بسبعة وتسعين دولارا » .

واجه الصبى نظرته المتسائلة بصدق ازرق العينين ، دون أن تطرف نظرته ، « مؤكد أن هذا خبل ، اليس كذلك ، ياسيد فرانفورد ؟ انها

ذاهبة لقضاء عطلة آخر الاسبوع ، وربما كان هناك عديد من الاطفال أو شيء من هذا القبيل . لا أدرى لماذا تريده هكذا ، لكن من المؤكد أن هذا ماقالته لى . انها مدرسة صارمة ، وانا لم أسألها عن السبب . أنت تعرف ما اعنيه . انها من كارولينا الشمالية . هل لهذا علاقة بالامر ؟ او ربما كان الامر أنها امراة . لست واثقا لماذا تريده هكذا . اليك المذكرة التى اعطتنى اياها لاحضر الى البلدة ، على أية حال ، اذا كنت تريد أن تراها . »

كانت نظرة السيد سيمز المحدقة هي التي انفصلت أولا ، «حسنا. انني أصدقك . » مد يده فى الدرج واخرج لفافات عملات كلها ملفوفة في ورق بني ثقيل وكومها امام الصبى على القاعدة الرخامية . « لا يمكنني أن أفعل هذا . فليس لدى سوى أربعين دولارا في شكل بنسات . »

طمأنه الصبى بابتهاج ، « هذا على مايرام . اعطنى الباقي فى خمسة سنتات . فقد اخبرتنى ان احصل عليها فى أصغر صرافة ممكنة . »

وحين شرع السيد سيمزيكوم لفات الخمس سنتات ، هز الصبى راسه برصانة . « أنا لا اعنى اى قلة احترام ، ياسيد كرانفورد ، لكن تلك السيدة لابد مخبولة . هل تدرك أن هذا يبلغ أربعة آلاف بنس ؟ ذلك اكثر مما يمكن أن يحتاجه احد ! »

أجاب السيد سيمز ، وفى صوته تتسلل نبرة حماسة حين أصبح متورطا فى المشروع ، « هذا مؤكد ، يابني . وهل تعلم شيئا آخر ؟ ليس لدى سوى أربعين دولارا فى شكل خمسة سنتات . وذلك يعنى انها لن تحصل الا على ثمانمائة منها . » ونظر من فوق نظارته التي كانت بلا اطارات . « اظنك تريد الباقى في شكل قطع من عشر دولار ، اليس كذلك ؟ »

قال الصبى بثبات ، « نعم ، ياسيدى . بالضبط مائة وسبعين منها ، أعتقد . ومن المؤكد أنني ارجو الا يخيب ظنها . »

« حسنا ، أخبرها أننا بذلنا مافى وسعنا لمثل هذا الاشعار القصير . سوف تحتاج الى جوال لتسحب كل ذلك الى مبنى المدرسة . » واخرج جوالا صغيرا ثقيلا كان يبدو مثل كيس تسوق من الخيش ، وقد حيك باحكام وزود بمقابض من الخيش . وكوم هو والصبي معا لفات العملات بداخله .

« شكرا جزيلا ، ياسيد كرانفورد . أرجو الا أكون قد أخرتك عن اغلاق أبواب البنك . فأنا أرى أن السيد تشارلي والسيد بانيستر قد اتجها بالفعل الى محل فورد . »

« أوه ، لا ، يابورتر الصغير . فقد أغلقت كل الابواب فى الخلف . وكل ماعلى أن أفعله هو ان أغلق السرداب وان اغلق الباب الامامي بالقفل . لقد تأخرت بضع دقائق ، لكن ذلك لايهم . »

عندما رفع الصبى جوال العملات وغادر البنك ، أدرك أن رحلته الى المدرسة سوف تكون عملا شاقا . قال لنفسه . لابد أن هذه الاشياء اللعينة تزن ثلاثين رطلا . لم أكن أعلم أن العملات تأتى ملفوفة فى لفات بهذا الشكل . حدق داخل الجوال ، تمتم ، « انها بالتأكيد تبدو رسمية وتشكل فوجا من الجنود بهذا الشكل . ليس هناك شىء مثل كومة من كنز نفيس يمكن لسيدة أن تدس فيه يديها بانغماس مبتهج . »

توقف تحت الاشجار أمام بيت الآنسة بيرل ولزى وجلس القرفصاء افرغ الجوال ، وفك كل لفة بعناية واعاد ملء الجوال بعملات مفككة ، القطع ذوات العشر دولارات فى القاع ، والقطع ذوات الخمس سنتات فى الوسط ، والبنسات اعلاها . كانت الحمولة المنتفخة من العملات المعدنية العارية أكثر مدعاة للارتياح بالنسبة له .

سمع ساعة دار القضاء تئن ثم تدق نصف الساعة . قال لنفسه . يا الهي ، يحسن بى أن أسرع . قذف باللفائف الفارغة تحت شجيرة الآنسة بيرل وشرع يمشي بأسرع مايمكنه ، وهو يبدل الحمولة بين يديه مرارا . ربما تنال علقة العمر على هذا ، لكنها تستحق هذا .

عندما دخل المدرسة ، كانت الانسة هانكوك تنتظر وحقيبة ملابسها عند قدميها . كانت قد ارتدت قبعة وقفازات بيضاء قصيرة . كانت بكل وضوح قد ارتدت أبهى ملابسها للسفر . وكان السيد دورسى ، المالك الجديد لسيارة قديمة ، قد احتيل عليه ليقلها الى الحافلة ، وكان يقف الى جوارها ، يثرثر مع مدرستين .

هتفت ألآنسة هانكوك ، « شكرا لله انك عدت . فحافلتى تغادر فى ظرف خمس عشرة دقيقة ! اين كنت ؟ كنا نرتب للتو حتى نأتى لنبحث عنك . وقد ظننت انك ربما كنت قد ضللت الطريق أو سرقت او شيئا من هذا القبيل . »

تقبلت جوال العملات المقدم لها دون أن تنظر اليه ، وهى تتدلى

يمينا تحت ثقله . وسألته ، « لماذا تعطيني هذا الجوال لامسكه ؟ انه بالتأكيد ثقيل . سوف تفوتني الحافلة اذا لم أسرع . اين النقود ؟ . . ماذا تعني ، انها في الجوال ؟ . . أوه ، أوه ، أوه . . . انا لا اصدق . . انت فعلت . . أوه ، سوف اقتلك ايها ال . . . » اما وقد كانت العملات تعوقها ، فانها رفعت يدها اليسرى متوعدة .

اجابها الصبي ، « ولكن ، يا آنسة هانكوك ، لقد سألتك كيف كنت تريدين تلك النقود ، وقلت بوضوح انك لم تكوني تبالين . وقد خطر لي وانا في الطريق الى البلدة أن هذا سوف يكون رومانسيا ، كأنك تحملين صندوق كنزك او شيئا من هذا القبيل . »

وعندما ارتجفت وجذبت نفسا عميقا ، أضاف بنبرة مواسية ، « انه يبدو كما لو كان أكثر بكثير مما هو حقيقة . »

قاطعه السيد دورسي ، « يا آنسة هانكوك ، يحسن بنا أن نذهب اذا كان على ان اوصلك الى تلك الحافلة في الموعد . هيا ، دعيني احمل ذلك . انه اثقل من حقيبة الثياب . » والتفت الى الصبي ، « يحسن بك ان تذهب الى غرفة مراجعة الحضور وتنصرف . »

وعندما تحرك مبتعدا ، حمل الصبي معه صورة عيني السيد دورسي الخضراوين تلمعان على وجه أحمر من تحت الحاجبين المائلين وتساءل ، كيف يمكن أن يضحك دون ان يحرك فمه ؟

بعد ذلك ببضعة ايام ، ارسل المدير يستدعيه الى المكتب وشعر الصبي أن لحظة الكشف كانت وشيكة الوقوع. فكر مليا في العلاقة الرائعة التي كان قد استمتع بها طوال العام مع هذا الكائن الرفيع ، وقرر أن يتلقى عقابه كرجل . ففي النهاية أنت تستحقه ، هكذا أكد لنفسه . دخل المكتب بغصة في حلقه ورجفة في شفته السفلى يمكنه أن يتحكم فيها فقط بأن يعض على الشفة باحكام .

أعلن عن وجوده للشخصية الشقراء الطويلة القامة التي كانت تقف بجوار النافذة ، « نعم ، ياسيدي ؟ »

« آه ، أجل ، يابورتر ، أو ياسامبو كما يسميك ابوك . اريد أن احادثك في أمر ما . انت رئيس الصف النهائي ، وقد أضيف الى هذا انك قد اديت عملا طيبا في هذا الخصوص طوال العام . حسنا ، هناك شيء اريدك ان تعرضه على الصف . فقد اتى الى هنا رجل صاحب مؤسسة يقوم بتأجير القبعات والاردية الجامعية للصفوف التي تتخرج ، وقد قررت أنها ستكون شيئا جيدا ان يفعل هذا الصف ذلك . »

سأله الصبي وهو يحاول أن يعيد ترتيب توقعاته ، « ماذا تعني ؟ انه سيؤجر لنا القبعات والاردية لنتخرج بها ثم نعيدها اليه ثانية ؟ كنت أظن أن عليك أن تكون في كلية جامعية حتى تفعل ذلك . وعلاوة على ذلك ، الن يكلف هذا كثيرا من المال ؟ »

« سوف يؤسس هذا بالتأكيد سابقة ، دون شك . لهذا اردت أن أشرح الامر لك وادعك تعرضه على طلبة الصف النهائي . سوف يتكلف ايجار هذا الرداء الخاص ثلاثة دولارات ونصف ، لكنكم سوف ترتدونه ثلاث مرات ــ في يوم الاحتفال بتخرج الصف . ويوم موعظة الثانوية العامة ، وفي ليلة التخرج . ان معظم الفتيات يحاولن شراء ثلاثة أثواب مختلفة لهذه المناسبات ، ومن المؤكد أن هذا سيوفر لهن بعض المال .

« واذا كنت لا تعرف ، فمازالت الايام حولنا هنا صعبة تماما . وهناك في صفك بعض الطلبة الذين لا يقدرون على شراء ثلاثة اردية مختلفة . والشيء الآخر بخصوص هذه القبعات والاردية هو أنهما كلها متشابهة تماما . »

قاطعه الصبي ، « يا آلهي ، لا ادرى . لقد سمعت مسبقا بعض الفتيات يتحدثن عن ارتداء ثياب بيضاء طويلة وحمل ورود حمراء ، وهن يتصرفن بحالة اثارة كاملة عن هذا الاحتمال . »

« تلك هي النقطة بالضبط . ان الامر يتعلق ببعض الفتيات . كم منهن لاحظت انهن لم يقلن أي شيء عن هذا ؟ كم منهن لاحظت انهن يلجأن الى الهدوء تماما أو يتظاهرن بانهن منشغلات بشيء آخر عندما يطرق هذا الموضوع ؟ انني أقول لك شيئا واحدا . انني ارجو الا أرى حفل تخرج آخر تكون فيه بعض الفتيات محرجات لان ثيابهن ليست جميلة أو لانهن لايقدرن على شراء اية زهور فيما عدا ماقد يكون لدى امهاتهن في الفناء .

ان حفل التخرج هو أكبر مناسبة تحدث لبعض هؤلاء الصغيرات ، وهو بنفس القدر من الاهمية ان لم يكن يزيد بالنسبة لابنة مزارع مستأجر تماما كما هو بالنسبة لابنة عمدة . سوف تلبس الفتيات قبعات واردية بيضاء والاولاد يلبسونها سوداء ، ولن يستطيع احد أن ينظر الى مايلبسون ويستخدم هذا كتقدير لما يملكه والد شخص ما في البنك . » تحكم في درجة انفعال كلماته وسأل ، « ما رأيك في هذا ؟ »

ومتذكرا ميفيس وصديقتيها في حفل استقبال طلبة الصف قبل النهائي وطلبة الصف النهائي في العام السابق ومستعيدا زياراته لبيت سالي فيتزجيرالد ، اجاب الصبي ببطء ، « انه رائع للغاية ، وانا اشعر بالخجل لانني لم افكر في هذا الامر بنفسي . »

قهقه المدير ، « حسنا ، لماذا لا تتظاهر بانك فعلت . تلك التفصيلة غير مهمة . »

سأله الصبي ، « أنت تعلم ان هذا سوف يثير ضجة في الصف ، اليس كذلك ؟ وسوف تسمر بعض فتيات البلدة راسي الى باب الحظيرة . ليس هناك سبيل الى أن استطيع ان اعالج هذا الامر من خلال اللجنة وان احافظ على الاشياء لطيفة من على السطح كما كنا نفعل طوال العام . سوف يثير هذا ضجة كبيرة وسوف يكون هناك بعض النساء الغاضبات الى الابد ، وسوف ينشدن اسالة الدماء . »

اجابه المدير ، « لم اكن اعلم انك كنت لتتراجع عن هذا . انظر ماذا يمكنك أن تفعل في هذا الخصوص ، واذا احتجت الى لاتحدث الى الصف ، فسوف يسعدني ان أفعل هذا . »

وعندما استدار الصبي ليغادر ، تجمد في مكانه . قال المدير بصوت يكاد يكون عرضيا ، « الآنسة هانكوك جاءت لمقابلتي . »

« أجل ياسيدي ؟ »

« كان دورسي قد أخبرني مسبقا عما حدث ، وقد قضيت عطلة نهاية الاسبوع أفكر فيه . »

قال الصبي مرة اخرى ، « أجل ياسيدي ؟ » وهو يفكر لوهلة قصيرة في السيد جيل ، ويشعر بوخز خفيف في ردفيه .

قال المدير ، « كانت الآنسة هانكوك ماتزال تستشيط غضبا ، لكنني اخبرتها ان ارسال طالب الى البلدة كأداة نفعية لمدرسة لديها السلطة على أن تكتب مذكرة كان أمرا يستحق التوبيخ تماما مثل طالب يذهب الى هناك لاداء عمل خاص به دون أن يكون لديه مذكرة . وأخبرتها أيضا أنني كنت ادرك أنها كانت تضايقك على نحو متصل طوال العام ، وان هذا كان امرا شخصيا بينكما انتما الاثنان وانني اتوقع ان يكف هذا على الفور بهدنة للمدة المتبقية من العام . هل تظن أنه بوسعك أن تتصرف وفق هذا ؟ » .

وعده الصبى وهو يشعر بالارتياح ، « أوه ، اجل ، ياسيدى ، أجل سيدى . لن يكون ذلك مشكلة على الاطلاق . »

« انتظر لحظة فقط . كلانا يعلم ان ماقمت به كان عملا شيطانيا ، واننى يجب ان ابليك ضربا . » صمت ، وقهقه ، واضاف ، « كيف امكنك انت ان تقنع اى انسان بان يعطيك هذا القدر الكبير من البنسات أيها الوغد . »

لم يستطع الصبى أن يثق فى الموقف بالقدر الذى يكفى للاعتراف بأى استرخاء فكاهى فيه ، لكنه أجاب قائلا ، « لم يكن ذلك سهلا . »

وراح يعدو تقريبا فى البهو .

لم يكن من السهل اقناع طلبة الصف النهائى بتقبل القبعات والاردية كانت العملية الفعلية بسيطة للغاية وكان التصويت بالايجاب ساحقا ، لكن الترتيب لها والآثار المترتبة عليها كانت مدمرة عاطفيا . اصبحت حربا طبقية تقريبا ، وكان الصبى متورطا فى منتصفها تماما. واكتشف انه طالما انه كان يشعر بانه على حق ، فانه كان بامكانه أن يواجه العداء والغضب برباطة جاش .

كانت حربا نسوية بشكل تام . لم يكن الاولاد يهتمون قلامة ظفر ماذا يرتدون وأدلوا بأصواتهم ليرضوا الفتيات اللاتى كانوا يشعرون بالولاء نحوهن فقط لاغير . ورغم المشاعر المتضاربة وفى وجه الضغط الذى جاء من الفتيات اللاتى كان يعجب بهن حقا ، الا أن الصبى ناقش بحمية فى صف السابقة الجديدة . تمنى لو انه كان بامكانه أن ينسى بعض الاتهامات والاحتجاجات العنيفة . وعندما انتهى كل شىء ، على الرغم من انحيازه الصلب الى غالبية أقرانه . شعر بندم صادق لخيبة أمل فتيات البلدة المحبطات . كان يعلم أنهن كن يكرهنه . لم يكن وحيدا لمدة عام تقريبا ، والآن راح يرحب باحتمال الوحدة بصفتها صديقا عائدا .

عندما انتهى من كتابة خطبة الوداع ، بحث عن السيد دورسى وطلب منه أن يقرأها . وفى منتصفها تماما ، توقف السيد دورسى ، وشمر كم قميصه وقال ، « انظر الى هذا ان جسمى يقشعر ! وذلك يعنى أن هذا لابد أن يكون جيدا . »

نسى الصبى على الفور انه كان وحيدا على الاطلاق فى حياته .

وقال السيد دورسى فيما بعد والصبى يعيد الخطبة الى دفتره ،

« هناك شيء ينبغي علي أن أخبرك به . هل تذكر الخريف الماضي عندما أخبرتني عن الطموح الذي كان لديك الى الحصول على امتياز بدرجة الشرف الاولى ؟ وقلت لك انني راجعت سجلك وانه كان يبدو انك كنت متقدما قليلا ؟ حسنا ، لقد كنت قد فزت بها دون حاجـة الى مجهود أكثر حتى عند ذاك . لم يكن هناك شك مطلقـا فيمن سيفوز بها . »

واضاف اجابة على السؤال الذى كان يشرق فى عينى الصبى ، « أردت فقط أن ارى مايمكنك ان تفعله لو انك حاولت حقا وما اذا كان لديك قليل من التوجه . »

« اجل ، وشغلتنى وابقيتنى بعيدا عن المشاكل طيلة العام . »

وبضحكة بعينين نصف مغمضتين ، صححه السيد دورسى ، « تقريبا طول العام ! » وضرب الصبى بين كتفيه بقوة الى درجة أنه وقـع تقريبا . قال ، « تهانئى ! »

وفى ليلة التخرج ، دخل طلبة الصف النهائى فى طابور الى قاعة الاحتفالات وهم يبدون مدرسيين وجادين بشكل مؤثر وهم يرتدون قبعاتهم واورديتهم ، كان لكل طالب شخص مابين الجمهور فخورا الى حد الانفجار . لم يعلق أحد على أن معظم الخريجين كانوا يوازنون قلنسواتهم الجامعية كما لو كانت برقابهم تشنجات . وكانت هناك فتاتان ماتزالان غاضبتين كما لو كانتا قد سلبتا ثوبيهما الابيضـين وورودهما الحمراء الى درجة أنهما همستا للصبى ، « أرجو أن تكون راضيا . » غير أن الموكب لم يفسده شيء آخر . كان الصبى مفعما بالذكريات الى درجة أنه كان يغص بالدموع تقريبا . وقد خفف من العاطفة التى كان يشعر بها تجاه زملائه وعيه بوجود أبيـه على خشبة المسرح . كان هناك بصفته مشرفا على المدارس ليقوم بتسليم الدبلومات . وكان يرتدى حذاء أبيض جديدا من جلد الغزال لهـذه المناسبة وبدا أفضل مما بدا والد أى واحد ابدا .

وخلال الابتهال وخطاب المتكلم الزائر ظل الصبى يتذكر أحـداث السنوات الاربع الماضية التى امتزجت فى هـذه اللحظة . تعجب لعدد الذكريات التى كانت تدور حول أبيه والعدد الاكبر منها الذى كان يضمه . لاحظ ان هذه كانت المرة الاولى منذ الصف الثـامن وباتريك هنرى التى كان الاب سيسمعه فيها وهو يتكلم فى مناسبة عامة . اقسم أن يبذل قصارى جهده فى خطبته الليلة ، لا من أجل

زملائه ، ولا من أجل السيد دورسى ، ولا من أجل نفسه ، وانمـا من أجل أبيه . قال لنفسه ، اننى مدين له بالكثير .

عندما حان دوره فى البرنامج ، كان هادئا ، متحكما فى نفسه ، وبليغا . استخدم كل حيلة تعلمها على الاطلاق من السيدة باركر والقى خطبة الوداع بثقة كبيرة . وعندما وصل الى نهايتها ، شرع فى قراءة نصيحة رديارد كبلنج للشباب ، وهو يتذكر الا يكون رتيبا أو أن يستسلم للوزن فى القاء الشعر .

اذا استطعت أن تحتفظ براسك فى حين أن كل من حولك يفقدون رءوسهم ويلقون باللوم عليك .

وبعد بضع دقائق اختتم بـ ،

اذا استطعت أن تملأ الدقيقة التى لا ترحم
بما يساوى ستين ثانية من سباق المسافات ،
فالارض لك وكل ماعليها ،
وسوف تكون ماهو أكثر ، رجلا ، يابنى .

وحين استدار يصاحبه التصفيق ليعود الى مقعده بين رفاقه ، واجه أباه . التقت عيناهما للحظة . لم يتبادلا غمزة . ولم يتحرك تعبير يستطيع آخر أن يكتشفه ، لكن الصبى شعر أنه قد تقبله واستحسنه بطريقة وعمق لم يجربهما مطلقا من قبل .

وعندما قام المدير بتقديم أبيه ، تذكر الصبى حفلات تخرج سابقة والخطب القصيرة المؤثرة التى كـان أبوه يلقيهـا دائما . فمـرارا كان يصبح عاطفيا الى درجة أن أولاده كانوا يشعرون بعدم الارتياح بل ومن آن لآخـر محرجين . كان يرجو الا تكون هناك اشارات شخصية اليه أو الى دوره فى البرنامـج . توتر . نبض الاب ؛ وسار الى الطاولة التى كومت عليها الشهادات ، وباكتاف مشدودة وقف انتباها .

قال الصبى لنفسه ، أوه ، يا الهى ، انه يبدو مثل لواء يستعرض قواته . سوف نسمع شيئا عن الحرب العالمية . انه يبـكى دائمـا ويجعل كل واحد آخر يبكى حين يسـتخدم الحرب العالمية فى خطاب .

سكن الجمهور . ووقف الرجل الطويل المعتدل القامة بثبـات مسيطر . ومرت لحظة طويلة . كان الصمت شاملا . مد الاب يده ،

وتناول الدبلوم الاول وترنم بالاسم المكتوب عليه . كان التخرج يصل الى نهايته .

وعندما كان الصبى يعبر خشبة المسرح ليتسلم شهادته ، لم يكن بامكانه أن يتبين اى نظرة خاصة فى عينى ابيه . لا ولم يشعر بأن المصافحة القوية كانت مختلفة فى شىء عن المصافحة التى استعملها مع اى طالب آخر . وعندما عاد الى مقعده قال لنفسه ، ارجو أن يكون لديك ادراك بالقدر الذى يكفى لان تعلم أن تلك المصافحة كانت أعظم اطراء امتدحتنى به على الاطلاق . وعندما أحنى رأسه ليتقبل منح البركة ، اغرورقت عيناه بالدموع واضاف ، أرجو أن تكون قويا بالقدر الذى يكفى لان تعمل وفقا لذلك .

بعد ذلك بثلاث ليال أوقظ من نوم عميق . كان ابوه يهزه .

« استيقظ ، ياسامبو . اريد ان اتكلم معك . »

طرفت عينا الصبي وفتحهما على اللحظة الحاضرة ، وتعرف على رائحة الويسكي الحامضة الحلوة في عملية التمثيل الغذائي ، تلك الرائحة التي كانت تنفثها رئتان نشطتان ، واستيقظ تماما .

أجاب ، « اجل سيدي . ماذا هناك ؟ »

« أنني أكره أن افعل هذا ، ولكنني اريدك ان تعرف شيئا من مصدره الاول . أريدك أن تسمعها مني قبل أن تسمعها في اي مكان آخر . » كانت نبرته تنذر بكارثة الى درجة ان الصبي جلس منزعجا .

« أنت لم تدخل السجن مرة اخرى ، اليس كذلك ؟ »

أجابه الاب ، « بلى ، بلى . لا شيء من هذا . » صمت ثم واصل كلامه ، « لقد اوسعت لتوي صديقا حميما لك ضربا ، وانا أدرك الان انني لم يكن ينبغي علي أن افعل ذلك . »

شهق الصبي ، « أوه ، يا ابي . هل كان السيد دورسي ؟ ماذا فعل ؟ او قال ؟ »

قاطعه الاب ، « اصمت دقيقة فقط ، يابني ، ودعني اخبرك بالامر ياللجحيم ، لا ، لم يكن دورسي . جاء ويس الى البلدة عصر اليوم واستدعاني للخارج . وانت تعلم أنه ليس لديه محصول خاص به الآن مع جدتك لكنه قرر انه كان يريد أن يعمل هذه السنة كلها كعامل أجير . كنت قد أخبرته أنني لم يكن لدي مانع وانه كان مايزال بامكانه ان يحتفظ ببيته والخشب مجانا ، وكان كل شيء يسير على مايرام . »

صمت ، وعدل كتفيه في سترته ، ومط عنقه . ادرك الصبي ، على الرغم من ان رائحة الويسكي كانت قوية للغاية ، ان أباه كان يتكلم ببساطة وفصاحة بدون تآكل كلمات ولا استعارات فخمة .

قال لنفسه ، يا الهي ، لقد أستعاد وعيه مسبقا .

واصل الاب حديثه ، « علي اى حال ، أخبرني ويس عصر اليوم ان بدى كان قد ذهب اليه فى بيته وقت الغداء وانخرط معه في حديث . انت تعلم انه ظل يعيش مع كارسون كليفتون منذ ان تزوج حسينا ، اخبر ويس ان احد عمال كارسون قد انتقل الى ديترويت في منتصف الليل . وقد ترك بيتا خاليا وعشرة افدنة قطنا شذبت مسبقا ، وانه يبدو أن كارسون يبحث عن شخص يتولى أمر المحصول . وتقدم بدي بعرض قائلا لويس كم أن بيت كارسون افضل من بيتنا . واخبره انه اذا لم يكن يريد أن يتقاسم محصول القطن ، فان السيد كارسون سوف يعطيه خمسين سنتا يوميا فوق ما ادفعه له لمجرد ان يأتى ليرعاه . ويبدو أن بدى كان ودودا للغاية ومقنعا جدا بشأن متع العيش فى مزرعة كارسون كليفتون بما يكفى على الاقل لان يأتى ويس الى البلدة ليرى أن كنت اريد زيادة أجره . »

تدخل الصبى ، « وأوسعت ويس ضربا . »

قال الاب بنبرة نفاد صبر ، « يا للجحيم ، لا . لم المس ويس باصبع . لقد ظل معنا مايزيد عن عشرين عاما ، بل لم أقل أى شىء له . نظرت فى عينه مباشرة تماما لمدة دقيقة . شرع يتلوى ويتململ ثم اكد لى انه لم يكن يريد رفع اجره ، وانه كان يريدنى فقط ان اعرف ان زنجيا يتدخل فيما لا يعنيه كان يعبث بعمالى وأننى كنت افضل رجل رئيس فى العالم .

« اخبرته انه قد احسن التصرف واعطيته دولارين ليشترى لنفسه حلة عمل جديدة . لم ارفع صوتى قط علي ويس . لم تكن بى حاجة الى ذلك . »

حملق الصبى بصمت كصمت البوم ، وواصل أبوه حديثه ، « عدت الى الصيدلية وشربت كأسا او كأسين وفكرت فى الموقف . وانت تعرف ان الشيء الوحيد الذى ينبغى عليك عمله هو أن تعتنى بعمالك عليك أن تجعلهم يعرفون أن بامكانهم الاعتماد عليك حتى تساعدهم اذا كانوا فى مشكلة وان تعطيهم نقودا اضافية فى حالة طارئة او أن تحول دون أن يضايقهم احد . وتأتى أوقات ينبغى عليك فيها ان تفعل شيئا لا تريد ان تفعله حقا لانك اذا لم تفعل فسوف يسوء كل شيء . »

صمت ، وسأله الصبي وهو لايصدق ، « وجلدت السيد كارسون كليفتون ؟ »

« لا ، لم اجلد ابن العاهرة ذلك ، على الاقل لم اجلده بعد . ربما كان هو الشخص الذى كان ينبغى ان انال منه ، وربما ما أزال في حاجة الى ان افعل هذا . لا ، قررت ان كل من له علاقة بالموضوع يجب ان يلقن درسا حقيقيا ، وبقدر ما كنت أكره ذلك ، ذهبت فى أثر بدى . »

همس الصبي ، « لا ، لم تفعل ! ليس بدى ! »

« أجل ، فعلت . ألا ترى ؟ الامر كما كان حتى ويس يقول . لا يمكنك أن تدع الزنوج يعبثون بأعمال الناس البيض . ذهبت الى بيت بدى لالقنه درسا ولاجعل الجميع يعلمون أننى متحكم فيما يحدث لرجالى . كل ماكنت أنوى ان افعله هو ان أكيل له بعض الصفعات وان أخيفه تماما . »

« أوه ، لا ؛ أنت لم تؤذه ، أليس كذلك ؟ »

أجابه الاب ، « ذلك ماسوف أصل اليه ، وذلك هو الجزء الذى أكرهه حقا وذلك هو سبب ايقاظى لك لاخبرك به . لم يشأ ان يجيبنى ، وكان على ان اركل باب بيته لافتحه . كان فى السرير مع زوجته ، أنا آسف أنها كان عليها أن ترى الموقف كله .

طلبت منه أن يغادر ذلك السرير ، وان جلدا كان بانتظاره لازعاج عمالى ومحاولته التدخل فى أعمالى ، وشرع يتوسل . قال ، «ياسيد بورتر ، أنت لا تريد أن تفعل هذا . لقد كنت لى بمثابة والد آخر ؛ والآن ارجوك ، ياسيدى ، انظر الى هذا كله بامعان حقيقى وفكر ثانية بدقة حقا وعد الى بيتك ؟ وهل تعلم شيئا ؟ كدت أن افعل هذا .

فكرت فى امه وأبيه وكم كانا مخلصين طوال تلك السنين ، وفى تقديرنا جميعا لهم ، وكدت أخرج حقا . ثم استشطت غضبا من جديد من بدى لافساده الامور وامسكت به من قميصه وصفعته صفعة قوية ، وهل تعلم انه استعد لقتالى ؟ دفعنى الى الخلف فى الغرفة الاخرى وعلمت أننى كان امامى عمل على أؤديه . وأخيرا كان على ان أضربه بمسدسى حتى سقط ـ انه قوى كالثور ـ وعند ذاك جن جنونى منه حتى شرعت اخنقه بكلتا يدى ، وعندما ثبت الى رشدى كنت على وشك ان افقأ احدى عينيه . »

وقد الصبى متصلبا مرتعبا ، يحدق في أبيه بحدقتين متسعتين ، والغثيان يسري في روحه ، وهو لا يجرؤ على التنفس .
قال أبوه بفظاظة ، « حسنا ، ماحدث قد حدث ، ولاتبك على ماء فوق الخزان ، واللبن المسكوب وما الى ذلك . حملته في سيارتي وذهبت الى بيت كارسون واخبرته بما فعلت . ثم اصطحبت بدي الى الطبيب واخبرته انني كنت اريد له افضل علاج طبي يمكن للمال أن يشتريه وأنني سأتكفل به .
« خاط بضعة جروح في رأسه ، لكنه يقول ان العين لا يمكن انقاذها . طلبت منه ان يتصل بأفضل طبيب عيون في أتلانتا وان يخبره انني متكفل بفاتورة العلاج . وقد حمله كارسون كليفتسون وصبيانه الى المستشفى ، وفكرت في ان احضر الى البيت واخبرك كم أنا آسف ان كل ذلك حدث . »
ولاول مرة في حياته ، سمع الصبي نغمة مترددة في صوت أبيه لكنه كان ذاهلا الى درجة أنه لم يكن بامكانه أن يلتقطها ليسيء اليه .
سأله بهمسة مكتومة ، وهو يحاول أن يكتم صرخة ، « لماذا لاتقول ذلك لبدي ؟ »
اجابه الاب ، « فعلت . وهل تعرف ماذا قال ؟ قال — وهذا بأرق واهدأ صوت سمعته في حياتك — « حسنا ، ياسيد بورتر . كل شيء سيكون على مايرام . اعرف انك كنت تشرب . »
توقف عن الكلام ونظر الى الصبي . كانت سكتة حبلى . وبعينين تتقدان بالكراهية ، وجسمه يتوق الى اطلاق ضربة عنيفة ، وصوت مايزال مكبوحا بصرامة الى درجة الهمس ، صوت الصبي نظرته بشكل مباشر الى عيني أبيه .
قال ، « سوف أموت واتعفن في الجحيم قبل أن أقول ذلك لك أبدا . »
حط صمت اكثر طولا . وبدون ان يكسر حدة النظرة المحدقة التي كانت تشكل جسرا بين عيونهما ولكنها كانت تشكل حاجزا بين روحيهما ، قال الرجل أخيرا ، وبدون تغيير في درجة صوته ، « أردتك أن تعرف . »
استدار وغادر الغرفة .
جذب الصبي ركبتيه تحت ذقنه ودس الملاءة في فمه ، وبكى حتى تورمت عيناه وراح الفواق يرجه في نوبات مؤلمة . فكر في الرقعة

التي زرعت بطيخا ، والكوكلوكس كلان ، ودوامة جدول وايتوتر البنية اللون ، وخطبة باتريك هنرى ، ورائحة المكتب فى دار القضـــاء ، وفريمان فى معمل العصير ، وخشبة المسرح الساطعة الاضاءة عند التخرج .

سقط على الارضية ، وركع وهو يرتجف وركبتاه عاريتان لصـق السرير . ارتعد بتنهيدة عميقة ، وارغم جسده على السكون . وصلى بانفعال مشبوب وعميق وبسيط ، « يا ابانا الرحيم الذى فى السماء، ماذا أفعل ؟ انني احبه كثيرا ! »

رقم الايداع : ٣١٣١/ ٨٧
الترقيم الدولى : ISBN ٩٧٧ ـ ١١٨ ـ ٢٩٦ ـ ×

هـــذه الـروايـة

لم تود روايات الهلال أن تحرم قارئها من متعة متابعة مغامرات الطفولة الجميلة التى عاشها أحد الصبية فى الجنوب الأمريكى . فقامت بتقديمها كاملة للقارىء على جزءين . وها هو الجزء الثانى من « الركض مع الفرسان » الذى نتابع فيه رحلات اخرى لبطلنا فى عالم وردى جميل . حيث ملأه بالمغامرات الشائقة والحكايات المسلية حتى إذا انصرمت سنوات الطفولة لم يعد يبقى منها سوى أحلى ذكرياتها التى دونها الكاتب الأمريكى فيرول سامز بحذاقة فنية ماهرة .. يذكرنا بأبطال مارك توين من قوم سوير الى هاكلبرى فن الذين ملأوا أوائل القرن العشرين بمداعباتهم وشقاوتهم فأصبحوا رمزا له ..

بطل فيرول سامز هنا الذى يرمز له باسم « الصبى » عاش فى نفس الأجواء وسبح فى نفس النهر وتلصص بنفس الأسلوب .. وبعث على الاضحاك بنفس البهجة ..

فتعال نستكمل رحلته الممتعة فى الجزء الثانى من « الركض مع الفرسان »

AL-HILAL
APRIL 1987

٧٥ قرشا

الجزء الثانى